



مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الرابع - المجلد التاسع والاربعون

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



مجلة المجمع العلمي



الفهـــرس

الموضـــوع | الصفحـة

* اتجاهات الثقافة في العراق ومراكزها
الدكتور احمد مطلوب ٥

* نصائد الرصاص الحامضية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً
القسم الثاني ـ سبل تحسين مواصفات وتطوير أداء النضيدة
الدكتور جلال محمد صالح ٣٣

* التداعيات التربوية لاحداث ١١/ايلول/٢٠٠١
وموقف الغرب من الاسلام والمسلمين
الدكتور مسارع حسن الراوي ٨٥

* حكومة الملأ في مكة منذ عهد قصي بن كلاب حتى ظهور الاسلام
الدكتور هاشم يحيى الملاح ١١١

* تطور علم البوليمرات في القرن العشرين
الدكتور ذنون محمد بيريادي ١٤٣

* متضمنات التباين في توزيع الدخل
بين ريف وحضر الاقطار العربية
الدكتور سالم توفيق النجفي ١٦٨

* تجليات العمارة الاسلامية في تخطيط مدينة بغداد القديمة
الدكتور علي القاسمي ١٩٣

* المرأة الجامعية : التكيف متعدد الابعاد
الدكتورة منى يونس بحري ٢٣٦

* اصداء القضية الفلسطينية في الموصل / ١٩٣٢ ـ ١٩٤٨
الدكتور وائل علي احمد النحاس ٢٦٠

اتجاهــات

الثقافة في العراق ومراكزها

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي
وامينه العــام

الملخــص :

الثقافة بمعناها العام مجموعة من المعارف والمهارات الفنية والذهنية التي يكتسبها الانسان . وقد شهد العراق حركة ثقافية واسعة المدى منذ قــرون ، ونهض في القرن العشرين نهضة كبيرة ، وكان له دور كبير في ازدهــار الثقافة قطريا وعربيا .

وهذا البحث يتعرض لاتجاهات الثقافة في العراق الحديث ، ويقف عند أهم مراكزها ولاسيما المجمع العلمي الذي نهج نهجا علميا قويما ، وظل يرفد الثقافة بالدراسات والبحوث والمصطلحات العلمية والالفاظ الحضــارية منذ نصف قرن او يزيد .

(١)

الثقافة بمعناها العام مجموعة من المعارف والمهـارات الفنيـة والذهنية التي يكتسبها الانسان لتؤهله خوض معترك الحيـاة والتعامل معها وإدراك ما يعتمل فيها ، وليؤدي دوره في بناء المجتمع خير اداء • وهي مـن (ثقف ـ يثقف) اي : صار حاذقا ، وقد حددها (المعجم الوسيط) بالعلوم والمعـارف التي يطلب الحذق فيها •

ولا تعني الثقافة بهذا المعنى التخصص الدقيق ، وإنما هي كما قـال ابن خلدون وهو يتحدث عن علم الادب : « الاخذ من كل علم بطرف » ، أي : أنها معارف الانسان في المجالات المختلفة ، والمثقف هو من اخذ بطرف مـن تلك المعارف •

والعراق الذي تداولته الاحداث ، ومرت به الاحوال لم يكن بعيدا عـن هذا المفهوم ، فعلى ارضـه ظهرت الحضـارات ، وازدهرت العلوم والآداب والفنون يوم كانت بغداد قبلة العلماء يؤمونها من أطراف العالم ، ويحضرون مجالس الدرس ، لينهلـوا المعارف والعلوم ، ولولا ما اصـاب الامة العربية والعالم الاسلامي من قهر وظلام ، لظل موردا عذبا للعلـم ، ومنهلا صـافيا للثقافة وموئلا للعلماء •

وشاء الله ان يهيىء للعراق رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وان ينهض بعد كبوة ، ويجـدد بعد ركود ، فبـدأت الثقافة تزدهـر فيه ، وكان مـن اهم روافدها :

اولا : العودة الى التراث العربي الاسلامي الذي كان مظهرا من مظاهر اليقظة العربية ، واول سبل التجديد التي دعا اليها روّاد النهضة الحديثة • واخذ المهتمون بالثقافة يرجعون اليه ويقبسون منه ما يفتح آفاق المعرفة وينير السبيل • ولم يقفوا عند الكتب التي كانت تصل اليهم من مصر وبعض الاقطار العربية والاجنبية ، وانما اخذوا يحيون التراث ، ويتسابقون في تحقيقه ونشره ، فأصدروا خلال القرن العشرين آلاف الكتب ومئات الدواوين التي كانت سبيلا للتواصل مع الماضي وبناء الثقافة على اسس متينة مستمدة من التراث ، ومتفاعلة مع المعاصرة التي يحيا في ظلالها المثقفون •

وكان لذلك اثر في نشأة المثقفين الذين نهلوا من التراث ما شاء الله لهم ان ينهلوا ، وان يمزجوا به ما تلقوه من ثقافة جديدة فتحت لهم آفاق المعرفة ، فساروا في هداها ، وخدموا امتهم الغالية ووطنهم الحبيب •

ثانيا : الكتب والمجلات التي كانت مصر تصدرها ، وقد عرف العراقيون بتتبع ما يصدر في هذا القطر العربي الذي بدأت فيه بوادر النهضة الحديثة قبل غيره من الاقطار العربية • وكان القراء في العراق يتسابقون الى شراء الكتب والمجلات ولا سيما (مجلة الرسالة) و (مجلة الهلال) مما اكسبهم ثقافة جديدة وإدراكا واعيا لمنازع الحياة ، وجعلهم يتفاعلون مع هذه الثقافة الواردة من قطر عربي عزيز •

ثالثا : الثقافة الاجنبية التي كان يشيعها قراء الصحف التركية في مطلع القرن العشرين ، او قراء المجلات المصرية واللبنانية التي تعنى بالثقافة الاجنبية•

ولم يكن هؤلاء مؤثرين كل التأثير ، لان ثقافتهم كانت محدودة ، ولانهم لم يكونوا من مراكز القوى ، على الرغم من ايمانهم بما قرأوا ، ونشرهم الكتب والمقالات التي تعبر عن وجهة نظرهم وفهمهم الثقافة الجديدة • ومن ابرز ما اشاعوه نظرية النشوء والتطور ، والجاذبية ، وبعض مقدمات العلوم

والآداب والفنون والمذاهب النقدية والسياسية والاجتماعية التي كانت شائعة في تلك الايام •

وكان تأثير الذين قرأوا الكتب والصحف بلغاتها اكثر واجلى ، فضلا عن الثقافة الغربية التي كانت المؤسسات الاجنبية تشيعها كمؤسسة (فرنكلين) التي استقطبت بعض المترجمين والقراء ، وإن لم يكن تأثيرها كبيرا لما كان عليه المثقفون من وعي وإدراك لما تسعى اليه هذه المؤسسة التي أغلقتها في اثناء حرب حزيران سنة ١٩٦٧م ، حينما كنت وزيرا للثقافة والارشاد •

وكان للذين اكملوا دراستهم في أوربة وامريكة اثر في إشاعة الثقافة الغربية ، وإن كانت محصورة في قاعات الدرس حيث كانت الكليات مجال نشر ما تعلموه • ولكن على الرغم من ذلك فقد تخرج على ايديهم من اشاع الثقافة الغربية في مختلف الاوساط ، وهي ثقافة كان طابعها العام المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، واتجاهات الآداب والفنون •

وظهر تيار اجنبي آخر هو الثقافة الماركسية التي اشاعها الحزب الشيوعي في ادبياته السرية قبل عام ١٩٥٨ ، وفي كتبه وصحفه وتنظيماته بعد ذلك حين ايدته السلطة وشجعته على الظهور والتسلط على رقاب الناس وعلى الثقافة • واختفى هذا التيار بعد زوال حماته ، ويقظة المثقفين الذين وجدوا فيه تبعية فكرية ورقا جديدا •

وهبت في الثلث الاخير من القرن الماضي رياح الثقافة الفرنسية ــ المؤلفة أو المترجمة ــ وتأثر بها بعض الباحثين والدارسين ، ولكن ألقها كاد يختفي على الرغم من ان تأثيرها بدا واضحا في بعض الرسائل الجامعية والمقالات الصحفية ، ولم يبق منها الان إلا ومضات • ولا غرابة في ذلك فالتيارات الفكرية والثقافية التي لا تنبع من واقع الامة وثقافتها لا يكون نباتها حسنا ، ولاسيما اذا تخلى عنها اصحابها ، او تقاطعت مع الثقافة القومية •

هذا ما كان ، وتسود في العراق اليوم ثقافة تأخذ من التراث العربي الاسلامي اصالتها ، ومن المعاصرة تطلعاتها ، وهي ثقافة لا تختلف عن الثقافة في الوطن العربي ، تلك الثقافة التي وحدتها الاهداف المشتركة والمصير الواحد منذ قرون ، وما تزال تحرص على وحدتها وتتحدى دعوات التضليل والتغريب، وهذا ما يظهر فيما يؤلف من كتب ، وما تنهد به المؤسسات العلمية والفكرية وما تنشره وسائل الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

إن الثقافة في العراق اليوم تصدر عن وعي وإدراك تأمين لاصالة الامة العربية وكيانها الذي هو روحها وقدرها وقدرتها على العطاء . ولا يعني هذا الانغلاق ، اذ لا تزال الثقافة الاجنبية تجد سبيلها ، ويتم التعامل معها بوعي من غير استلاب وفقدان هوية . وفي العراق (مجلة الثقافة الاجنبية) التي تعبر عن هذا الواقع ، وفيه (دار المأمون للترجمة والنشر) التي تنقل الثقافة الاجنبية فضلا عما تقوم به المؤسسات الاخرى . وتصل اليه الكتب والمجلات الاجنبية فيقرأها العراقي ويأخذ منها ما ينفع ، ويدع ما يتقاطع مع ثقافته الاصيلة ، ومع ما يريد ان يقيم بنيانه من ثقافة تعبر عن قدرة الامة وطموحها وتطلعاتها المشروعة في ان تكون لها ثقافة متميزة تبني ولا تهدم ، تجمع ولا تبدد ، إنها ثقافة تنبع من واقع العراق والامة العربية ، وهي ثقافة إبداع لا ثقافة تبعية وتقليد .

ولا تقتصر الثقافة على الصفوة او الكبار فحسب ، وانما هناك (الثقافة الشعبية) التي تنشر الوعي بين الجماهير لتحصنهم من الاختراق الثقافي الاجنبي المسموم ، وهناك (ثقافة الاطفال) التي تهدف الى تنشئتهم عقليا وعاطفيا واجتماعيا ، ليكونوا اعضاء نافعين في المجتمع ، وليأخذوا دورهم الرائد في مجالات الحياة .

(٢)

لم يشهد العراق في مطلع القرن العشرين مراكز ثقافية كما يشهد اليوم ، وانما كانت هناك محافل ومجالس يمكن ان تعد بدايات استقطبت المثقفين ، ولاعطاء صورة للمراكز الثقافية لابد من الوقوف على ما كان ، ثم الكلام على ما حدث فيما بعد من تطور كبير .

اولا : المجالس الادبية التي كانت تعقد في البيوت والمقاهي وادارات الصحف ، وفيها تدور احاديث الادب وشؤون الثقافة العامة ، وتبدى الاراء ، وتثور المناقشات . وكان يحضرها اعلام الفكر والادب وبعض المتأدبين ، فضلا عن المجالس الخاصة التي كان يتردد عليها الصفوة من اهل السياسة والادب والفكر ، ومنها في بغداد مجالس : الاب انستاس ماري الكرملي ، ونادي القلم العراقي ، وطه الراوي ، وآل الآلوسي وكاظم الدجيلي ، وقاسم القيسي ، ومعروف الرصافي ، ومحمد جميل صدقي الزهاوي ، وعبدالعزيز الشواف ، وآل الشبيبي ، وآل عواد ، وآل مسكوني ، وغيرها من المجالس التي يقال إنه كان في بغداد وحدها (٢٤٣) مجلسا .

ولا تزال المجالس تعقد في بغداد وغيرها من المدن العراقية ، ويحضرها الاساتذة والباحثون والمتأدبون ، وفيها تلقى المحاضرات ، وتناقش الاراء ، وكأنها مدارس ثقافية او مجالس علمية تذكّر بما كان في عهود النهضة والازدهار .

ثانيا : الجمعيات والنوادي الادبية التي كانت اهدافها المعلنة نشر الثقافة ، وجمع شتات المفكرين والادباء والصحفيين ، ولكنها كانت تسعى في الحقيقة الى تحقيق اهداف سياسية واجتماعية كالدعوة الى الاستقلال الناجز ، والوحدة العربية ، ومحاربة الاستعمار ، والحكومات الرجعية .

ومن تلك المؤسسات : المعهد العلمي ، ونادي الاصلاح ، وجمعية اخوان الادب ، وجمعية الثقافة العربية ، ونادى المثنى بن حارثة الشيباني ، ونادي القلم العراقي ، وجمعية الرابطة الادبية ، ومنتدى النشر ، وجمعية التحرير الثقافي ، ونادي البعث العربي ، واتحاد الكتاب العراقيين ، وجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين والاتحاد العام للادباء والكتاب في العراق .

وكانت هذه المؤسسات تعقد الاجتماعات ، وتقيم الندوات ، وتقدم المحاضرات ، وتصدر الكتب والمجلات الثقافية العامة .

ثالثا : المراكز الثقافية العلمية ، وابرزها :

١ ـ وزارة الثقافة والاعلام التي استحدثت باسم (وزارة الارشاد) سنة ١٩٥٨م ، ويتمثل دورها في احتضان المثقفين والادباء والفنانين ونشر نتاجاتهم . وقد اصدرت خلال الثلث الاخير من القرن العشرين آلاف الكتب ـ المؤلفة والمترجمة ـ فضلا عن المجلات الفكرية والادبية والعامة . وتتسم اصداراتها بالثقافة العامة ، لان هدفها نشر المعرفة بأيسر السبل واسهلها منهجا ولغة ومادة واسلوبا . ويرجع اليها الفضل الكبير في نشر الثقافة لكثرة ما اصدرت ، وتنوع ما نشرت من كتب ، ولاتساع اعمالها ولتهيئة ظروف افضل لكي تحقق اهدافها المرسومة اصبحت عام ٢٠٠١م وزارتين : وزارة الاعلام ، ووزارة الثقافة التي اوكل اليها رعاية الثقافة والآداب والفنون ، وتشجيع الابداع والابتكار لدى المثقفين والادباء والفنانين ، وتطوير الثقافة في العراق والوطن العربي ، والتفاعل مع الثقافة والفنون العالمية . وفيها إثنا عشر تشكيلا لتحقيق اهدافها ، ومما يتصل بالثقافة مباشرة : دار الشؤون الثقافية ، ودار السينما والمسرح ، ودار الكتب والوثائق ، ودار المأمون للترجمة والنشر ، ودار ثقافة الاطفال ، ودائرة الفنون .

وتقدم هذه التشكيلات ما يعزز الثقافة وينشرها ، وهي ثقافة تشمل نشاطات مختلفة ، تمثلها المطبوعات والعروض المسرحية ، والمعارض الفنية وغيرها مما تخطط له الوزارة من فعاليات •

ومن اهم ما تصدر دار الشؤون الثقافية الكتب والمجلات ذات الطابع الفكري العام ، ومنها : مجلة الاقلام (الادب الحديث) وآفاق عربية (فكرية عامة) والمورد (تراثية) ، وسومر (الاثار) والتراث الشعبي ، والثقافة الاجنبية ، والموقف الثقافي (ثقافية جامعة) •

٢ ـ الجامعات التي لم تكن في العراق في مطلع القرن العشرين ، وانما كانت فيه كليات متفرقة ، ومن اقدمها (كلية الامام الاعظم) التي توقفت الدراسة فيها عندما نشبت الحرب العالمية الاولى ، واستؤنفت عندما احتل الانكليز بغداد سنة ١٩١٧م ، وهي كلية دينية كانت تعنى بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واللغة العربية وبعض العلوم الاخرى كالحساب والمنطق والحكمة الطبيعية والجغرافية •

واستمرت حتى عام ١٩٢٤م اذ اسست (جامعة آل البيت) التي كان لها اثر في نشر الثقافة العربية والاسلامية بفضل اساتذتها الاعلام مثل فهمي المدرس امينها العام ، ويوسف عطا ، وعبدالجليل جميل ، وعبدالملك الشواف ، وعبدالوهاب النائب ، وعبدالعزيز الثعالبي ، وطه الهاشمي • ولم تستمر طويلا اذ عصفت بها الرياح المتصارعة ، وسدت عام ١٩٣١م بعد ان اثارت حركة علمية وثقافية ، وخرّجت اعدادا من المتميزين الذين كان لهم فيما بعد دور في التربية والتعليم ، واقامة اسس ثقافية منبعها العروبة والاسلام •

كانت هاتان المؤسستان تنشران الثقافة ، وكان الى جانبهما (مدرسة الحقوق) التي اغلقت ابوابها في اثناء الحرب العالمية الاولى ، ثم فتحت

عام ١٩١٩م واستمرت الى ان اصبحت كلية باسم (كلية الحقوق) وكان لها الفضل في نشر الثقافة القانونية والوعي القومي والسياسي لما اشتملت عليه مناهجها من معارف توجه الى ما فيه صلاح الانسان ، ومعرفة واجباته وحقوقه . فضلا عما كان الاساتذة يبثون من فكر اسلامي وعربي كان له اكبر الاثر في بناء العراق الحديث .

وفي عام ١٩٥٦م أنشئت جامعة بغداد لتضم الكليات المتفرقة ، وتوالى انشاء الجامعات حتى بلغ عددها اربع عشرة جامعة رسمية ، وتنهض الكليات الانسانية فيها بتخريج العاملين في مجالات الحياة والثقافة فضلا عما ينشر الاساتذة من بحوث ودراسات ومقالات ، وما يقدمون في الاذاعة المسموعة من احاديث ، وفي الاذاعة المرئية من ندوات .

٣ ـ بيت الحكمة ، وهو مؤسسة ثقافية علمية ، تتولى دراسة تاريخ الامة العربية وحضارتها وتراثها ، وتأكيد اصالة الثقافة العربية ونشرها ، والتصدي للتيارات الثقافية والفكرية التي تستهدف وجود الامة العربية وحضارتها ، وتشجيع الكفاءات العربية الثقافية وتوحيد جهودها ، وغير ذلك من الاهداف التي حددتها المادة الثالثة من (قانون بيت الحكمة) الصادر سنة ١٩٩٥م .

ولا تنحصر فعاليات هذه المؤسسة في حقل واحد من حقول المعرفة والثقافة ، وانما هي متنوعة تشمل الدراسات التاريخية ، والاسلامية ، والفلسفية ، والقانونية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية . وهي من اجل نشر الثقافة على نطاق واسع تصدر مجلات متخصصة ، ودراسات متنوعة تحقيقا لقانونها ، وتقيم المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية ، وتدعو الاساتذة من الاقطار العربية والاجنبية ليشاركوا في فعالياتها الثقافية الهادفة .

رابعا : المسرح الذي اصبح من مراكز نشر الثقافة ، وقد عرف العراق فن التمثيل بمعناه الغربي في اواخر القرن التاسع عشر ، وكانت المدرسة الاكليركية في الموصل تقدم التمثيليات الدينية والدنيوية على مسرحها •

وبدأ المسرح يأخذ طريقه الى الجمهور ، وكانت المدارس في العهد الفيصلي مركز ذلك النشاط فضلا عن النوادي مثل (النادي الادبي) في الموصل الذي شكل بعد تأسيسه عام ١٩٢١م لجنة ادارية للتمثيل ، مثلت على مسرحه في ذلك الحين رواية (فتح عمورية) ورواية (حمدان الاندلسي) واسست بعد ذلك (دار التمثيل العربي) سنة ١٩٢٣م •

وعرف المسرح في بغداد ، وبدأت الفرق التمثيلية تعرض الروايات الهادفة ، واسس حقي الشبلي سنة ١٩٢٧م اول فرقة عراقية محترفة سماها (الفرقة التمثيلية الوطنية) ، وبدأ بعد ذلك تشكيل الفرق والمسارح الاهلية مثل (مسرح بغداد) و (مسرح التمثيل العربي) • وكانت التمثيليات في ذلك العهد تهدف الى إثارة الشعور القومي والوطني ، وايقاظ الشعب وتوجيهه الى خير البلاد ، والسعي الى العمل المثمر ، وغرس القيم العربية الرفيعة • ويتجلى ذلك ــ مثلا ــ في (الرواية الايقاظية) لسليمان فيضي الموصلي التي كانت من اوائل الروايات التي مثلت ، وروايات (فتح عمورية) و (حمدان الاندلسي) و (العفو عند المقدرة) و (وفاء العرب) وغيرها من الروايات القومية والوطنية والانسانية •

كان معظم التمثيليات الاولى يقبس من التراث العربي والاسلامي ، ويذكر الجماهير بما كان عليه العرب والمسلمون من تقدم ، ويثير الهمم في النفوس ، ويدفع الى العمل البناء ، وادت تلك الفرق التمثيلية دورها الثقافي على الرغم مما كانت تعاني من المشكلات التي تعرض لها ولاسيما التمويل وعدم وجود المسارح • واختفت هذه المصاعب بعد ان تبنت الحكومة الحركة المسرحية في العراق ، وانشأت الفرق التمثيلية ، وشيدت المسارح الحديثة •

ومعظم تلك التمثيليات نثرية ، وكانت لغتها في دور نشأة المسرح العربية السليمة ، ولكنها اتجهت الى اللغة المحكية فيما بعد بحجة انها لغة الشعب ، وان المسرحيات تعالج قضايا تهم الجماهير . ولم تعد المسارح تعرض الروايات باللغة الفصيحة منذ زمن بعيد ما عدا الروايات التاريخية التي تقدمها الاذاعة المرئية .

ولم يهتم المسرح بالتمثيلية الشعرية على الرغم من وجودها مثل مسرحيات : خالد الشواف ، وعبدالحميد الراضي ، وخضر الطائي ، وعبدالستار القرغولي ، وحسين الطريفي ، وهي روايات تهدف الى غرس القيم العربية الاسلامية من خلال الاحداث التي تتخذ القناع وسيلة للتعبير عن الحاضر ونقد الاوضاع السياسية والاجتماعية ، فضلا عما فيها من هدف ديني وقومي ومتعة فنية وتهذيب الاذواق .

ولم يمثل منها إلا القليل على الرغم من انها قدمت للمسرح العراقي ، وكان مؤلفوها ينتظرون ان تعرض على خشبة المسرح مشاركة منهم في إقامة مسرح هادف جديد .

وانتشرت المسارح الاهلية في السنوات الاخيرة ، وكثرت العروض التمثيلية باللهجات المحكية ، ولا يضيف معظمها الى الثقافة شيئا مذكورا ، لانها تعرض قضايا مألوفة تراد منها التسلية وتزجية الوقت ، في حين كان المسرح العراقي هادفا يقدم الثقافة ، وينشر الوعي بين الجماهير .

ومهما يكن من امر فلن يبخس دور المسرح في الثقافة ، وان بدأت وسائل الاتصال الجديدة تفقده دوره الفاعل ، وهو إشاعة اللغة الفصيحة والتذكير بماضي الامة العربية المجيد .

خامسا : المجمع العلمي الذي يعد من مراكز الثقافة المهمة في العراق ، وكانت فكرة إنشائه قديمة منذ العهد الفيصلي ، ولكنه لم يظهر الى الوجود

إلا حينما صدر نظامه في السادس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٤٧م الذي حدد مهامه في المادة الثانية وهي : « يقوم المجمع :

أ ــ بالعناية بسلامة اللغة العربية ، والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة المعاصرة .

ب ــ بالبحث والتأليف في آداب اللغة العربية ، وفي تاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم .

جـ ــ بدراسة علاقات الشعوب الاسلامية بنشر الثقافة العربية .

د ــ بحفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة واحيائها بالطبع والنشر على احدث الطرق العلمية .

هـ ــ بالبحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف فيها ، وبث الروح العلمية في البلاد .

وجاء في المادة الثالثة من النظام : « يتوسل المجمع الى تحقيق اغراضه :

آ ــ بتقديم المساعدة المالية للباحثين والمؤلفين والمترجمين بمقادير يقررها المجمع .

ب ــ بإقامة مباريات في الموضوعات العلمية والادبية والاجتماعية ، ومنح الفائز جوائز مالية .

جـ ــ الاتصال بالجامعات والمجامع العلمية واللغوية والثقافية .

د ــ بإنشاء دار طباعة .

هـ ــ بإصدار مجلة .

و ــ بإنشاء دار كتب .

وسار المجمع العلمي العراقي في تحقيق مهامه ، وبعد ثورة الرابع عشر من رمضان (٨ شباط ١٩٦٣م) صدر القانون ذو الرقم (٤٩) لسنة ١٩٦٣م وحددت المادة الثانية منه مهام المجمع الجديد • وفي سنة ١٩٧٠م انشيء (المجمع العلمي الكردي) وفي سنة ١٩٧٢م انشيء (مجمع اللغة السريانية) • وفي عام ١٩٧٨م دمجت المجامع الثلاثة باسم (المجمع العلمي العراقي) – اي اسمه القديم – وذلك للتنسيق والتكامل بين المؤسسات العلمية المتخصصة ذات المهمات المتشابهة وتوحيد الجهود العلمية في شتى المجالات •

وارادت قيادة قطر العراق ان يكون المجمع اكثر فعالية فاصدرت القانون ذا الرقم (٣) لسنة ١٩٩٥م وبموجبه اسس (المجمع العلمي) الذي حددت مادته الثانية اهدافه ، وهي :

اولا : المحافظة على سلامة اللغة العربية ، والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون •

ثانيا : الاسهام الفاعل في حركة التعريب ، ووضع مصطلحات العلوم والآداب والفنون والحضارة •

ثالثا :

أ – المحافظة على سلامة اللغة الكردية ، والعمل على نمائها ووفائها بمطالب الحياة ، وتنقيتها من الالفاظ الاجنبية ، ويستعاض عنها بمفردات من اللغة العربية كلما تطلب الامر ذلك •

ب – المحافظة على اللغة السريانية والعمل على نمائها ، وحفظ التراث السرياني •

رابعا : إحياء التراث العربي والاسلامي في العلوم والآداب والفنون •

خامسا : العناية بدراسة تاريخ العراق وحضارته وتراثه •

سادسا : النهوض بالدراسات والبحوث العلميـــة في العراق لمواكبة التقـــدم العلمي في العالم .

سابعا : تشجيع وتعضيد التأليف والبحث في العلوم والآداب والفنون .

ثامنا : ترجمة اهم ما يصدر من كتب وبحوث باللغات الاجنبية .

تاسعا : رصد الكتابات غير النزيهة التي تتعرض لتراث الامة ، ومقاومتهـــا بأسلوب علمي رصين ، وتأمين نشر ذلك على الرأي العام .

عاشرا : التعاون مع المؤسسات المعنية بشؤون الثقافة والنشر على تسمية اهم المؤلفات العربية الرصينة لترجمتها الى اللغات الاجنبية .

حادي عشر : إقامة صلات ثقافية مع جهات الاستشراق مؤسسات وافرادا .

ثاني عشر : إقامة روابط علمية وتعاون وثيـق مع الجامعـات والمؤسســات العلمية والثقافية العراقية .

ثالث عشر : توثيق الصلات بالمجامع العلمية واللغوية والمؤسسات العلميـــة والثقافية في البلاد العربية والاجنبية .

وهذه المهام اكثر مما حددته قوانين المجمع السابقة ، واقتضى هــذا ان تنشأ في المجمع دوائر علمية تتولى تنفيذ تلك المهام ، وهي كما جاء في المــادة العشرين من القانون وتعديلها :

أ ــ دائرة علوم اللغة العربية .

ب ــ دائرة التراث العربي والاسلامي .

جـ ــ دائرة العلوم الانسانية .

د ــ دائرة العلوم الصرفة .

هـ ــ دائرة المصطلحات والترجمة والنشر .

و ــ دائرة العلوم التطبيقية .

هذا فضلا عن « هيئة اللغة الكردية » و « هيئة اللغة السريانية »
كانت مهام المجمع في كل ادواره متقاربة إلا ما اضيف من مهام اقتضتها الحركة العلمية والفكرية والثقافية التي شهدها العراق في اواخر القرن العشرين . وقد نشط منذ تأسيسه في تنفيذ مهامه بالوسائل الاتية :

١ ــ إصدار مجلة باسم « مجلة المجمع العلمي العراقي » ثم « مجلة المجمع العلمي » انسجاما مع اسم المجمع الجديد .

٢ ــ نشر الكتب تأليفا وترجمة وتحقيقا .

٣ ــ عقد المؤتمرات ، وإقامة الندوات والحلقات النقاشية ، وإلقاء المحاضرات .

وسيكون الوقوف على هذه الوسائل الثلاث ليتضح دور المجمع العلمي في نشر الثقافة .

اولا : المجلة التي صدر جزؤها الاول سنة ١٩٥٠م ، وبلغ عدد ما صدر منها حتى نهاية عام ٢٠٠١م خمسة وتسعين جزءً ، موزعة على ثمانية واربعين مجلدا وقد شملت انواعا كثيرة من البحوث والدرسات تتمثل في :

١ ــ علوم القرآن الكريم .
٢ ــ علوم الحديث الشريف .
٣ ــ الفقه الاسلامي .
٤ ــ الملل والنحل .
٥ ــ التربية والتعليم .
٦ ــ التصوف والفلسفة الاسلامية .
٧ ــ العلوم الاجتماعية .
٨ ــ الادارة والحكم .
٩ ــ العلوم السياسية .

١٠ــ الاقتصاد .

١١ــ القانون .

١٢ــ علوم اللغة العربية والمعاجم .

١٣ــ المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية .

١٤ــ الرياضيات .

١٥ــ علم الفلك .

١٦ــ علم الاحياء .

١٧ــ علم الكيمياء .

١٨ــ علم الارض .

١٩ــ تاريخ العلوم عند العرب .

٢٠ــ علم الطب .

٢١ــ علم الهندسة .

٢٢ــ علم الزراعة .

٢٣ــ فن الموسيقى .

٢٤ــ الادب والنقد .

٢٥ــ الامثال .

٢٦ــ التأريخ .

٢٧ ــ الجغرافية .

٢٨ــ عرض الكتب .

هذه مداخل بحوث المجلة ، فضلا عن النصوص الشعرية والنثرية المحققة ، ويتضح منها .

١ ــ أن المجلة عامة تعنى بنشر البحوث المختلفة .

٢ ــ انها غطت معظم جوانب المعرفة .

٣ ــ ان الدراسات اللغوية والادبية والتراثية والعلوم الانسانية فاقت بحوث العلوم الصرفة والتطبيقية •

٤ ــ ان المجلة اخذت في السنوات الاخيرة تعنى بالدراسات العلمية •

وكان لرئاسة المجمع واعضائه والظروف التي مرّ بها القطر العراقي اثر في رجحان بعض التخصصات ، فضلا عن ان المجلة لم تكن خالصة للبحث العلمي الدقيق كمجلات مجالس البحث العلمي والجامعات ، لأن هدفها نشر الثقافة وتقديم العلوم بأسلوب واضح مع الالتزام بالدقة العلمية التي تقتضيها مناهج البحث الرصين •

وكان لهذه المجلة اثر واضح في النشاط الثقافي في العراق خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، اذ انتفع بها كثير من المثقفين والباحثين فضلا عن المثقفين العرب والدارسين الاجانب الذين كانت المجلة تشدهم فيتابعون صدورها ويرفدونها بالبحوث والدراسات •

وتقف الى جانب هذه المجلة مجلتان :

الاولى : تصدرها هيئة اللغة الكردية •

الثانية : تصدرها هيئة اللغة السريانية •

وتنشر هاتان المجلتان البحوث بلغتين (عربية ــ كردية) و (عربية ــ سريانية) وهي بحوث عامة تهدف الى نشر لون من الثقافة يكمل ما تنشره المجلة الرئيسة باللغة العربية •

ويصدر المجمع نشرة شهرية باسم « اوراق مجمعية » تنشر فيها المذكرات اللغوية والعلمية والمقالات العامة واخبار المجمع • وتلقى قبولا حسنا في اوساط المثقفين والمتأدبين ، لانها تنبه على علوم حديثة ، واحداث ساخنة ومكتشفات جديدة •

ثانيا : نشر الكتب تأليفا وترجمة وتحقيقا ، وقد بلغ ما اصدر المجمع من مطبوعات حتى عام ١٩٩٦ م مائة واثنين واربعين كتابا موزعة على :

١ ـ التراث والتأريخ : ثمانية وعشرون كتابا (١٩ر٧) •

٢ ـ تحقيق الكتب : ثلاثة وعشرون كتابا (١٦ر١) في الموسيقى ، واللغة ، والادب ، والبلاغة ، والعروض ، والدواوين ، والتاريخ ، والتراجم ، والجغرافية •

٣ ـ اللغة والمعاجم : اثنان وعشرون كتابا (١٥ر٤) •

٤ ـ المصطلحات العلمية : خمسة عشر كتابا (١٠ر٥) فضلا عن الكراسات الخاصة ببعض المصطلحات •

٥ ـ الترجمة : احد عشر كتابا (٧ر٧) في الرياضيات ، والبلدان ، والخطط ، والتأريخ ، والرحلات •

٦ ـ الادب : ستة كتب (٤ر٢) •

٧ ـ الشعر : ستة كتب (٤ر٢) •

٨ ـ المحاضرات : ستة كتب (٤ر٢) •

٩ ـ الجغرافية : خمسة كتب (٣ر٥) •

١٠ـ الطب : خمسة كتب (٣ر٥) •

١١ـ التقارير : خمسة كتب (٣ر٥) •

١٢ـ الفهارس : اربعة كتب (٢ر٨) •

١٣ـ الديانة : ثلاثة كتب (٢ر١) •

١٤ـ الدراسات العامة : ثلاثة كتب (٢ر١) •

يتضح من ذلك ان كتب التراث والتاريخ ، والكتب المحققة ، واللغة والمعاجم ، والمصطلحات العلمية كان لها نصيب كبير في اهتمام المجمع ، تأتي بعدها كتب الادب والجغرافية والطب • وكان انصيب الدراسات العامة قليلا خلال السنوات السابقة ، كما ان العلوم لم تحظ بنصيب وافر قبل إعادة تشكيل المجمع سنة ١٩٩٦م •

وبلغ ما صدر بعد عام ١٩٩٦م خمسة وستين كتابا موزعة على :

١ ــ الدراسات العامة : سبعة عشر كتابا (١ر٢٦) في التربية والثقافة والمعارف الاخرى •
٢ ــ اللغة والمعاجم : خمسة عشر كتابا (٠ر٢٣) في اللغة العربية والكرديه والسريانية والاكدية •
٣ ــ التراث والتأريخ : خمسة عشر كتابا (٠ر٢٣) •
٤ ــ العلوم : خمسة كتب (٦ر٧) •
٥ ــ المصطلحات العلمية : اربعة كتب (١ر٦) • فضلا عن الكراسات الخاصة ببعض المصطلحات •
٦ ــ التقانة : ثلاثة كتب (٦ر٤) •
٧ ــ الادب : كتابان (٠ر٣) •
٨ ــ الطب : كتاب واحد (٥ر١) •
٩ ــ الترجمة : كتاب واحد (٥ر١) •
١٠ــ التحقيق : كتاب واحد (٥ر١) •
١١ــ الفهارس : كتاب واحد (٥ر١) •

يتضح ان الدراسات العامة ، واللغوية ، والتراثية ، ما زالت تحظى بقسط كبير من الاهتمام ، وان المعارف الاخرى ما زالت قليلة على الرغم من ان معظم اعضاء المجمع الجدد من ذوي الاختصاصات العلمية • ويبدو ان الثقافة العامة لا تزال هي المحور الرئيس الذي تدور عليه مؤتمرات المجمع وندواته وحلقاته النقاشية ومحاضراته ، وان ميل المثقفين الى الدراسات العامة اكثر من ميلهم الى البحوث العلمية التي تستحق الاهتمام في هذا العصر الذي يشهد ثورة في المعلومات ، وتوجها نحو التقنيات •

وعلى الرغم من ذلك فان المجمع اصدر خلال خمس سنوات نحو ثلث ما اصدر المجمع منذ عام ١٩٥٠ • ويرجع الفضل في ذلك الى توفر الاعتماد

المالي ، والمستلزمات العلمية والفنية الحديثة ، وموقع شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) والنشاط الذي ابداه الاساتذة الباحثون بعد ان مدّ المجمع جسوره اليهم .

ولم يقف نشاط المجمع عند إصدار الكتب ونشرها ، وإنما ساعد على طبع ثمانية وتسعين كتابا توزعت على :

١ ــ التحقيق : ثلاثة وثلاثون كتابا (٦ر٣٣) في التفسير ، ــ اللغة ، والتاريخ ، والادب ، والشعر ، والمعاجم والعروض ، والموسيقى ، والتراجم .

٢ ــ اللغة : اربعة عشر كتابا (٢ر١٤) .

٣ ــ التراث والتأريخ : اربعة عشر كتابا (٢ر١٤) .

٤ ــ الدراسات العامة : اربعة عشر كتابا (٢ر١٤) .

٥ ــ الترجمة : احد عشر كتابا (٢ر١١) في الفلسفة القديمة والحديثة ، وعلم الوراثة ، والتاريخ ، والرحلات ، والملل والنحل والشعوب .

٦ ــ الادب : ستة كتب (١ر٦) .

٧ ــ الفهارس : ثلاثة كتب (٠ر٣) .

٨ ــ الشعر : ديوانان (٠ر٢) .

٩ ــ العلوم : كتاب واحد (٠ر١) .

يتضح ان الكتب المحققة كانت في مقدمة ما ساعد المجمع على طبعه ، اذ شهد العراق حتى الثمانينيات من القرن العشرين حركة تحقيق واسعة ، هذا فضلا عما صدر بمساعدة جهات اخرى مثل وزارة التربية ، ووزارة الثقافة والاعلام ، وجامعة بغداد ، او صدر بغير مساعدة وتعضيد .

وتأتي بعد التحقيق كتب اللغة العربية ، والتراث ، والتأريخ ، والدراسات العامة . ويلاحظ ان المجمع اولى الكتب المترجمة اهمية كبيرة ، اذ ساعد على طبع احد عشر كتابا مترجما في عدة علوم حتى سنة ١٩٧٦م حين توقف المجمع عن تعضيد الكتب المؤلفة والمحققة والمترجمة لاسباب يتصل بعضها بموازنته ، ويتصل بعضها بذوي الشأن من المؤلفين والمحققين والمترجمين بعد ان فتحت وزارة الثقافة والاعلام ابوابها لهم ، وبعد ان وجدوا دور نشر في بعض الاقطار العربية .

وكان المجمع منذ تأسيسه يهدي مطبوعاته ومجلته الى المسؤولين في الدولة والمجامع العربية ، والمكتبات العامة وبعض المؤسسات الثقافية العربية والاجنبية على الرغم من ان موازنته السنوية كانت في سنوات تشكيله الاولى ثمانية آلاف دينار ، وكان لهذا الاهداء اثر في نشر الثقافة بين الناس .

وشارك المجمع في معارض الكتب التي اقيمت في العراق وبعض الاقطار العربية والاجنبية رغبة منه في نشر الثقافة على نطاق واسع ، وليكون الكتاب العراقي في ايدي الباحثين والمثقفين .

ثالثا : النشاط الثقافي على مستوى المؤتمرات والندوات والحلقات النقاشية والمحاضرات ، ومن ابرز ذلك عقد الدورة الثانية والثلاثين لمجمع اللغة العربية القاهري في بغداد في (٢٠ـ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٦٥م) بدعوة من المجمع العلمي العراقي . وكان هذا اللقاء مظاهرة علمية في ذلك الحين ، اذ تناقش اعضاء المجمعين في كثير من القضايا ، وكان منهاج المؤتمر حافلا بالدراسات اللغوية ، والمصطلحات العلمية ، والبحوث ، والتحقيقات ، وقد طبعت وقائع المؤتمر ببغداد سنة ١٩٦٦م في مجلد كبير .

وأقر المجمع سنة ١٩٨٠م عقد ندوة عن « بغداد ومؤرخها الخطيب البغدادي » ، ولم تعقد على الرغم من التحضير لها ، وطبع بعض الكتب عن بغداد وخططها ، بسبب الحرب العراقية الايرانية التي استمرت حتى الثامن من آب سنة ١٩٨٨م .

وفي الثامن والعشرين من أيلول سنة ١٩٨٣م نظم المجمع العلمي ومعهد البحوث والدراسات العربية ومركز دراسات الوحدة العربية ندوة « اللغة العربية والوعي القومي » .

وفي التاسع عشر من شباط سنة ١٩٩٢م عقد ندوة « المعجمية العربية » وصدرت بحوثها في السنة نفسها .

وفي التاسع عشر من نيسان سنة ١٩٩٣م عقد المجمع بمشاركة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ندوة « وحدة الثقافة العربية وصمودها بوجه التحديات » .

وفي الاول من شباط سنة ١٩٩٤م نظم ندوة « قضايا إشكالية في الفكر العربي المعاصر » .

وفي التاسع عشر من نيسان سنة ١٩٩٤م نظم ندوة « الثقافة العربية والتحدي » .

وفي الثالث عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٩٤م عقد ندوة « مكانة العقل في الفكر العربي » .

وفي الثاني من أيار سنة ١٩٩٥م اقام ندوة « إشكالية الثقافة مع الغرب » .

وكانت هذه الندوات فكرية شارك فيها الباحثون العراقيون واساتذة من بعض الاقطار العربية ، وكان لها صدى حسن بين المثقفين بعد ان طبعها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت .

وأصدر المجمع محاضرات الندوات المفتوحة سنة ١٩٩٤م ، وهي في الدراسات القانونية ، والعلمية ، والمصطلحات .

وفي السابع عشر من آذار سنة ١٩٩٥م عقد ندوة « منهجية تحقيق النصوص » ، واصدرها في السنة نفسها .

واتجه المجمع بعد ذلك نحو الندوات المتنوعة ، وكان لتشكيل دوائره العلمية اثر بالغ في تنوعها اذ اخذت كل دائرة تقدم نشاطا يمثل توجهها العلمي

والفكري . وقد عقد المجمع بمناسبة مرور نصف قرن على تأسيسه نـــدوة « اللغة العربية والنهضة القومية » في السادس والعشرين من تشرين الثانـــي سنة ١٩٩٦م ، واصدرها عام ١٩٩٧م .

وعقد ندوة « الحضارة » واصدرها سنة ١٩٩٧م . وندوة « الهويـــة العربية عبر حقب التاريخ » واصدرها سنة ١٩٩٧م . وندوة « الاتجاهـات الحديثة في الثقافة المعاصرة » واصدرها سنة ١٩٩٧م .

وعقد سنة ١٩٩٧م مؤتمر « القومية العربية والمستقبل » واصدر وقائعه سنة ١٩٩٨م .

ونظم ندوة « اللغة العربية » واصدرها سنة ١٩٩٨م .

وعقد مؤتمر « بناء الانسان بعد الحصار » واصدر وقائعه سنة ١٩٩٩م.

ونظم ندوة « النقد الادبي الحديث » .

وندوة « نظام الري في العصر العباسي » .

وندوة « الوحدة العربية ـ ضرورة حضارية » .

وندوة « عالم الاسلام » .

وندوة « النخيل » .

وندوة « الاصل المشترك للغات العراقية القديمة » .

وندوة « الثقافة السريانية وعلاقتها باللغة العربية » .

وندوة « التراث والنهضة » .

وندوة « بعض الاتجاهات الحديثة في العلوم الصرفة » .

وندوة « العمارة العربية الاسلامية » .

وندوة « المصطلحات العلمية » .

وأصدرها سنة ١٩٩٩م ، واصدر سنة ٢٠٠٠م .

ندوة « كتب الانساب » .

وندوة « سر الحياة بين الفلسفة والعلم » .

وندوة « المنطلقات الاساسية لدراسة تاريخ العلوم عند العرب » .

وندوة « الشعر الحديث في العراق » .

وندوة « قواعد اللغة الكردية » .

وندوة « تجربة البحوث الدوائية في القطر » .

وندوة « الانسان » .

وندوة « الوشائج بين السريانية والعربية » .

وندوة « الوطن العربي والامتدادات عبر التاريخ » .

وندوة « الوحدة العربية ـ الواقع والمستقبل » .

وعقد في التاسع عشر من كانون الثاني سنة ٢٠٠٠م ندوة « تعريب العلوم الصرفة » واصدرها مع الحلقة النقاشية « التربية العلمية » سنة ٢٠٠٢م

واصدر سنة ٢٠٠١م :

ندوة « تدريس اللغة العربية » .

وندوة « الاملاء الكردي » .

واصدر بأجزاء ثلاثة وقائع مؤتمره « العراق وتحديات القرن الحادي والعشرين » وهي : الغزو الثقافي ، والعلم والتقانة ، وازمة المياه والامن الغذائي .

واصدر ندوة « الحرف العربي » .

وندوة « وحدة حضارة بلاد الرافدين » .

والحلقة النقاشية « العمارة والفنون في فكر القائد صدام حسين » .

والحلقة النقاشية « الاختصاصات المستقبلية في العلوم » وهناك ندوات وحلقات نقاشية تحت الطبع .

وشارك اعضاء المجمع والمثقفون منذ عام ١٩٤٨م بالقاء محاضرات في موضوعات وقضايا متنوعة ، وكانت اول محاضرة بدأها المجمع هي التى القاها في الثاني والعشرين من كانون الاول سنة ١٩٤٨م (الفريد غيوم) بعنوان « الشعر العربي » واستمر المجمع منذ ذلك التاريخ يقدم محاضرات عامة ،

وانتظمت في السنوات الاخيرة ، واصبح لها موعد محدد هو مساء يوم الاثنين من كل اسبوع •

هذه اهم جهود المجمع العلمي في نشر الثقافة التي هي جوهر رسالته التي حددتها قوانينه في دوراته المتعاقبة ، وقد ادى دورا كبيرا في نشر الثقافة على الرغم من التغيرات الكثيرة التي مرّ بها خلال نصف قرن ، ولكنه استطاع ان يحقق اهدافه بما بذل اعضاؤه والباحثون من جهود مثمرة بناءة ، وبذلك يقف الى جانب المؤسسات العلمية والجامعات في نشر الثقافة التي هي غذاء فكري يحتاج اليه الانسان •

لقد كان هدف المجمع نشر الثقافة على نطاق واسع ، ولذلك تميز نشاطه بسمات منها :

١ ـ الالتزام بسلامة اللغة العربية في نشاطاته وفعالياته ، والعمل على تنميتها بنشر المعاجم والمصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية •

٢ ـ الاصالة والدقة في المنهج والعرض والاستنتاج •

٣ ـ ترسيخ مفاهيم المعرفة العامة ، وتأكيد الثوابت ومتابعة المستجدات•

٤ ـ الوسطية في عرض الثقافة فلا هي مما تنشر الجامعات من بحوث ، ولا هي مما تقدمه وسائل الاعلام •

٥ ـ إبراز الحضارة العربية الاسلامية وما قدمته للانسانية •

٦ ـ تقديم العلوم الصرفة والتطبيقية باسلوب واضح دقيق ، لانها جزء من الثقافة العصرية التي لا يستغني عنها كل مثقف يتابع ما يجري حوله ، ويشارك في بناء الحياة •

ويتضح مما تقدم ان المجمع العلمي لم يكن مجمعا لغويا فحسب ، وانما كان يعنى بالدراسات العلمية الى جانب البحوث الانسانية التي قد يرجع الاهتمام بها الى ان معظم اعضائه القدامى كانوا من ذوي الثقافة العامة او من المختصين بالدراسات الانسانية ، ولكن الامر اختلف بعد تشكيلته الجديدة سنة ١٩٩٦م

واصبح معظم اعضائه من ذوي الاختصاصات العلمية • وقد انعكس ذلك على نشاطه وصار يولي الدراسات العلمية اهتماما كبيرا •

ولم تكن مجلته ومطبوعاته وندواته وحلقاته النقاشية ومحاضراته السبيل الوحيد في نشر الثقافة ، وانما تقف الى جانب ذلك مكتبته العامرة بالمطبوعات والمخطوطات والدوريات ، اذ يؤمها الباحثون وطلبة الدراسات العليا لينهلوا منها •

وفي المجمع موقع لشبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) وهذه الشبكة تؤدي دورا في نشر الثقافة ، اذ يستقي منها الباحثون المعلومات التي يوظفونها في اغراضهم العلمية ونشر الثقافة الحديثة وما يستجد في العالم من علوم وآداب وفنون لا تتقاطع مع اصالة الثقافة العربية وتعبيرها عن واقع الامة العربية وتطلعاتها المستقبلية •

إن العراق وهو جزء من الوطن العربي يقوم بنشر الثقافة على نطاق واسع ، ويتخذ عدة وسائل لتحقيق ذلك بما لديه من مراكز إشعاع حضاري ليست بعيدة عن مراكز الثقافة في الوطن العربي ، اذ انها تتعاون معها ، وتشترك في المشاريع الثقافية ، وتتفاعل مع الاحداث التي تمر بها الامة العربية • ولم تنغلق دون التيارات الفكرية العالمية التي لا تتقاطع مع الثقافة العربية او تمحو هويتها ، وانما انفتحت على افاق واسعة ، واخذت ما فيه الخير وبناء الانسان العربي المعاصر ثقافة وفكرا وعطاء •

وصفوة القول :

ان العراق ماضٍ في سبيل نشر الثقافة بما اوتي من عزم وقدرة على تخطي المصاعب الكبيرة والاحداث الخطيرة التي مرّت به ، وهاهو اليوم يفتح جامعات جديدة ، وينشيء مراكز ثقافية حديثة ، ويشجع على البحث والتأليف ، وينشر الكتب ، ويصدر المجلات ، وفي ذلك ما يجعله في مصاف الدول التي تقيم للعلم والثقافة وزنا ، وتحترم العلماء والمثقفين •

ملاحظـــة :

راجعت قبل إنشاء البحث :

١ ــ الاحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي ــ عبدالجبار حسن الجبوري ــ بغداد ١٩٧٧م ٠

٢ ــ اسرار الكفاح الوطني في الموصل ــ عبدالمنعم الغلامي ٠

٣ ــ إصدارات المجمع العلمي (١٩٥٠ــ٢٠٠٠م) ــ بغداد ٢٠٠١م ٠

٤ ــ بغداد القديمة ــ عبدالكريم العلاف ــ بغداد ١٩٦٣م ٠

٥ ــ البغداديون ــ اخبارهم ومجالسهم ــ ابراهيم الدروبي ــ بغداد ١٩٥٨م٠

٦ ــ تأريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ــ عبدالرزاق الهلالي ــ بغداد ١٩٧٥م ٠

٧ ــ تأريخ التعليم في العراق في عهد الانتداب البريطاني ــ عبدالرزاق الهلالي ــ بغداد ٢٠٠٠م ٠

٨ ــ تأريخ الموصل ــ سليمان صائغ ــ الموصل ١٩٣٣م ٠

٩ ــ الحركة المسرحية في العراق ــ احمد المفرجي ــ بغداد ١٩٦٥م ٠

١٠ــ الدليل العراقي ــ بغداد ١٩٣٦م ٠

١١ــ قوانين المجمع العلمي العراقي وبيت الحكمة ووزارة الثقافة ٠

١٢ــ كشاف مجلة المجمع العلمي (١٩٥٠ــ٢٠٠٠م) الدكتور عبدالله الجبوري ــ بغداد ٢٠٠٠م ٠

١٣ــ مجالس الادب في بغداد (الجزء الاول) ــ حسين الكرخي ١٩٨٧م •

١٤ــ مجالس بغداد ــ يونس السامرائي ــ بغداد ١٩٨٥م •

١٥ــ مجلة المجمع العلمي العراقي •

١٦ــ محاضرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ــ الدكتور جميل سعيد ــ القاهرة ١٩٥٤م •

١٧ــ المسرحية العربية في العراق ــ الدكتور علي الزبيدي ــ القاهرة ١٩٦٧م •

١٨ــ نقد وتعريف ــ عبدالله الجبوري ــ بغداد ١٩٦٢م •

فضلا عن مشاركتي في الحياة الثقافية وتفاعلي مع الحركات الفكرية البناءة •

نضائد الرصاص الحامضية ماضياً و حاضراً و مستقبلاً

القسم الثاني ـ سُبل تحسين مواصفات وتطوير أداء النضيدة

الدكتور جلال محمد صالح

عضو المجمع العلمي/أستاذ في جامعة بغداد

الملخص :

يتناول هذا البحث عرض بعض المشكلات الحقيقية التي تواجه صناعة نضائد الرصاص الحامضية في العراق والعالم اليوم التي أصبحتْ تُعيق بمجملها حدوث تطور كبير وقفزة نوعية في ميدان هذه الصناعة. ويستعرض البحث بعض الحلول والمعالجات لتلك المشكلات مستندا إلى نتاج البحوث التي أُنجِزتْ ولاسيما خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن المنصرم وفي بداية القرن الجديد. ونذكر من تلك المشكلات موضوع سبيكة الرصاص واطلئة الأنتمون وسُبل تحديد النسبة المثلى للأنتمون فيها لضمان تحقيق المتانة الميكانيكية للمشابك المصنعة منها كي تتحمل بصورة ناجحة عمليات التصنيع اللاحقة وتقاوم التآكل بشكل أفضل وتزول منها التأثيرات السلبية للأنتمون على اداء الألواح.

يتعرض البحث إلى مسحوق اوكسيد الرصاص ، وهو المادة الأساسية في صناعة نضيدة الرصاص الحامضية ، وإلى سُبل تحضيره بالمواصفات الكيميائية والفيزيائية والهندسية الجيدة مع الإشارة إلى العوامل التي تؤثر سلبياً على هذه المواصفات بغية حُسن التحكم بها. إن عملية تعتيق ألواح النضيدة تُعدُ من المراحل المهمة في صناعة النضيدة التي ينبغي فهمها جيداً والسيطرة الجيدة على الظروف المثلى لتحقيقها بهدف الحصول على ألواح فعالة أطول عمراً وأكثر اداءاً.

ويُشير البحث كذلك إلى بعض المضافات إلى الكتروليت النضيدة أو إلى عجينة الواحها لغرض إكساب الألواح القوة الميكانيكية الكافية ومنع تساقط موادها الفعالة في أثناء مراحل التكوين والاستخدام وفي زيادة مساميتها ورفع سعتها الكهربائية وعمر دوراتها. ويتناول البحث أهم مستلزمات إجراء عملية تكوين ناجحة للألواح عقب تعتيقها وذلك من خلال شحن الألواح بتيار خارجي وهي مغمورة في أحواض حامض الكبريتيك وبتعريضها إلى سلسلة من دورات الشحن والتفريغ اللاحقة. ويتطرق البحث في خاتمته إلى ظاهرة انبعاج الألواح الموجبة للنضيدة والتأثيرات السلبية لهذه الظاهرة على عمر تلك الألواح وأدائها ، وإلى كيفية معالجتها.

ثم استخدام هذا الاوكسيد في تحضير عجينة المادة الفعالة (تُسمى ايضاً المعجون) التي تُكسى بها المشابك المحضرة في المرحلة الأولى من التصنيع. وبانتهاء هذه المرحلة تبدأ مرحلة لبخ المشبكات بالعجينة للحصول على ألواح النضيدة ، وهي تمثل المرحلة الثالثة من التصنيع. وتتناول المرحلة الرابعة تعتيق الألواح (بنوعيها السالبة والموجبة) وذلك بوضعها في غرف تتوفر فيها الرطوبة والحرارة اللازمتين لأحداث التفاعلات الكيميائية المطلوبة فيها. وتشمل هذه المرحلة كذلك عملية ((تكوين الألواح)) (Formation) والتي تتضمن شحن الألواح بامرار تيار كهربائي مباشر فيها وذلك لإكمال تحويل الألواح (السالبة والموجبة) إلى التراكيب الكيميائية والبنى البلورية المناسبة المطلوبة منها. أما المرحلة الخامسة والأخيرة من تصنيع نضائد الرصاص الحامضية فأنها تشتمل على تركيب الألواح المحضرة في الأوعية البلاستيكية الخاصة بها وإخراج النضيدة المتكاملة إلى الوجود تمهيداً لتسويقها وإيصالها إلى المستهلك (المخطط ١). وأشرنا في القسم الأول من بحثنا كذلك إلى التركيب الكيميائي لخلية الرصاص الحامضية (الوحدة الأساسية في النضيدة) وإلى تفاصيل التفاعلات الكيميائية التي تحدث فيها خلال عمليتي التفريغ (Discharge) والشحن (Charging) التي تتعرض لها النضيدة.

إنه بالرغم من التقدم الكبير الذي طرأ على صناعة نضائد الرصاص الحامضية وإلى رواج سوق مبيعاتها خلال القرن المنصرم ، وبالرغم من الجهود الجبارة التي بُذلت في العالم لفهم ومعالجة صعوبات ومشاكل صناعة نضائد الرصاص الحامضية ، فأن هذه الصناعة لا تزال تواجه

جملة من المشاكل الكيميائية والفيزيائية والفنية التي ينبغي فهمها بصورة أفضل والعمل على معالجتها والتقليل من تأثيراتها السلبية ، إن هذه المشاكل تستنفد قسطاً غير قليل من المردودات المالية للشركات المصنعة لهذه النضائد. وتواجه صناعة نضائد الرصاص الحامضية في العراق **(معامل بابل)** هذه المشاكل نفسها وبحدة أكبر في بعض الأحيان. ولاستمرار هذه المشاكل من دون معالجة أثارها السلبية بدون شك على جودة النضائد المصنعة وعلى حُسن أدائها.

يتناول هذا البحث عرض بعض أهم هذه المشاكل التي تواجه صناعة نضائد الرصاص الحامضية في العراق والعالم بأسلوب موضوعي واضح وطرح بعض الحلول من اجل التغلب عليها أو الحد منها مستعينين بنتائج البحوث الميدانية التي ساهمتْ بها مختبراتنا البحثية المتواضعة ، ومستعينين كذلك بالمعلومات الحديثة التي تتوفر في أدبيات صناعة نضائد الرصاص الحامضية في العالم. إن المشاكل التي تسترعي الانتباه والمعالجة السريعة يمكن وضعها في الأُطر الآتية :-

١-سبيكة الرصاص واطئة الانتمون.

٢-مواصفات اوكسيد الرصاص وقدرتها الامتصاصية للماء ولحامض الكبريتيك.

٣-عملية تعتيق ألواح النضيدة.

٤-المضافات التي تساهم في تحسين المواصفات والأداء.

٥-توفير مستلزمات إنجاح عملية تكوين الألواح.

٦-تفادي انبعاج الألواح أثناء عملية التكوين.

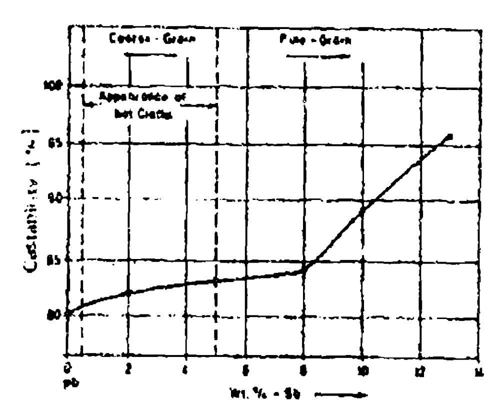
١- سبيكة الرصاص واطئة الانتمون

يتم تصنيع مشابك (Grids) نضائد الرصاص عادة من سبائك الرصاص والانتمون المحتوية على (٥-١١)٪ وزناً من الانتمون. ويُضاف الانتمون إلى الرصاص لغرض إعطاء الرصاص المتانة الميكانيكية اللازمة لتسهيل عملية صب السبيكة وقولبتها، والتأكل الذي يحدث عادة في مشابك الألواح الموجبة من شأنه تحرير الانتمون وإخراجه من المشابك. والانتمون هذا يقوم بمهمتين :

أ- فهو يُكسب المادة الفعالة للألواح الموجبة الاستقرار، ويزيد من عمر الدورة لهذه الألواح ، ويؤدي إلى إزالة تأثيرات السلبية (Passivation) التي قد تتعرض لها هذه الألواح عند استخدام سبيكة رصاص بنسبة عالية نسبياً من الانتمون في بنية مشابكها.

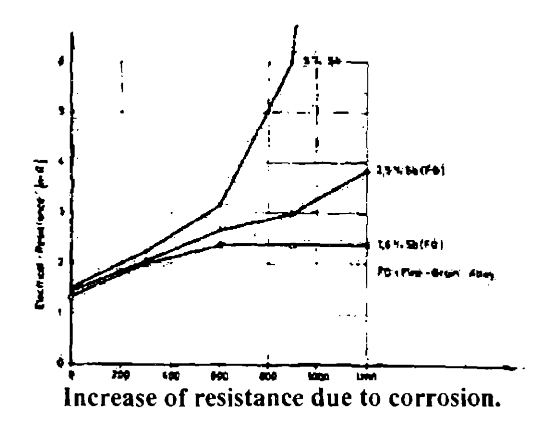
ب- والانتمون المتحرر ينتقل أيضاً إلى اللوح السالب للنضيدة فيترسب عليه ويقلل بذلك من فوق فولتية (Overvoltage) الهيدروجين. ويتسبب هذا في فولتية شحن منخفضة والى حصول زيادة في معدل التفريغ الذاتي للنضيدة مما ينجم عنه فقدان متواصل لماء النضيدة.

يبين الشكل (١) إن قدرة سبيكة الرصاص والانتمون إلى الصب والقولبة تزداد بشكل ملحوظ عندما تزداد النسبة المئوية الوزنية للانتمون في السبيكة على ٨٪. وعندما تقل هذه النسبة عن ١٥٪ تزداد إمكانية هشاشة المشبك وتزداد إمكانية حصول تصدعات ساخنة في بنية السبيكة. ويمكن تحسين خصائص المشابك الفقيرة بالانتمون (أقل من ٥٪ وزناً من الانتمون) باضافة عنصر السلينيوم إليها. إن إضافة



Castability of lead- antimony alloys.

الشكل (١) - أ - قدرة الصب مقدرة بنسب مئوية (٪)مقابل النسب المئوية الوزنية للانتمـــون في سبيكة الرصاص والانتمون. يلاحظ أن السبائك المحتوية على نسب واطئة مـــن الانتمـــون تتكون من حبيبات خشنة في حين أن السبائك التي تحتوي على أكثر من ٦ ٪ مـــن الانتمـــون تكون حبيباتها ناعمة.



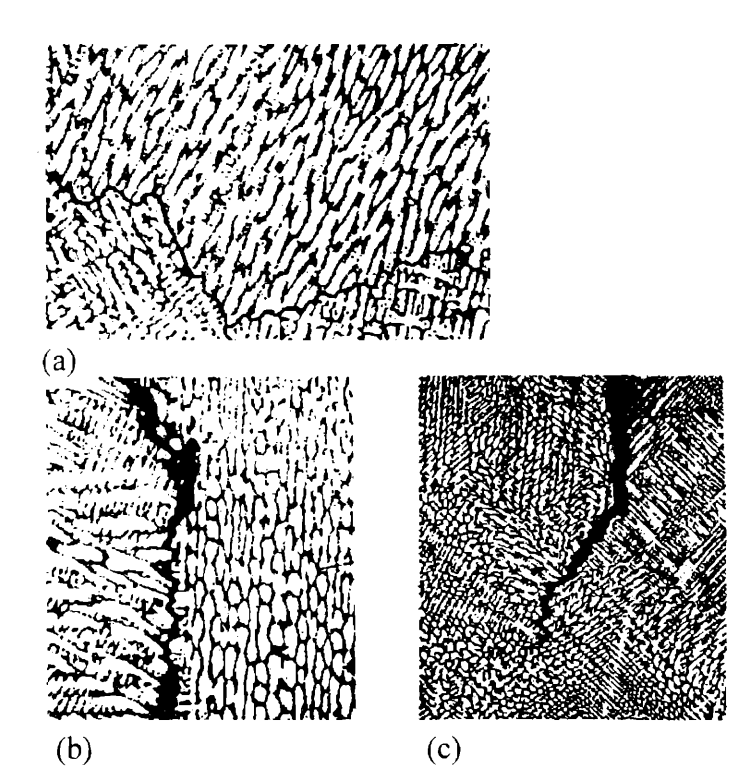
Increase of resistance due to corrosion.

الشكل (١) - ب- ازدياد مقاومة سبيكة الرصاص والانتمون للتآكل بازدياد النسب المئوية الوزنية للانتمون في السبيكة. وتعتمد هذه الزيادة على فوق الشحن (الشحن الإضافي) .

السلينيوم بنسبة وزنية صغيرة إلى سبيكة الرصاص والانتمون التي تحتوي على أقل من ٥٪ وزناً من الانتمون تساعد على تكوين بنية السبيكة من دقائق كروية متصلدة خالية من عيوب الصب (الشكل ٢). السلينيوم المضاف بنسبة (٠,٠٢) ٪ وزناً إلى سبيكة الرصاص واطئة الانتمون يجعل حجم الحبيبات التي تؤلف البنية بحدود (١٠^٣ إلى ٦٠) مايكرومتر. فالبنية البلورية للسبيكة تكون عادة شجيرية وتشتمل على تفرعات في غياب السلينيوم ، وتزول هذه البنية الشجيرية والمتفرعة للسبيكة بإضافة السلينيوم فتصبح بنية الهيكل عندئذ مشتملة على دقائق كروية الشكل وتكون على هيئة حبيبات ناعمة منتشرة في عموم الهيكل.

وهذه الصفة الحبيبية الناعمة تولد خصائص ميكانيكية منتظمة في جميع اتجاهات البنية وتزيد من القدرة المطيلية للسبيكة (الشكل ٣) ، وتزداد حدة هذه الخصائص في سبيكة الرصاص واطئة الانتمون في وجود السلينيوم مع نسب ضئيلة من بعض عناصر التسبيك الأخرى مثل الزرنيخ والقصدير.

وتشير معلومات الأدبيات بشكل ملحوظ إلى أن إضافة السلينيوم إلى سبيكة الرصاص والانتمون المحتوية على (١-٤)٪ وزناً من الانتمون تؤدي إلى تكوين بنية بلورية حبيبية ناعمة ، وان لمثل هذه البنية قدرة اكبر للتكيف في أثناء الصب ، وتؤدي بالحصيلة إلى تحسين نوعية المشابك بدرجة كبيرة. وانه بغياب السلينيوم من السبيكة تكون البنية الشجيرية ذات تفرعات عند التصليد ، وتظهر تصدعات في هيكل السبيكة ويصبح القالب المحضر للمشابك هشاً. وانه بمساعدة بعض العناصر

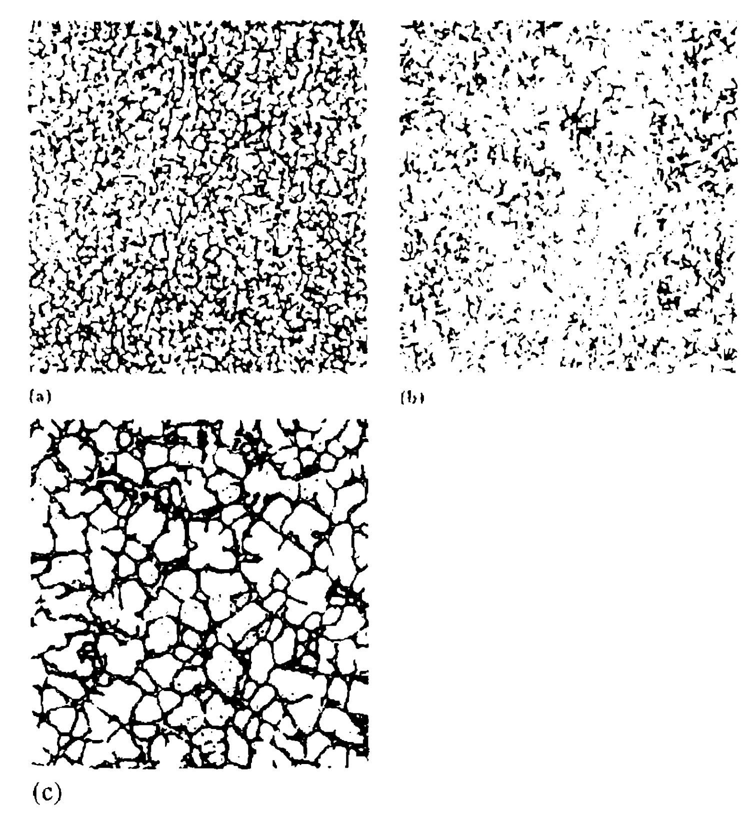


Coarse dendritic cast structure with cracks (lead/ 2% antimony alloy). (a), (b) Industrial grid, (x 100), (c) automotive grid (x 100)

الشكل (٢) ــ أنماط مختلفة من بُنى الصب في ســـبيكة الرصــــاص المحتوية على ٢ ٪ من الانتمون وتكون شجيرية متفرعـــة ويظـــهر فيها خط الشق في البنية.

(a) و (b) نماذج لبُنى خشنة الشجيرات.

(c) أنموذج لبنية ناعمة الشجيرات.



Fine globulitic cast structure (lead/2% antimony/0,02% selenium alloy).(a) Automotive grid (x 50), (b) automotive grid (x 100), (c) industrial grid (x 200).

الشكل (٣) ــ بُنى صَب لسبيكة رصاص تحتوي علـــى ٢% وزنــاً مــن الانتمون وعلى ٠,٠٢ ٪ وزناً من السلينيوم ويلاحظ فيها ظهور حبيبات شبه كروية. الأشكال معروضة بتكبيرات مختلفة.

المضافة الأخرى بجانب السلينيوم ، وباستخدام تقنيـــة التـــبريد الســـريع لمنصهر السبيكة يمكن الحصول على خصائص ميكانيكية جيدة للســـبيكة المحضرة ، وأن المشابك المحضرة منها تتحمل عندئذ عمليات التصنيـــع اللاحقة ، وانه يسهل التعامل مع تلك المشـــابك فـــي مراحـــل التصنيـــع المختلفة.

فالنوعية الجيدة من المشابكِ مع المحتوى الواطئ للسبيكة من الانتمون في وجود المضافات المشار إليها سابقاً تساعد على تحسين مقاومة الألواح الموجبة للتأكل ولاسيما إذا كانت مدة الشحن طويلـــة نســـبياً. وبازديـــاد مقاومة اللوح الموجب للتأكل يمكن تفادي تسمم ألـــواح القطـــب الســـالب بالانتمون.

٢- مواصفات اوكسيد الرصـــاص وقدرتـــها الامتصاصيـــة للمـــاء وحامض الكبريتيك

تُدعى مادة البدء الأساسية فـــي صناعة نضائد الرصاص الحامضيـــة بـــ ((اوكسيد ليدي Leady Oxide)) أو الاوكسيد الرصاصي ، وتســـمى أيضاً بـــ ((الاوكسيد البني Grey Oxide)). تُحضر هذه المادة بمفاعلـــة سبيكة الرصاص (سبيكة الرصاص والانتمون) مع الأوكسجين إمـــا فـــي بودقة بارتن (Barton Pot) أو في طاحونة الكرات (Ball Mill). يتكـــون المسحوق المحضر بهاتين الطريقتين من دقائق ناعمة من الرصاص غير المتأكسد (أو غير المتفاعل مع الاوكسجين) ونسبته حوالـــي (٢٥-٣٠)٪ ومن رصاص متأكسد إلى أُحـــادي اوكســـيد الرصـــاص (PbO) بنحـــو (٧٠-٧٥) ٪. ويكون اوكسيد الرصاص هذا بطـــور ألفـــا (α-PbO) أو بطور بيتا (β-PbO) أو خليطاً من الطورين. وتتكون بعملية اكسدة سبيكة

الرصاص كمية قليلة من الرصاص الأحمر (Pb_3O_4). ويُطلق على هذا الخليط المتكون من الرصاص غير المتأكسد وأُحادي اوكسيد الرصاص (PbO) بطوريه مع الرصاص الأحمر (Pb_3O_4) باوكسيد ليدي أو الاوكسيد الرصاصي أو الاوكسيد البني ، ويُدعى في الأوساط الصناعية اختصاراً باوكسيد الرصاص (الشكل ٤). أن القائمين بصناعة نضائد الرصاص الحامضية لا يكتفون بكمية الرصاص الأحمر الموجودة في المسحوق بل يفضلون إضافة هذا الأوكسيد (Pb_3O_4) المحضر خصيصاً إلى مسحوق الرصاص المنتج بطريقتي بودقة بارتن وطاحونة الكرات. وهذا الاوكسيد (Pb_3O_4) يُعَدُّ بمثابة المادة الأساسية في صناعة نضائد الرصاص الحامضية ذات الألواح الأنبوبية إذ يُستعاض اوكسيد ليدي كلياً بالرصاص الأحمر.

يُستعمل اوكسيد الرصاص الموصوف أعلاه (اوكسيد ليدي) لتحضير العجينة التي تُكسى بها المشابك لتحضير ألواح النضيدة. وتُحضر هذه العجينة من اوكسيد الرصاص وماء وحامض الكبريتيك مع بعض المضافات. وتختلف طبيعة المضافات في عجينة الألواح السالبة عن المضافات التي تُستخدم في عجينة الألواح الموجبة. ولابد من التحكم بشكل جيد في ثبوتية تركيب كل من العجينتين. تُضاف كفاية من الماء كدفعة أولى إلى مسحوق اوكسيد الرصاص الذي يوضع في الخلاط حتى تتكون كتلة رطبة متجانسة غير متماسكة وذلك قبيل إضافة حامض الكبريتيك إليها. وقدرة مسحوق اوكسيد الرصاص الامتصاصية لحامض الكبريتيك تنجم عادة عن المساحة السطحية الكبيرة لدقائق مسحوق اوكسيد

الرصاص. إن الحصول على مثل هذه المساحة السطحية الكبيرة يستدعي نعومة عالية لدقائق مسحوق اوكسيد الرصاص ، أي أن تكـــون دقـــائق المسحوق بأبعاد دقيقة. إن القيمة المثلى لامتصاصية مســـحوق اوكســيد الرصاص لحامض الكبريتيك تقدر عادة بـــ (٢٣٠-٢٥٠) مللـــتر مــن الحامض لكل غرام من مسحوق الاوكسيد. وتتأثر هذه الامتصاصية عــادة بعوامل متعددة منها الضوء والحرارة خلال عملية المزج ، وتتأثر كذلــك بالرطوبة وبالكهربائية السكونية الموجودة على دقائق المسحوق.

أما امتصاصية مسحوق اوكسيد الرصاص للماء فأنها تُحســـب عـــادة بدلالة مللترات الماء الممتصة لكل (١٠٠) غرام من مسحوق الاوكســـيد. وتُعَدُ مثل هذه الامتصاصية بمثابة مؤشر نوعي لمدى ملاءمة الاوكســـيد لخلطة العجينة. ويمكن الاعتماد على قيمة هـــذه الامتصاصيـــة لغــرض التحكم في كمية الماء اللازم للحصول على ثبوتية مثلى لتركيب العجينة.

يُعرف السطح النوعي لأي مسحوق صلب بأنه المســـاحة الســطحية الفعلية للغرام الواحد منه. وتُقاس المساحة السطحية الفعلية لأي مســحوق صلب بطرائق عملية مختلفة لعل أفضلها واكثرها شــيوعاً فـــي الوقــت الحاضر هي طريقة امتزاز غاز النتروجين على سطح المسحوق بدرجــة ٧٨ كلفن. وتُعتمد طريقة بي إي تي (BET) في جميع أنحاء العالم لإيجاد المساحة السطحية الفعلية للمساحيق الصلبة. والسطح النوعي للمادة الفعالة التي تُكسى بها الألواح الموجبة لنضيدة الرصاص الحامضية يتأثر بشــكل كبير بجملة عوامل تتناول :- نوع الاوكسيد المستعمل في تحضير عجينة اللوح ، ويتأثر كذلك بكثافة العجينة وظروف تكوين الألـــواح. ويعتـــبر

السطح النوعي المحسوب بطريقة BET مؤشراً جيداً لمدى فعالية مسحوق اوكسيد الرصاص وقدرته على امتصاص الماء وحامض الكبريتيك ، لذا فهو يساعد بالتالي على تقرير الصيغة المناسبة للعجينة المطلوبة لإكساء المشابك وتحضير الألواح.

إن مسحوق اوكسيد الرصاص المحضر بطريقة بودقة بارتن تمتلك دقائقه توزيع أبعاد (Particle-Size Distribution) وعلى متوسط قُطر (Mean Radius) أكبر مقارنة بدقائق مسحوق اوكسيد الرصاص المحضر بطريقة طاحونة الكرات. وبناء عليه فأن مسحوق اوكسيد الرصاص المحضر بطريقة بودقة بارتن يمتلك قدرة امتصاصية أوطأ للماء ولحامض الكبريتيك ، ويشتمل على محتوى أكبر من اوكسيد الرصاص نوع بيتا (β-PbO). والسطح النوعي لهذا الطور البلوري من اوكسيد الرصاص يكون عادة أوطأ ، ويتمتع المسحوق هذا بعمر رف (Shelf-life) أطول وبفعالية نوعية أقل قياساً بمسحوق اوكسيد الرصاص المحضر بطريقة طاحونة الكرات. وطريقة طاحونة الكرات ، تضمن الحصول على مسحوق تتمتع دقائقه بمتوسط قطر أصغر وعلى محتوى عالٍ ومن اوكسيد الرصاص نوع ألفا (α-PbO). إن هذه الاختلافات في خصائص الاوكسيد المحضر بطريقتي بودقة بارتن وطاحونة الكرات تؤدي إلى حصول اختلافات في العمليات المرافقة لنوعي الاوكسيد المستحصل منهما ، وإلى حصول اختلافات واضحة في أداء ألواح النضيدة المصنوعة من الاوكسيدين.

إن اوكسيد الرصاص المستحصل بطريقة بودقة بارتن اسهل للتـــداول والاستخدام في عمليات التصنيع اللاحقة في حين إن طريقـــة طاحونـــة الكرات تُعين في الحصول على اوكسيد رصاص الذي يتمتع بفعالية أكبر وإلى تكوين ألواح بمتانة أكبر وبسعة أولية أعلى. ويتغير تركيب اوكسـيد الرصاص المحضر بأي من الطريقتين خلال زمن خزنه بسبب التأكســد المستمر لدقائق الرصاص الحر الموجودة فيه إلى اوكسيد رصاص. يبين الشكل (٤) صوراً مجهرية لأوكسيد الرصاص المحضر بطريقتي بودقـــة بارتن وطاحونة الكرات.

وللرطوبة دور مساعد في تصنيع مسحوق اوكسيد الرصاص ، فـــهي تُسرع من اكسدة دقائق الرصاص الموجودة في المسحوق وتقلل من نسبة الرصاص الحـــر غير المتأكسد فيه . وتزداد فعالية النضيـــدة وأداؤهـــا بازدياد محتوى عجينة ألواحها مـــن اوكســـيد الرصـــاص طـــور بيتـــا (β-PbO) وتقل بازدياد محتوى العجينة من اوكسيد الرصاص طور ألفـــا (α-PbO). وعليه فأن وجود طور بيتا (β-PbO) في مســـحوق اوكســـيد الرصاص ونسبته قياساً بنسب مكوناتـــه الأخـــرى مهمـــة فـــي تحديـــد الخصائص المرجوة لألواح النضيدة ومن حسن أدائها. وقد ذكرنا فيمـــا سبق أن نمو بلورات كبريتات الرصاص ($PbSO_4$) في عمليـــة التعتيـــق يكون أسرع وأفضل على سطوح بلورات (β-PbO) وذلك بسبب العـــدد الكبير نسبياً من العيوب البلورية المنتشرة في الشبيكة البلورية لهذا الطور من مسحوق اوكسيد الرصاص. إن طبقة اوكسيد الرصاص من مسحوق اوكسيد الرصاص تكون متصلة بالسطح الخارجي لدقائق المسحوق ، لـــذا

تكون المادة الموجودة في باطن دقائق المسحوق بشكل رصاص حر غير متأكسد. وعلى هذا فإنه كلما زادت نعومة دقائق مسحوق أوكسيد الرصاص زادت النسبة المئوية للرصاص غير المتأكسد فيه. وقد أثبتت البحوث حدوث تغيرات ملحوظة في الترتيب الطوري لمسحوق أوكسيد الرصاص مع زمن (أو مدة) خزنه، نشير فيما يأتي إلى بعضها :-

أ- يؤدي الخزن إلى خفض محتوى المسحوق من الرصاص الحر. فالخزن يتسبب في أكسدة قسم من هذا الرصاص غير المتأكسد وإن كان ذلك يتم ببطء شديد.

ب- الخزن يؤدي إلى أحداث زيادة محسوسة في محتوى المسحوق من أوكسيد الرصاص طور ألفا (α-PbO).

ج- يسبب الخزن زيادة قليلة في محتوى المسحوق من طور بيتا (β-PbO). وعند خزن مسحوق اوكسيد الرصاص المحضر بطريقة طاحونة الكرات يحدث نقص إجمالي في قيمة النسبة $\frac{[\alpha - PbO]}{[\beta - PbO]}$

د- ويزيد الخزن كذلك من نسبة المادة غير البلورية في محتوى المسحوق.

هـ- لما كانت فعالية مسحوق أوكسيد الرصاص تعتمد على قيمة النسبة $\frac{[\alpha - PbO]}{[\beta - PbO]}$ فأنه ليس من المستغرب أن تتغير امتصاصية المسحوق لحامض الكبريتيك مع مدة خزنه. ولابد من أن تؤخذ هذه الأمور بالحسبان عند تحديد تركيب مخلوط العجينة وإلا تعرض أداء النضيدة إلى ضرر كبير.

يتم عادة تبريد (طبلة) طاحونة الكرات إما باستعمال تيار من الماء أو بجريان الهواء المدفوع بقوة إليها، لذا فأن عملية الأكسدة بهذه الطريقة تحدث بدرجة حرارة أوطأ (حوالي ١٨٠° مئوية) قياسا بطريقة بودقة بارتن. وهذا الفرق في درجة الحرارة يسبب اختلافا في نسب مكونات المسحوق من الرصاص الحر ومن طوري ألفا (α-PbO) وبيتا (β-PbO) المستحصلة بالطريقتين. أن تحول الرصاص إلى اوكسيد الرصاص يكون عموما أقل في طريقة طاحونة الكرات، لذا فأن مسحوق الاوكسيد المنتج منها يحتوي على نسبة أعلى من الرصاص غير المتأكسد قياساً بنسبة الرصاص غير المتأكسد في مسحوق اوكسيد الرصاص المنتج بطريقة بودقة بارتن. تبلغ درجة حرارة تحول أوكسيد الرصاص من طور ألفا (α-PbO) إلى أوكسيد رصاص طور بيتا (β-PbO) حوالي ٤٨٠ مئوية، وعلى هذا فأن طور بيتا يتكون بكميات كافية فقط بطريقة بودقة بارتن.

وقد أصبح تقليداً في صناعة نضائد الرصاص الحامضية اعتبار نسبة ١٥٪ وزناً من اوكسيد الرصاص طور بيتا (β-PbO) حداً أعلى مسموح بها من هذا الطور في الاوكسيد المحضر بطريقة بودقة بارتن. والتحكم بالحد الأعلى هذا لمحتوى اوكسيد الرصاص من كل من طوري ألفا وبيتا مهم جداً لأنه ذو علاقة وثيقة بمدى تكوين مركبات كبريتات الرصاص القاعدية المختلفة خلال عمليات تعتيق ألواح النضيدة. وقد أصبح معروفاً لدى المشتغلين في صناعة نضائد الرصاص الحامضية أن :-

١- اوكسيد الرصاص طور ألفا (α-PbO) يحبذ تكوين مركبات ثلاثــــي كبريتات الرصاص القاعدية ($3PbO.PbSO_4.H_2O$) التي يرمز إليها بـــــ (3BS).

٢- واوكسيد الرصاص طور بيتا (β-PbO) يحبذ تكوين مركبات رباعي كبريتات الرصاص القاعدية ($4PbO.PbSO_4$) التي يرمـــز إليــها بــــ (4BS).

أن مركبات كبريتات الرصاص القاعدية هذه (الثلاثية والرباعية منـها) تؤثر في أداء ألواح النضيدة خلال عمليات الشحن والتفريغ التي تتعرض لها النضيدة عقب التصنيع أو الفحص. وقد تبين أن تجاوز النسبة الوزنية المسموح بها من اوكسيد الرصاص طور بيتا (β-PbO) هو مؤشر لسـوء سيطرة المعمل على طريقة بودقة بارتن في إنتـــاج مســحوق اوكســيد الرصاص ، وان هذا التجاوز مضر بأداء ألواح النضيدة لمهامها.

إن تحسن الأداء لألواح النضيدة له علاقة وثيقـــة بالبنيـــة المفتوحـــة والمسامية للمادة الفعالة الموجودة على الألواح وأثرهـــا الإيجـــابي فــي عمليات التعتيق والتكوين اللاحقة التي تتعرض لها الألواح. وهذا النـــوع من البنية البلورية والطبيعة المسامية يسمح بـــــاختراق أكــبر لحــامض الكبريتيك إلى هيكل المادة الفعالة ، وإلى الاستغلال الأفضل لهذه المـــادة في عمل ونشاط ألواح النضيدة. وبالمقابل فأن البنية البلورية ذات الترابط المتقاطع للشبيكة البلورية تساعد في الحفاظ علـــى المتانـــة الميكانيكيـــة للألواح خلال الإجهاد الذي تتعرض له الألـــواح أثنـــاء دورات الشـــحن والتفريغ.

إن الأمور التي تطرقنا إليها في الفقرتين السابقتين لها علاقة كبيرة أيضاً بمشكلات السعة الابتدائية المنخفضة لألواح النضيدة ، وبالقدرة الواطئة لهذه الألواح على تقبل الشحن ، وهي صفات تقترن عادة بسلوك الألواح المعتقة في درجات حرارة عالية (حوالي ٩٠ مئوية) ، أي أنها تقترن بسلوك الألواح المحتوية على مركبات 4BS. ويمكن التغلب على هذه الأنماط السلبية من سلوك ألواح النضيدة من خلال التحكم الأفضل بالمحتوى الأولي لمسحوق اوكسيد الرصاص المحضر من اوكسيد رصاص طور بيتا (β-PbO). ويتم تحقيق ذلك إما من خلال تنظيم أفضل لعملية تصنيع الاوكسيد نفسه (أي لاسيما التحكم بدرجة حرارة الاوكسيد) وإما من خلال مزج الاوكسيد المحضر وتوليفه بكميات محددة من اوكسيد رصاص طور بيتا (β-PbO) التي يتم تحضيرها مسبقاً وعلى انفراد خصيصاً لهذا الغرض.

وقد دلتْ نتائج الأبحاث إن محتوى اوكسيد الرصاص من طور بيتا (β-PbO) يؤثر قليلاً في أداء ألواح النضيدة عندما يتم تعتيق الألواح بدرجات الحرارة الاعتيادية (٢٥ مئوية تقريباً). وعلى العكس من ذلك فانه يحدث زيادة ملحوظة في القيم الأولية والقصوى لسعة ألواح النضيدة عندما يتم تحضير الألواح من مسحوق اوكسيد الرصاص الذي يحتوي على ٢٠ ٪ وزناً من طور بيتا (β-PbO).

ويمكن استخلاص بعض المؤشرات من كثافة مسحوق الاوكسيد المستخدم في تحضير العجينة. فعندما تكون كثافة اوكسيد الرصاص واطئة وتكون امتصاص الاوكسيد للحامض عالية فإننا نحتاج عندئذ إلى

استخدام مقدار أقل من حامض الكبريتيك في تحضير العجينة التي تتمتع بكثافة معينة (٣,٩ إلى ٤ غرام للسنتمتر المكعب مثلاً) قياساً بمسحوق اوكسيد الذي يتمتع بكثافة أعلى وبقدرة امتصاصية للحامض أوطأ. وعلى هذا فأن لكثافة مسحوق الاوكسيد ولمقدار امتصاصيته لحامض الكبريتيك دوراً مهماً في توجيه المشتغلين في صناعة النضائد إلى تفادي إضافة كميات غير ضرورية من الحامض عند تحضير العجينة وذلك لمنع تحول المكونات إلى أُحادى كبريتات الرصاص القاعدية. يبين الجدول (١) بعض خصائص اوكسيد الرصاص المحضر بطريقتي بودقة بارتن وطاحونة الكرات المستخلصة من الأدبيات والمعتمدة من الشركات العالمية لصناعة نضائد الرصاص الحامضية.

الجدول (١) ـ مقارنة لبعض خصائص مسحوق اوكسيد الرصاص المحضر بطريقتي بودقة بارتن وطاحونة الكرات

الخصيصة	طريقة بودقة بارتن	طريقة طاحونة الكرات
ـ امتصاصية الحامض (ملغرامات الحامض H_2SO_4 لكل غرام من الاوكسيد)	٢٠٠ ـ ٢٣٠	٢٦٠ ـ ٢٨٠
ـ متوسط حجم الدقيقة (مايكرومتر)	٨	٥
ـ متوسط المساحة السطحية المقدرة بطريقة BET (بالمتر المربع للغرام)	١,٢ ـ ١,٤	٢,٤ ـ ٢,٨
ـ متوسط الكثافة المقدرة بطريقة سكوت Scott (بالغرام للسنتمتر المكعب)	١,٤ ـ ١,٦	١,٢ ـ ١,٤
ـ متوسط كثافة الرص (بالغرام للسنتمتر المكعب)	٣,٦	٢,٩
ـ الفعالية	جيدة	ممتازة
ـ درجة التأكسد (محتوى الاوكسيد المحضر PbO كنسبة مئوية وزنية)	٦٥ ـ ٨٥	٦٠ ـ ٧٥
ـ الانحراف عن درجة التأكسد المحددة (٪)	$\pm$ ٢	$\pm$ ١
ـ سعة الضمان عند ٧٠٪ من PbO (بالكيلو غرام في الساعة)	٦٥٠ ـ ١٠٠٠	٢٥٠ ، ٥٠٠ ، ١٠٠٠ (بحسب الطاحونة المستعملة)

٣- عملية تعتيق ألواح النضيدة

تُحضر ألواح نضيدة الرصاص الحامضية باكساء مشابك مصنوعة من سبيكة الرصاص والانتمون بعجينة تتألف من مسحوق اوكسيد الرصاص وماء وحامض الكبريتيك وبعض المضافات ، ويجري بعد ذلك تجفيف تلك الألواح في أفران خاصة. ويتم بعد ذلك إدخال الألواح وهي مرصوصة في صناديق أو أقفاص إلى غرف التعتيق حيث تتوفر فيها الرطوبة ودرجة الحرارة اللازمتين لتحويل مكونات العجينة إلى مواد كيميائية بتراكيب بلورية محددة. والمواد الكيميائية المتكونة بعملية التعتيق هي:

١- رباعي كبريتات الرصاص القاعدية $4PbO.PbSO_4$ ويرمز اليها عادة بـ (4BS).

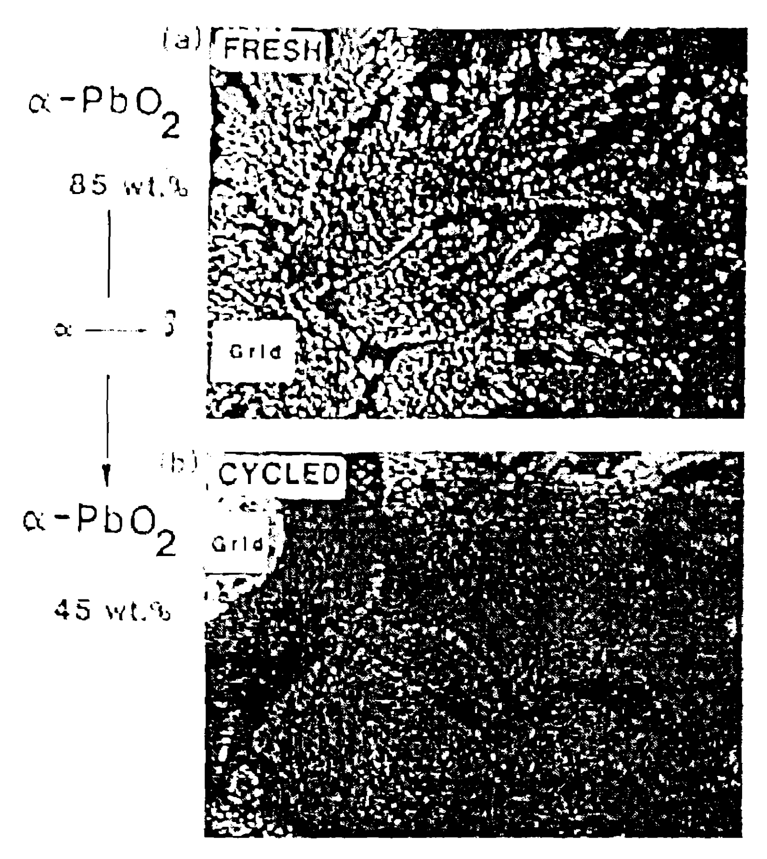
٢- وثلاثي كبريتات الرصاص القاعدية $3PbO.PbSO_4.H_2O$ ويرمز إليها عادة بـ (3BS).

والمواد المتكونة بعملية التعتيق الناجحة لابد من أن تمتلك قواماً متماسكاً وتمتلك قدرة جيدة للالتصاق بهيكل المشبك الساند لها. يبين المخطط (١) تحولات العجينة بعملية التعتيق إلى مركبات (4BS) و (3BS) المشار إليهما أعلاه.

وتتوقف نسبة رباعي كبريتات الرصاص القاعدية إلى ثلاثي كبريتات الرصاص القاعدية (أي النسبة $\frac{4BS}{3BS}$) على الظروف المهيأة في عملية التعتيق. فإذا توفرتْ الرطوبة المناسبة في غرف التعتيق (أكثر من ٩٠ ٪) تصبح درجة الحرارة عندئذ العامل المهم الذي يتحكم

بقيمة النسبة ($\frac{4BS}{3BS}$) ، أي أن درجة الحرارة وحدها ستتحكم عندئذ بتركيب ومكونات المادة المتكونة على الألواح من جراء عملية التعتيق. فإذا زادت درجة الحرارة على ٧٠ مئوية زادت قيمة النسبة ، وتقل القيمة كذلك بخفض درجة الحرارة عن هذه الدرجة.

إن لحجم دقائق (بلورات) المادة الناجمة عن عملية التعتيق علاقة وثيقة بالسعة الكهربائية لألواح النضيدة. ينطوي تحول أي من المادتين (4BS) أو (3BS) إلى ثنائي اوكسيد الرصاص على الألواح الموجبة على تغيرات في البنية الكيميائية والبلورية للمادة الفعالة الملتصقة باللوح. وعملية التكوين (Formation) التي تشتمل على شحن ألواح النضيدة وهي مغمورة في حامض الكبريتيك تؤدي إلى تحويل بلورات (4BS) إلى ثنائي اوكسيد الرصاص من نوع ألفا (α-PbO_2) في حين تتحول بلورات (3BS) بهذه العملية إلى ثنائي اوكسيد الرصاص من نوع بيتا (β-PbO_2) كما هو مبين في المخطط (٢). إن الطور البلوري لألفا ثنائي اوكسيد الرصاص (α-PbO_2) يتكون من بلورات مستطالة ومتشجرة ومتراصة (الشكل ٥) بينما يكون الطور البلوري بيتا ثنائي اوكسيد الرصاص (β-PbO_2) على هيئة تجمعات متراخية غير متراصة وغير محددة الأشكال مترافقة بقلائد من بلورات صغيرة (الشكل ٦). والطبيعة المتراصة والمتماسكة لطور ألفا تُضفي على هذه المادة سطحاً نوعياً منخفضاً (السطح النوعي هو المساحة السطحية للمادة للغرام الواحد منها) وتنجم عنه سعة كهربائية منخفضة في حين تمتلك طور بيتا ثنائي

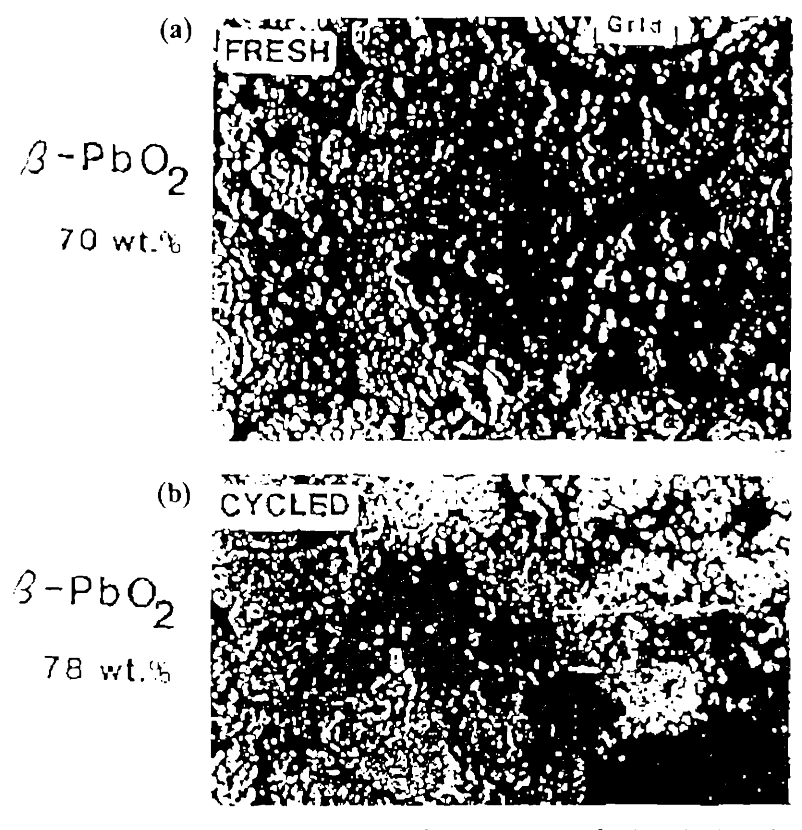


Electron micrographs of α-PbO_2 in: (a) fresh and (b) cycled positive plates.

الشكل (٥) ــ صور مستحصلة بالمجهر الإلكتروني لبنيـــة فــوق اوكسيد الرصاص طور ألفا (α-PbO_2) التي تُغطي مشبك نضيـــدة رصاص حامضية.

(a) بنية محضرة حديثاً.

(b) بنية متعرضة لدورات شحن وتفريغ.



Electron micrographs of β-PbO_2 in: (a) fresh and (b) cycled positive plates.

الشكل (٦) ـ صور مستحصلة بالمجهر الإلكتروني لبنيـة فـوق اوكسيد الرصاص طور بيتا (β-PbO_2) التي تغطي مشبك نضيـدة رصاص حامضية.

(a) بنية محضرة حديثاً.

(b) بنية متعرضة لدورات شحن وتفريغ.

اوكسيد الرصاص سطحاً نوعياً أعلى لذا فهي تمتلك سعة كهربائية أعلى أيضاً ، وهذا واضح من معلومات الجدول الآتي :

الجدول (٢) ــ السطح النوعي(متر مربع للغرام) لبلورات ألفا وبيتا ــ ثنائي اوكسيد الرصاص المحسوب من قياسات المساحة السطحية للمادتين بطريقة BET.

درجة حرارة التعتيق	ألفا ــ PbO_2		بيتا ــ PbO_2
	أنموذج محضر حديثاً	أنموذج بعد التكوين	أنموذج محضر حديثاً
٥٠	٠,١٠	١,٣٠	١,٢٦
٥٠	٠,٤٥	١,٤٨	١,٩٦

والسطح النوعي الأعلى يتسم بالمسامية وباحتواء بلورات بيتا ــ (β-PbO_2) على مسامات مجهرية تسهل انتشار محلول الحامض من خلالها والوصول إلى أعماق مادة الألواح. والسطح النوعي العالي يُكسب الألواح سعة كهربائية أعلى. إن طور ألفا ــ (α-PbO_2) يُكسب بنية الألواح هيكلاً أمتن، وتكون الألواح أكثر عمراً في حين يُجهز طور بيتا ــ (β-PbO_2) طريقاً اسهل لانتشار الحامض من خلال مسامها المجهرية للوصول إلى جميع أجزاء مادة اللوح ، فهي كذلك ترفع من السعة الكهربائية للألواح. والمسام الموجودة بين دقائق الطور البلوري بيتا تجعل البنية البلورية أضعف قياساً بالطور ألفا.

إن بلورات (3BS) تكون عادة أصغر من بلورات (4BS). والألواح الغنية ببلورات (3BS) تتسبب في تكوين بلورات صغيرة الحجم من ثنائي اوكسيد الرصاص نوع بيتا ، وبلورات (4BS). الأكبر حجماً تتسبب في

تكوين بلورات أكبر حجماً من ثنائي اوكسيد الرصاص نوع ألفا وذلك في عملية التكوين التي تعقب مرحلة التعتيق. إن بلورات ثنائي اوكسيد الرصاص (نوع ألفا) الناجمة عن التحولات البنيوية لبلورات 4BS من جراء عملية الشحن تتقاطع معاً على سطح اللوح لتكوين بنية متشابكة تُعطي اللوح المتكون منها القوة والمتانة. وهذه النتيجة أدتْ إلى نشوء فرضية مفادها أن بلورات، 4BS ترجح تكوين ثنائي اوكسيد رصاص نوع ألفا ، وأن بلورات 3BS ترجح تكوين ثنائي اوكسيد رصاص نوع بيتا. وهكذا أمكن التوصل إلى وجود علاقة مباشرة بين تركيب الطور البلوري للمادة المتكونة بالشحن (أي النسبة $\frac{\alpha - PbO_2}{\beta - PbO_2}$) والطور البلوري للمادة التي تَكَونَ منها ، أي النسبة ($\frac{4BS}{3BS}$). إن القيمة المقبولة لأي من النسبتين على المستوى الصناعي هي ٠,٨ وهذه القيمة تدل على أن كمية (4BS) في مادة اللوح المعتق (أو نسبة α-PbO_2 في مادة اللوح عقب التكوين) تكون أقل قليلاً من كمية (3BS). والتحول من α-PbO_2 إلى β-PbO_2 يتم من خلال تكوين كبريتات رصاص ($PbSO_4$) وذلك خلال عملية تفريغ النضيدة ، وهذا مما يزيد من الصفة المسامية لمادة اللوح الموجب. ويبلغ معدل قطر بلورات α-PbO_2 بحدود (٣٥-٤٠) نانومتر في حين يصل قطر بلورات β-PbO_2 إلى حوالي (٢٠) نانومتر. إن البنية المتراصة القوية لنوع ألفا تتحول من خلال التفريغ والشحن إلى البنية الأقل تراصاً والأكثر مسامية لنوع بيتا.

إن اكسدة بلورات (4BS) إلى ثنائي اوكسيد الرصاص في عملية التكوين تبدأ عند سطح البلورات ، وتكون بطيئة في امتدادها إلى أعماق

البلورات ، لذا يبقى جزء محسوس من بلورات (4BS) غـــير مؤكسدة بعملية التكوين وهذا يفسر لنا لماذا تكون السعة الأولية للألواح المحضرة من (4BS) أوطأ بحوالي (٢٠-٢٥) ٪ من القيمة المتوقعة نظرياً. ولابد لمثل هذه الألواح أن تتعرض إلى (١٠-٣٠) دورة شحن وتفريغ متصلة لتصل إلى سعتها المطلوبة.

إن الألواح المتكونة من مواد معتقة تحتوي على نسبة عالية من (4BS) تميل إلى إظهار سعة كهربائية منخفضة قياساً بالألواح المحضرة من مواد معتقة غنية بـ (3BS). فبلورات (4BS) تؤدي إلى تكوين بلورات كبيرة الحجم نسبياً من α-PbO_2 التي تقترن بفعالية كهروكيميائية منخفضة. وشبكية ترابط بلورات (4BS) تزيد من التكامل الميكانيكي لمادة اللوح عقب التعتيق والتكوين. فالمطلوب إذن هو الحفاظ على المزايا التكوينية الجيدة للألواح التي تحتوي على نسبة عالية من α-PbO_2 والعمل في الوقت نفسه على إزالة الخصائص غير المرغوبة فيها. وهذا يسوقنا إلى اتخاذ الوسائل الكفيلة للتقليل من حجم بلورات (4BS) من دون تحطيم البنية الشبكية القوية لها حفاظاً على المتانة التي تضفيها مثل هذه البنية على الألواح. وقد وجد فعلاً إن إضافة بعض المواد إلى العجينة التي تكسى بها المشابك تسبب تقليلاً من حجم بلورات (4BS) دون المساس بقوة ومتانة الألواح. وتدعى مثل هذه المواد المضافة بمُعَدِلات الشكل البلوري (Morphology Modifiers) ، والرصاص الأحمر (Pb_3O_4) هو انموذج حسن من هذه المُعَدِلات.

وهناك عوامل تساعد على ترجيح كمية α-PbO_2 الناجمة عن تكوين بلورات (4BS) بعملية الشحن الكهربائي للنضيدة نذكر منها :

١- الأوساط الحامضية الضعيفة تزيد من تكوين بلورات α-PbO_2 . وحامضية الوسط لا نقصد بها حامضية المحلول فقط ، بل محلول الحامض المتسرب إلى أعماق الألواح كذلك. فإذا قلتْ مسامية الألواح قل إمكان اختراق الحامض لبنية الألواح والوصول إلى أعماقها ، فتنقل بذلك حامضية تلك المواقع العميقة داخل بنية الألواح فيزداد بذلك أُسها الهيدروجيني (pH). وقد ثبت أن زيادة كثافة العجينة تتسبب في تقليل مسامية اللوح المحضر ، كما أن زيادة سمك طبقة العجينة تؤدي إلى إعاقة وصول محلول الحامض إلى أعماق الألواح ، وهذا من شأنه ترجيح تكون α-PbO_2.

٢- وجد علمياً أن زيادة كمية مسحوق اوكسيد الرصاص عن الحد المقرر في العجينة المحضرة تؤدي إلى زيادة كمية اوكسيد الرصاص غير المتفاعل فيها أثناء عملية التعتيق ، وهذا يُسبب ترجيح تكوين طور ألفا ثنائي أوكسيد الرصاص (α-PbO_2) خلال عملية التعتيق.

٣- يجب السيطرة الجيدة على درجة حرارة الألواح خلال عملية شحن الألواح. إن ارتفاع درجة الحرارة عن الحد المقرر تؤدي إلى زيادة نسبة طور α-PbO_2 المتكون في عملية الشحن.

يمتلك أُحادي اوكسيد الرصاص نوع ألفا (رباعي الأضلاع) فعالية أوطأ لتكوين (4BS) قياساً بفعالية أحادي أوكسيد الرصاص نوع بيتا (المعيني المتجاور). ويمكن تحول PbO من نوع بيتا إلى PbO من نوع

ألفا أو العكس خلال حدوث التفاعل في العجينة في مدى درجات الحرارة (٣٥-٨٠) مئوية ، ووجود زيادة من الكبريتات في المزيج من شأنه تثبيط هذا التحول. وعند وجود زيادة من أُحادي اوكسيد الرصاص تكون كبريتات الرصاص القاعدية من نوع (4BS) هي المستقرة في درجة الحرارة الاعتيادية.

٤- المضافات التي تساهم في تحسين المواصفات والأداء

أ- تأثير إضافة الرصاص الأحمر إلى عجينة الألواح الموجبة على أداء النضيدة

يُضاف الرصاص الأحمر (Pb_3O_4) أحياناً وبنسبة (١٠-٢٥) ٪ وزناً إلى عجينة اللوح الموجب لتحقيق بعض الأغراض نذكر منها ما يأتي :

١- الكفاءة الكولومية لأكسدة الرصاص الأحمر عالية ، فهو يساعد على تكوين المادة الفعالة للوح الموجب (وهي PbO_2) من تفاعل أكاسيد الرصاص مع كبريتات الرصاص القاعدية للوح المعتق.

٢- الرصاص الأحمر له حرارة مزج أوطأ مع حامض الكبريتيك قياساً بحرارة مزج اوكسيد الرصاص PbO مع الحامض ، وعلى هذا فأن إضافة الرصاص الأحمر إلى اوكسيد الرصاص (PbO) قبيل تحضير العجينة تساعد على التقليل من الحرارة المتولدة خلال عملية مزج الاوكسيد بالحامض.

٣- الرصاص الأحمر يساعد على تكوين طور بيتا من ثنائي اوكسيد الرصاص (β-PbO_2) ، لذا فأن إضافته إلى العجينة سوف تساعد على تحسين السعة الأولية للوح بعد التكوين.

٤- يضاف إلى ما سبق إن إضافة الرصاص الأحمر إلى عجينة الألـواح الموجبة تقلل من نمو بلورات كبريتـات الرصـاص القاعديـة دون الاضرار ببنية الألواح المتماسكة. فالرصاص الأحمر هو من مُعَدِلات الهيئة البلورية.

دلتْ الدراسات بالأشعة السينية أن المحتوى الابتدائي المخلـوط مـن الرصاص الأحمر يُعاني نقصاناً بنسبة ٥٠ ٪ خلال عملية مزج مكونات العجينة ، ثم يعاني نقصاناً ثانياً ، أو تزداد نسبته خلال عمليـة التعتيـق. ويتوقف نمط تغير محتوى العجينة من الرصاص الأحمر خـلال عمليـة التعتيق على درجة الحرارة والرطوبة اللتين تتعـرض لـهما العجينـة. والزيادة غير المتوقعة التي تحدث في محتوى العجينة مـن الرصـاص الأحمر أحياناً تعزى إلى تحطيم بعض بلـورات كبريتـات الرصـاص القاعدية المتكونة خلال عملية التعتيق.

يتفكك الرصاص الأحمر المضاف إلى عجينة اللوح الموجب وفق أحـد أو كلا التفاعلين الآتيين :

$$Pb_3O_4 + 2H_2SO_4 \longrightarrow 2PbSO_4 + \beta\text{-}PbO_2 + 2H_2O$$

$$Pb_3O_4 + Pb \longrightarrow 4PbO$$

ويتوقف مقدار أي من هذين التفاعلين على الترتيب الذي يُتَّبَـع فـي مزج مكونات العجينة. وقد بينتْ بعض الدراسات أن بعض طرائق المزج تؤدي إلى اختزال ملحوظ في حجم بلورات (4BS) التي تتكون في عمليـة التعتيق بدرجة حرارة عالية (أكثر من ٨٠ مئوية). إن مثل هذا التغيـيـر

الذي يسببه الرصاص الأحمر المضاف من شأنه التغلب على مشكلة السعة الواطئة الأولية للألواح التي تحتوي على نسبة أعلى من بلورات (4BS) القاعدية من دون التأثير على دورة الحياة الفائقة لأداء مثل تلك الألواح ، أي من دون الأضرار بتماسك الألواح ومتانتها.

(ب) إضافة حامض الفوسفوريك للتقليل من تساقط المادة الفعالة

يُضاف حامض الفوسفوريك (H_3PO_4) إلى محلول نضيدة الرصاص الحامضية (وهو محلول حامض الكبريتيك ، ويسمى اختصارا بالالكتروليت) أو إلى معجون اللوح الموجب في أثناء تحضيره من أجل زيادة متانة ألواح النضيدة ، لاسيما الألواح الموجبة ، وكذلك من اجل رفع وزيادة كفاية واداء النضيدة. وسنتطرق إلى كل نوع من الإضافتين على انفراد وبما يستحق من التفصيل والشرح.

(١) إضافة حامض الفوسفوريك إلى الكتروليت النضيدة

يُضاف حامض الفوسفوريك بمقادير تتراوح من (٨) إلى (١٤) غرام لكل لتر من الكتروليت النضيدة ، أي لكل لتر من حامض الكبريتيك الذي يوضع في النضيدة. وقد يكون المقدار المضاف من حامض الفوسفوريك في بعض الاحيان أقل أو أكثر من مدى المقادير التي اشرنا اليها في صدد هذا الموضوع. وقد أُشير في الأدبيات إلى حصول بعض التغير في تركيز حامض الفوسفوريك من جراء دورات التفريغ والشحن التي يتم تعريض النضيدة اليها. فقد ثبت أن حامض الفوسفوريك المضاف يعاني بعض الامتصاص من ألواح فوق اوكسيد الرصاص (PbO_2) الموجبة

خلال عملية شحن النضيدة ثم ينطلق قسم من الحامض الممتص ثانية إلى محلول الألكتروليت. وقد يستدعي الأمر التعويض عن هذا النقص بإضافات لاحقة من حامض الفوسفوريك إلى المحلول الالكتروليتي للحفاظ على تركيز ثابت له في الالكتروليت.

لقد ثبت علمياً أن حامض الفوسفوريك المضاف إلى الكتروليت النضيدة يتسبب في تكوين دقائق قابلة للذوبان من ايونات الرصاص الرباعية Pb (IV) وهي تضم معها بعضاً من حامض الفوسفوريك. وتكوين هذه الدقائق من أيونات الرصاص الرباعية Pb (IV) يتم عادة عند شحن الألواح الموجبة. وعلى هذا فإن محتوى الألكتروليت (أي حامض الكبريتيك) من دقائق Pb (IV) الذائبة يتوقف على محتوى الألكتروليت من حامض الفوسفوريك. وتضفي دقائق Pb (IV) الذائبة لوناً اصفرا لمحلول النضيدة ، وقد تترسب هذه الدقائق أحياناً على هيئة كتلة هلامية بيضاء اللون في قعر محلول الألكتروليت ، أو يبقى قسم منها على هيئة مادة شبه عالقة. وبإمكان دقائق Pb (IV) أو الكتلة الهلامية أكسدة بعض المواد العضوية (مثل الفواصل الخشبية أو الموسعات المضافة إلى المعجون) الموجودة في بنية النضيدة. وينجم عن هذه العملية تكوين رصاص عند الألواح السالبة للنضيدة ، ويتسبب ذلك في الإخفاق المبكر لهذه الألواح وإلى الإخفاق المبكر للنضيدة. إن دقائق Pb (IV) الذائبة أو الموجودة في بنية المادة الهلامية قد تعاني إذن اختزالا عند اللوح السالب للنضيدة فتتحول إلى رصاص. وينجم عن هذا التحول تكوين كتلة تتسبب أحياناً في إحداث دارة قصيرة (Short-Circuit) في النضيدة. وعلى هذا

الأساس فأن دقائق Pb (IV) غير مرغوب فيها بالمرة سواء على هيئة أيونات ذائبة أو في بنية المادة الهلامية التي تحدثها ، ولابد من اتخاذ الخطوات اللازمة لمنع تكوينها. وهذا ما دعا الباحثين الى معالجة تلك المشكلة من خلال اضافة ايونات Fe^{2+} إلى الالكترولايت (بمقدار ٢٠ غرام لكل لتر من الألتروليت) لغرض اختزال دقائق Pb (IV) حيثما وجدت إلى دقائق Pb (II) غير الضارة.

وقد أمكن تسليط الأضواء على التأثيرات المختلفة لإضافة حامض الفوسفوريك إلى الكترولايت النضيدة والتي نذكر بعضاً منها كما يأتي :

أ- يتسبب حامض الفوسفوريك المضاف إلى الكترولايت النضيدة إلى تكوين بلورات دقيقة من كبريتات الرصاص بهيئة منتشرة خلال عملية تفريغ النضيدة.

ب- يعمل الحامض المضاف على خفض معدل تآكل اللوح الموجب ، وهذا من شأنه خفض معدل تساقط المادة الفعالة الموجودة على هذا اللوح.

ج- إن لتكوين دقائق Pb (IV) الذائبة وتكوين المادة الهلامية علاقة وثيقة بتغيرات تركيز حامض الفوسفوريك المضاف إلى محلول النضيدة ، وكذلك بتغيرات دورة الشحن والتفريغ للنضيدة. وتعتمد كمية Pb (IV) المتكونة خلال عمل النضيدة (في عملية التفريغ) على مقدار حامض الفوسفوريك المضاف.

د- أمكن التحقق عما جاء في الخطوة (ج) من خلال نجاح محاولة تحضير دقائق Pb (IV) كيميائياً بتفاعل الرصاص الأحمر (Pb_3O_4)

مع مزيج من حامض الكبريتيك والفوسفوريك. وأمكن الحصول على محلول أصفر اللون بادئ الأمر والذي تحول خلال ساعات قليلة إلى مادة صلبة بيضاء هلامية القوام والتي تحللت كيميائياً لتكوين PbO_2 عند إضافة الماء إليها.

يبين الجدول (٣) تناقص كمية المادة الفعالة المتساقطة من اللوح الموجب في نضيدة من نوع (114Ah) بازدياد تركيز حامض الفوسفوريك المضاف إلى الكتروليت النضيدة.

الجدول (٣) ـ مقدار تساقط المادة الفعالة للألواح الموجبة لكل نضيدة من نوع (114Ah) عند تراكيز مختلفة من حامض الفوسفوريك المضاف (بالغرام لكل لتر من حامض الكبريتيك بكثافة ١,١٨ غم للسنتمتر المكعب) عقب ٦٥ دورة.

تركيز حامض الفوسفوريك المضاف (غرام لكل لتر من الألكتروليت)	مقدار المادة المتساقطة من الألواح الموجبة (غرام لكل خلية)
صفر	٤٠٥٣
٤ في البداية و ١١ بعد ذلك	١٢٤٠
٨ في البداية و ١١ بعد ذلك	١١٠٦
١٢ في البداية	١٧٦٩

ويمكن زيادة تركيز حامض الفوسفوريك المضاف شرط زيادة كثافة حامض الكبريتيك كما هو ملاحظ في معلومات الجدول (٤). ويقل محتوى النضيدة من Pb (IV) بمعدل أكبر بالترسيب وذلك عند زيادة تركيز حامض الكبريتيك. وقد يكون ممكناً عندئذ رفع مقدار حامض

الفوسفوريك المضاف إلى ١٤ غرام لكل لتر من حامض الكبريتيك دون حدوث أضرار جانبية.

الجدول (٤) ــ مقدار تساقط المادة الفعالة من نضيدة من نوع (70Ah) عقب ١٢٣ دورة ، وكذلك مقدار تغير سعة النضيدة كدالة لتركيز حامض الفوسفوريك المضاف إلى حامض الكبريتيك (كثافة ١,٢٨ غم للسنتمتر المكعب)

حامض الفوسفوريك المضاف (غرام لكل لتر)	المادة الفعالة المتساقطة بعد ١٢٣ دورة (غرام لكل خلية)	السعة عقب ١٧٢ دورة (٪ من الطبيعي)
صفر	٦١٢	٨٦
٨	٣٤٤	٨٦
١١	١٩٦	٩٨
١٤	١٠٨	١٠٨

وهناك تقارير في الأدبيات تشير إلى ان إضافة حامض الفوسفوريك بكميات مثلى إلى الكترووليت النضيدة لا تؤدي إلى أية تأثيرات ضارة على أداء وسعة النضيدة ، وعلى العكس تماماً فقد وجد حصول زيادة في السعة بعد مدة معينة من عمل النضيدة.

تضاف كمية من Fe^{2+} كذلك إلى الكترووليت النضيدة لغرض التحكم في تركيز Pb (IV) المتكون. وتتوفر في الأدبيات المعلومات المذكورة أدناه عن تأثير إضافة Fe^{2+} إلى الكترووليت نضيدة الرصاص التي أُضيف إليه حامض الفوسفوريك :

أ‌- تضاف أيونات Fe^{2+} إلى الكترووليت النضيدة عادة على هيئة كبريتات الحديدوز ($FeSO_4$) الذائبة.

ب- إن إضافة $FeSO_4$ إلى الكتروليت النضيدة بمقدار يصل إلى ٠,٠٥ غرام لكل لتر من الألكتروليت لم تؤثر بمقدار ملحوظ على سعة النضيدة وعلى مقدار تساقط المادة الفعالة من ألواحها ، ولم تؤثر سلباً كذلك على فولطية النضيدة.

ج- لم يكن بالإمكان منع تكوين دقائق Pb (IV) بشكل تام إلا عندما بلغ تركيز $FeSO_4$ المضاف إلى ٠,٢ غرام لكل لتر من الألكتروليت. وعند بلوغ هذا التركيز لكبريتات الحديدوز في الألكتروليت حصل انخفاض في سعة النضيدة بمقدار ٥٪ وزاد معدل تساقط المادة الفعالة للألواح عما كان عليه في غياب $FeSO_4$ بمقدار ٨٠ ٪. وبالتحكم في تركيز حامض الكبريتيك المستخدم في النضيدة أمكن استخدام ٣٠ ملغرام من $FeSO_4$ لكل لتر من الألكتروليت مع خفض جرعة حامض الفوسفوريك. وهكذا نرى أن أيونات Fe^{2+} المضافة إلى الألكتروليت مفيدة لمنع تكوين Pb (IV) ولكنها مضرة في نفس الوقت بسبب زيادتها للنسبة المئوية لتساقط المادة الفعالة للوح الموجب قياساً بما كان عليه في غياب $FeSO_4$.

٢- إضافة حامض الفوسفوريك إلى معجون اللوح الموجب

قد يُضاف حامض الفوسفوريك إلى المادة الفعالة للوح الموجب وذلك عند مزج مكونات المعجون الذي تكسي به الألواح الموجبة. لقد ذكرنا سابقاً أن حامض الفوسفوريك المضاف إلى الكتروليت النضيدة (أي المضاف إلى حامض الكبريتيك) يعاني بعض التغير في تركيزه بفعل دورات الشحن والتفريغ التي تفرض على النضيدة المحضرة حديثاً. أما

إذا أضيف حامض الفوسفوريك إلى معجون اللوح الموجب فأن تركيزه يزداد قليلاً في الكتروليت النضيدة خلال دورة شحن النضيدة حتى يبلغ قيمة ثابتة كما هو ملاحظ في معلومات الجدول الآتي :

الجدول (٥) ـ تغيرات تركيز حامض الفوسفوريك المضاف إلى الكتروليت النضيدة أو المضاف إلى معجون اللوح الموجب عقب دورات الشحن والتفريغ أو دورات الشحن فقط.

الحالة	تركيز حامض الفوسفوريك المضاف إلى الالكتروليت (غرام في اللتر) عند:		تركيز حامض الفوسفوريك في مادة اللوح
	الشحن	التفريغ	في حالة الشحن ٪
١	٣,٦	٤,٧	٢,٥
٢	٣,٩	٥,٣	٢,٤
٣	٤,٣	٦,٠٠	٢,١
٤	٤.٧	٦,٥	١,٩
٥	٥,١	٦,٨	١,٧
٦	٥,٣	٧,٠٠	١,٦

يلاحظ في معلومات هذا الجدول أن تركيز حامض الفوسفوريك في الألكتروليت هو أعلى بشكل عام في حالة التفريغ مما في حالة الشحن.

أُجريت سلسلة من التجارب على نضائد تحتوي على ألواح موجبة حُضرتْ باستعمال عجينة تحتوي على (٢-٣) ٪ من حامض الفوسفوريك وجرى فحص دورات الحياة لها باستعمال نضائد قياسية تحتوي على ٩ أقطاب (٤ موجبة و ٥ سالبة) وقورنت بنضائد مماثلة لم تتم إضافة

حامض الفوسفوريك إلى معجون ألواحها ، والنتائج المستحصلة مبينة في الجدول (٦).

الجدول (٦) ـ معلومات عن عمر الدورة في نضائد أضيف حامض الفوسفوريك إلى معجون ألواحها مقارنة بنضائد مماثلة لم تتم إضافة حامض الفوسفوريك إلى معجون ألواحها.

الدورة	معدل التفريغ (ساعة)	السعة (٪)		الفولتية عند بدء التفريغ (فولت للخلية)	
		مع حامض الفوسفوريك	بدونه	مع حامض الفوسفوريك	بدونه
٣٢٠	٥	٦٠	٦٨	٢,٠٤	٢,٠٢
٣٢٥	٥	٥٨	٦٦	٢,٠٣	٢,٠٢
٣٢٦	١٠	٥٨	٦٧	٢,٠٤	٢,٠٣
٣٢٧	١	٥٠	٥٩	٢,٠٣	٢.٠٢

يلاحظ من معلومات الجدول أن سعة النضائد المشتملة على حامض الفوسفوريك هي أوطأ بـ (١٣-١٨) ٪ مقارنة بسعة الخلايا غير المشتملة على حامض الفوسفوريك ، ويتوقف مدى الفرق بين الحالتين على حالة تفريغ النضيدة. ولوحظ أن المادة الفعالة الموجبة في الخلايا التي أضيف حامض الفوسفوريك إلى معجون ألواحها الموجبة قد ألتصقت بقوة بالمشبك قياسا بالخلايا غير المشتملة على حامض الفوسفوريك.

والجدول الآتي يبين تأثير جرعة حامض الفوسفوريك المضاف إلى معجون اللوح الموجب على عمر دورة النضيدة.

تركيز حامض الفوسفوريك في معجون اللوح الموجب (غرام لكل كيلو غرام من أوكسيد الرصاص)	عمر الدورة
٩	٢٢٠
٢٠	٣٢٠
٢٩	٤٩٠
٤٠	٧٢٠

ويمكن تلخيص تأثيرات حامض الفوسفوريك المضاف إلى الكتروليت النضيدة أو إلى معجون اللوح الموجب على النحو الآتي :

١- يعيق تكوين الكبريتات على ألواح النضيدة وذلك عند ترك النضيدة عقب التفريغ العميق لها.

٢- يعجل من تكوين دقائق Pb (IV) عند شحن الألواح على هيئة ذائبة (محلول أصفر اللون) أو على هيئة كتلة هلامية ، وأن هذه الدقائق تتسبب في أكسدة المواد العضوية الموجودة في بنية النضيدة.

٣- يقلل من تأكل الألواح.

٤- يقلل من حدة التفريغ الذاتي للنضيدة.

٥- يؤثر في فولتية الخلية ، ولاسيما على فولتية اللوح الموجب.

٦- يقلل بدون شك من معدل تساقط المادة الفعالة للوح الموجب.

٧- يزيد من عمر دورة النضيدة ، ولاسيما من عمر الألواح الموجبة.

٨- يُقلل سعة الألواح الموجبة بحدود ١٥ ٪ في الخلايا المختومة.

٩- يزيد من سعة الألواح الصفائحية من جراء خفض معدل تساقط المادة الفعالة للألواح الموجبة.

١٠- يتغير تركيزه في الألكتروليت بشكل معاكس لتغير تركيز الكبريتات الناجمة من عملية تفريغ النضيدة.

١١- تكون إضافة حامض الفوسفوريك بمثابة علاج للانحطاط المبكر لسعة النضيدة في النضائد الخالية من الأنتمون في بنية مشابكها. ولوحظ نفس هذا التأثير في النضائد التي صُنعتْ مشابكها من سبيكة الرصاص والكلسيوم.

١٢- وجد أن كبريتات الرصاص المتكونة عقب تفريغ النضيدة تكون على هيئة بلورات صغيرة في وجود مقدار صغير من حامض الفوسفوريك وذلك مقارنة بحجم دقائق بلورات كبريتات الرصاص المتكونة في غياب حامض الفوسفوريك.

طبيعة دقائق Pb (IV) المتكونة بتأثير حامض الفوسفوريك

أمكن بالطرائق الكهركيميائية والكيميائية تحضير كميات محسوسة من مركبات تحتوي على Pb (IV). وقد تبين من هذه الدراسات مايأتي :

١-أن المركب القابل للذوبان الذي يُضفي لوناً أصفر لمحلول الكترولبت النضيدة يتمتع بالصيغة الكيميائية $2PbO_2 . P_2O_5 . X\, H_2O$ ، وتتراوح قيمة X من ٢,٥ إلى ٣. ولم يتم العثور على دقائق كبريتاتية في المركب القابل للذوبان هذا. والدقائق الذائبة من المركب تكون بشكل أيونات سالبة (أنيونات) التي لا تلبث أن تتحلل مائياً لتكوين PbO_2

حتى في وجود حامض الكبريتيك في تراكيز مشابهة لتلك الموجودة في النضيدة.

٢- باستمرار إضافة كميات أُخرى من حامض الفوسفوريك إلى ألكتروليت النضيدة فأن المحلول الأصفر سرعان ما يتحول إلى هلام أبيض اللون يتمتع بالصيغة الكيميائية $PbO_2. P_2O_5. X H_2O$ ولم يتم العثور على دقائق كبريتاتية في هذه المادة الهلامية. وأقترحت تراكيب أُخرى للمركب الهلامي نذكر منها $PbO_2. P_2O_5. SO_3$ وكذلك $[Pb(HPO_4)_2SO_4]X H_2O$. أو الصيغة $H [Pb(HPO_4)_2 HSO_4] X H_2O$ وذكرت تراكيب كثيرة أُخرى ، ولم يتم التحقق من أي من هذه التراكيب بشكل قاطع لحدن الآن.

ج- تأثير البزموث في سرعة التعجين وفي تحسين مسامية الألواح

يُسبب إدخال البزموث في مكونات اللوح السالب خموداً في تفاعل تحرر الهيدروجين خلال الشحن المفرط للنضيدة. أما إدخال البزموث إلى مكونات اللوح الموجب فأنه يسبب زيادة طفيفة في تحرر غاز الأوكسجين. وإضافة البزموث تتم عادة من خلال إضافته إلى مكونات المشبك أو إلى مكونات العجينة التي تكسى بها المشبك لتحضير الألواح. وهكذا نجد أن التناقص الذي يحدث في تحرر الهيدروجين عند اللوح السالب من جراء إضافة البزموث يتوازن مع الزيادة الطفيفة التي تحدث في تحرر غاز الأوكسجين عند اللوح الموجب.

وهناك دلائل تشير إلى أن زيادة محتوى البزموث في مكونات اللوح لأكثر من ٠,١٪ تسبب عزل المادة الفعالة للوح الموجب. وقد ثبت أن

البزموث المضاف إلى اللوح الموجب لا يلبث أن يتسرب من اللوح وينتقل من خلال محلول الحامض إلى اللوح السالب ويترسب عليه. وقد يفيد بعض هذا البزموث في تحسين مسامية هذا اللوح ، وهذا من شأنه زيادة إمكان نفوذ الحامض إلى باطن مادة اللوح ، ويؤدي بالتالي إلى استغلال أكبر لمادة اللوح في النضيدة. ودلتْ التجارب أن البزموث يزيد من تكوين نويات كبريتات الرصاص التي تفيد في زيادة التيار الكهربائي لعملية تفريغ النضيدة ، إلا أنه يزيد في الوقت نفسه عزل المادة الفعالة للوح الموجب فتقل بذلك سعة اللوح.

٥- متطلبات عملية تكوين ناجحة لألواح النضيدة

التكوين (Formation) يشمل تحويل أملاح كبريتات الرصاص القاعدية المتكونة على ألواح النضيدة بعملية التعتيق إلى ثنائي اوكسيد الرصاص على سطح الألواح الموجبة وإلى رصاص اسفنجي على سطح الألواح السالبة. ويتم التكوين عادة بشحن النضيدة بواسطة تيار خارجي ، فتحدث في أثناء هذه العملية اختزال عند اللوح السالب ، إذ يتم اختزال أيونات Pb^{2+} (في كبريتات الرصاص القاعدية وفي الاوكسيد) إلى رصاص اسفنجي. أما عند اللوح الموجب فيتم تأكسد أيون الرصاص الثنائي (الموجود في كبريتات الرصاص القاعدية أو في اوكسيد الرصاص الموجودة في تركيبه) إلى أيون رصاص رباعي في ثنائي اوكسيد الرصاص. إن عملية التكوين تتم بشحن الألواح بتيار مباشر خارجي وهي مغمورة في محلول حامض الكبريتيك وهذه العملية مهمة جداً

للحصول على نضيدة عالية الكفاءة. ولغرض تحقيق عملية تكوين ناجحة للألواح لابد من توفير المتطلبات الآتية :

١- توفير ألواح بنوعية عالية الجودة أو تحضيرها.

٢- توفير دائرة تكوين معتمدة.

٣- إجراء عملية التكوين في ظروف يتم التحكم بها بصورة جيدة.

٤- ضمان إدارة العملية من مشغلين مدربين تدريباً كافياً.

١- نوعية الألواح لعملية التكوين

لغرض الحصول على نوعية جيدة من الألواح فأنه ينبغي أولاً وضع طرائق عمل واضحة ومحددة لجميع مراحل عمل صناعة ألواح النضيدة وذلك قبل البدء بتصنيع الألواح. فالعمليات الإنتاجية المناسبة التي يجب وضعها تحت سيطرة نوعية دقيقة هي : إنتاج مسحوق الأوكسيد بطريقتي بودقة بارتن وطاحونة الكرات ، مزج وتحضير العجينة ، إكساء المشابك بالعجينة ثم تجفيف الألواح المكسوة بها والتعتيق الجيد للألواح.

٢- دائرة تكوين معتمدة

لتحقيق ذلك يلزم توفير الأجهزة والمعدات اللازمة لدائرة التكوين. وهذا يشمل كذلك تحديد حجم التجهيزات اللازمة. يحتاج كل صندوق تجهيزه بـ (٣) فولت من مصدر مباشر. وتعتمد شدة التيار الكهربائي المار في الدائرة على التحميل الأقصى لكل صندوق ، أي على كتلة المعجون الجاف المعتق ، وهي تبلغ في الحالة الاعتيادية ٢٠ إلى ٢٥ أمبير لكل كيلو غرام من المعجون ويمرر في الألواح لمدة (١٦-٢٠) ساعة. ويتوقف مقدار تحميل الصندوق بالألواح بحسب درجة الحرارة.

ففي درجات الحرارة التي تقل عن ٣٥ مئوية يتم وضع ثلاثة ألواح مزدوجة في كل مجموعة ، ويتم تقليص هذا العدد إلى لوحين مزدوجين في المناطق الحارة. ويجب أن يضم مقوم التيار المباشر على مفتاح عاكس للقطبية.

٣- عملية تكوين الألواح

وتشمل السيطرة على عملية تكوين الألواح. لغرض توفير ظروف العمل المستمر لدوائر التكوين (الشحن) والاهتمام بظروف التشغيل للحصول على إنتاج أقصى ، ينبغي :

أ- السيطرة على درجة حرارة التشغيل لتتراوح بين ٤٠ و ٦٠ مئوية.

ب- كثافة محلول الحامض في عملية التكوين يجب أن تتراوح بين ١,٠٣٠ و ١,٠٧٠ غم/سم^{٣} بدرجة ٢٠مئوية.

ج- يتم تشغيل مفتاح القطبية لدائرة التكوين بعد (٣٠-٦٠) دقيقة من بدء الشحن. ويتم تحميل الألواح في الصناديق بصورة معكوسة وتبدأ الألواح الموجبة بالتكوين كألواح سالبة.

د- يتم تغيير قطبية قضبان التماس الخاصة بالصناديق بعد كل عملية وذلك بتحميل الألواح الموجبة على قضبان الألواح السالبة.

هـ- تُعطى شحنات منعشة لقضبان التماس الخاصة بالدوائر الجديدة أو لتلك الدوائر التي توقفت لمدة (٤-٥) أيام.

و- يتم تجديد الحامض في خزان التكوين عقب الاستعمال لمدة (٦٠-٩٠) يوماً لمنع تراكم الشوائب فيه.

تتأثر سعة عملية التفريغ للألواح بالشكل البلوري للمادة الفعالة الموجودة عليها ، وعلى نمط بلورات كبريتات الرصاص الموجودة في العجينة المعتقة. وتتأثر سعة ألواح نضيدة الرصاص الحامضية بعوامل أبعادية مختلفة تشمل سمك اللوحة ، مسامية المادة الفعالة ، السطح النوعي لمادة اللوح ... الخ ، وكذلك تتأثر بظروف التفريغ مثل تيار التفريغ ، تركيز الألكتروليت (حامض الكبريتيك) ودرجة حرارته.

٦- انبعاج الألواح الموجبة خلال عملية التكوين

قد ينجم الانبعاج عن خلل في عملية وضع العجينة على المشابك باستخدام الماكنة. يكون سمك العجينة على اللوح أكبر في الجانب القريب من قمع الماكنة وأقل في الجانب البعيد عن القمع. ويحدث من جراء ذلك تدرج في سمك العجينة الموضوعة على اللوح من الجهة القريبة للقمع نحو جهة حزام الماكنة البعيدة عن القمع. وتميل مثل هذه الألواح (وذلك من جراء تغيرات الحجم التي تحدث في المادة المعتقة خلال مرحلة التكوين الكهروكيميائي إلى ثنائي اوكسيد الرصاص) إلى حدوث انبعاج واضح فيها. ويصبح الجانب الذي كان بعيداً من القمع من اللوح مقعراً. ويحدث انبعاج في اللوح من جراء التعتيق غير المناسب له ، ويُعزى إلى حد كبير إلى النسبة العالية نسبياً للرصاص الحر المتبقي في اللوح والتي تصل إلى (٢-٣) ٪ وزناً ، وكذلك بسبب كثافة التيار العالية في عملية التكوين (أكثر من ٥٠ إلى ١٠٠ أمبير على المتر المربع).

والمعالجات المطلوبة لتفادي انبعاج الألواح الموجبة المحضر آلياً تتناول :

١- مزج جيد للعجينة وتحضيرها ، ويكون نسق خلط مكونات العجينة على النحو : الماء والحامض ثم المكونات الأخرى. ويجب السيطرة على درجة حرارة العجينة خلال التعجين.

٢- يجب الحفاظ على الثبوتية والتجانس الجيد للعجينة ، ويجب أن تحافظ على مستوى مناسب بين الليونة والغلظة.

٣- التعتيق الجيد للألواح للحصول على تحول كيميائي جيد والإبقاء على مستوى واطيء من الرصاص الحر في المادة المعتقة.

٤- الحفاظ على تيار تكوين أمثل للوح.

وقد يحدث الانبعاج بسبب حصول تقصير في تصنيع اللوح. فالألواح تمرر عادة خلال ماكنة تعجين حزامية ، وعند عصر العجينة لإكساء المشابك فأن الهواء الذي تزيحه العجينة ربما لا يجد المجال الكافي للخروج من العجينة. إذ لابد من إعطاء المجال له بالهرب والخروج من العجينة. ولا يتحقق ذلك عادة إلا إذا كان الحزام بالياً أو مُزججاً. وعند حدوث مثل هذه الظروف ، فأن العمال المشتغلين على ماكنة التعجين يلجأون إلى التحكم بقمع التغذية وتسليط ضغط على الألواح. إن مثل هذا التصرف يسبب زيادة في كثافة العجينة عند طرف اللوح القريب عن القمع. وعلى هذا فأنه عند حدوث انبعاج في اللوح الموجب فأنه لابد من البحث أولاً عن حالة حزام التعجين للماكنة والعمل على إصلاحها.

بعض المصادر المعتمدة

١- جلال محمد صالح ، مجلة المجمـــع العلمـي ، ٢٠٠٢ المجلـد ٤٩ الصفحات (١٥-٥٧).

2- D. Prengaman , New Alloys for Advanced Batteries, Proc. Symp. Lead Power for 90s, Paris, France, April (28-29), 1988, Lead Development Association, London, UK.

3- Papageorgiou, M. Skyllas-Kazacos and D.A.J. Rand, in T. Tran and M. Skylas-Kazacos (ed), Proc. Seventh Australian Electrochemistry conf, The University of New South Wales, Kensington, N.S.W. Australia, February, (15-19), 1988, pp.(32-35).

4- T. Blair, in Improvements in Alloys, Oxides and Expanders for Lead Batteries, Lead Development Association, London. 1984, pp.(8-14).

5- D. A. J. Rand, R. J. Hill and M. McDonagh, Improving The Curing of Positive Plates for Lead/Acid Batteries, Proc. LABAT. 89, Int. Conf. Lead/Acid Batteries, Drujba, Varna, Bulgaria, May 29-June 2, 1989, Paper No. 65.

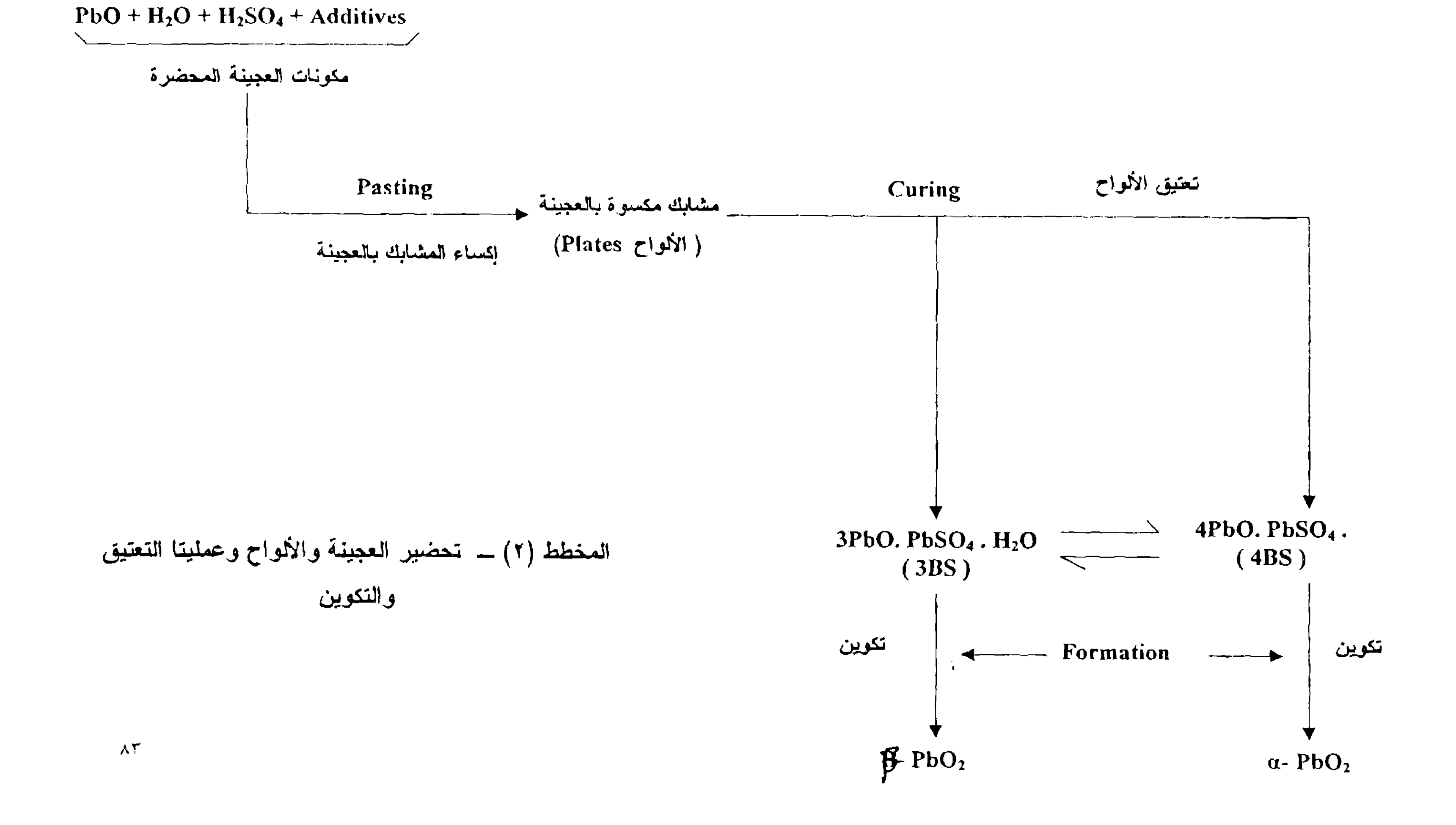
6- D. Pavlov and N. Kapkov. Lead/Acid Battery Positive Plates manufactured from 4PbO. $PbSO_4$ pastes prepared from leady oxide and red lead. Proc. LABAT. 89. Int. Conf. Lead/Acid Batteries, Drujba, Varna, Bulgaria, May 29-June 2, 1989.

7- A. M. Fexwertty and R. J. Hill, PEAKS, a program for quantitative X-ray diffraction phase analysis for lead-acid battery materials, CSIRO/Paeminco Matals, Melbourne, 1989, V3.S.

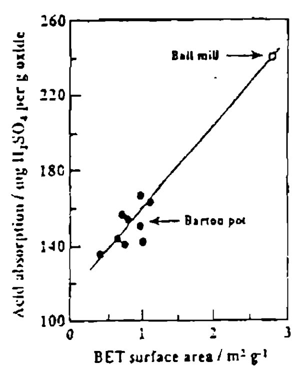
8- M. J. Weighall, D. W. H. Lambert, D. A. J. Rand and W. G. A. Baladsing in T. Keily and B. W. Baxter Power

Sources 12, Int. Power Sources Symposium committee, Lea Therhead, 1989, pp(77-92).
9- L. A. Beckctaeva and K. V. Rybalka, J. Power Sources, 1990, 32, 143.
10- Technical Note, Issue 017, Lead Acid Batteries, 2001, London, p(1-5).
11- Technical Information about Lead Acid Batteries, VRLA type, Canadian Power Technology, 1997-2001, Ontario.
12- O. Dickens, J. Inorg. Nucl. Chem. 1995, 57, 1945.
13- The Battery Matt, 2001, Vol. 43, No. 2, February.
14- T. G. Chang and R. M. Valeriote, J. Power Sources, 1990, 32, (121- 163).
15- D. J. Rand J. Power Sources, 1980, 5, (221-234).
16- K. H. Brockmann, I. G. Mawston, D. A. J. Rand and A. Rayder, J. Power Sources, 1989, 28, (141-146).
17- E. S. Napolen, J. Power Sources, 1987, 19, (196-173).
18- R. J. Hill, J. Power Sources, 1988, 22, (175-177).
19- D. Pavlov and I. Balkanou, J. Electrochem. Science and Tech. 1987, 134(10), (2390-2398).
20- D. Pavlov, J. Power Sources, 1988, 22, (179-182).
21- D. Pavlov and N. Kapkov, J. Electrochem, Soc., 1990, 137 (1), (16-28).
22- T. G. Chang and M. M. Wright, J. Electrochem. Sci. and Techmel., 1981, 128 (4), (719-725).
23- D. Pavlov, E. Bashtavelova, V. Manev and Nasalevska, J. Power Sources, 1987, 19, (15-25).
24- K. Asai, M. Tsubeta, K. Yonezu and J. Power Sources, 1981, 7, (73-82).
25- D. A. J. Rand, J. . Power Sources, 1989, 28, (107-111).
26- D. Berndt and S. C. Nijhawan, J. Power Sources, 1977, 1, (3-15).

المرحلة	مخططات أهم العمليات الفيزيائية والكيميائية والفنية التي تشتمل عليها نضائد الرصاص الحامضية
١	رصاص نقي ← (انتمون ونسب قليلة من عناصر أخرى) ← سبيكة الرصاص والأنتمون ← (صهر وصب قوالب) ← مشبكات الألواح ← استخدام في المرحلة (٤)
٢	رصاص نقي ← (طريقة بودقة بارتن / طريقة طاحونة الكرات) ← مسحوق ناعم من أوكسيد الرصاص ورصاص ← (ماء وحامض ومضافات) ← عجينة اللـــوح الموجب / عجينة اللـــوح الســـالب ← استخدام في المرحلة (٣)
٣	مشبكات الألواح ← (عجينة اللوح السالب) ← ألواح مكسوة بعجينه اللوح السالب ← (تجفيف) ← ألواح القطب السالب غير المعتقة مشبكات الألواح ← (عجينة اللوح الموجب) ← ألواح مكسوة بعجينه اللوح الموجب ← (تجفيف) ← ألواح القطب الموجب غير المعتقة ← استخدام في المرحلة (٤)
٤	ألواح القطب السالب غير المعتقة ← (تعتيق) ← ألواح القطب السالب المعتقة ← (تكوين (شحن)) ← ألواح القطب السالب المشحونة ← (تجفيف تقطيع) ألواح القطب الموجب غير المعتقة ← (تعتيق) ← ألواح القطب الموجب المعتقة ← (تكوين (شحن)) ← ألواح القطب الموجب المشحونة ← (تجفيف تقطيع) ← استخدام في المرحلة (٤)
٥	وعاء النضيدة ← (تركيب الألواح والعوازل) ← ألواح وعوازل مركبة في الوعاء ← (تركيب الغطاء والرؤوس والسدادات) ← نضيدة مكتملة ← (إضافة محلول حامض الكبريتيك من قبل المستهلك) ← نضيدة رصاص حامضية جاهزة الاستعمال

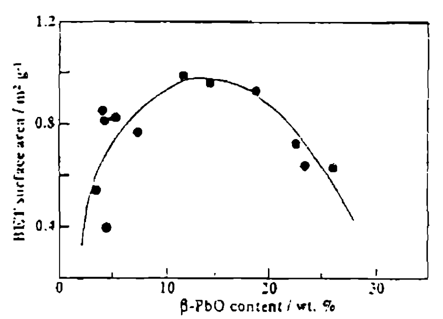


المخطط (٢) ــ تحضير العجينة والألواح وعمليتا التعتيق والتكوين



!. Reactivity of ball-mill and Barton-pot leady oxides [16].

ـ فعالية اوكسيد الرصاص المنتج بطريقتي بودقـــــة بــارتن وطاحونـــة الكرات.



. Influence of β-PbO content on surface area of leady oxide.

ـ تأثير محتوى اوكسيد الرصاص من بيتا اوكســـيد الرصـــاص علـــى المساحة السطحية لاوكسيد الرصاص ليدي.

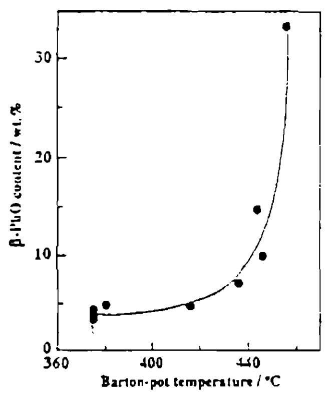
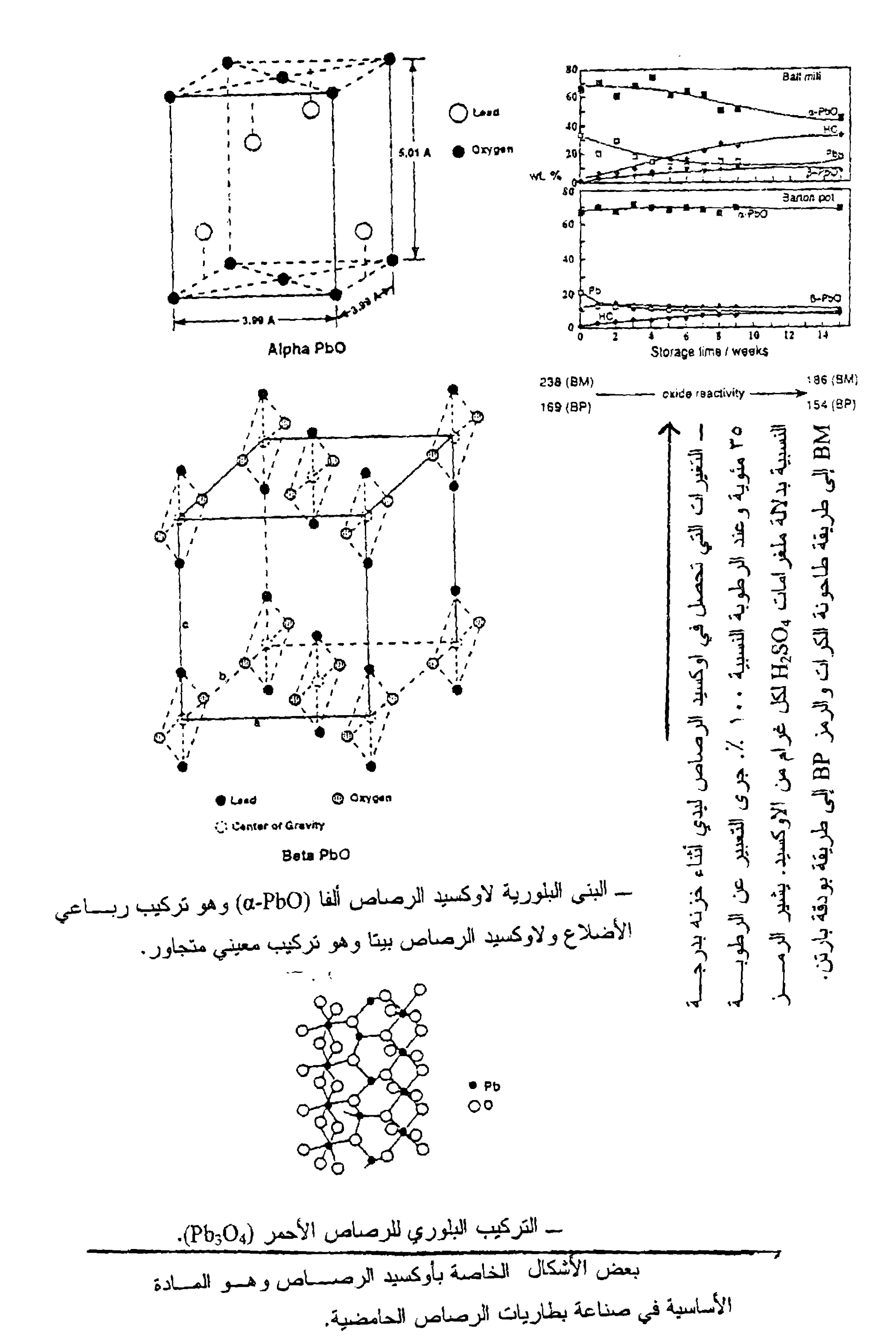


Fig. 3. Influence of temperature on β-PbO content in Barton-pot leady oxide. (Note, the absolute value of the temperature depends on the location of the sensor.)

ـ تأثير درجة الحرارة على محتوى اوكسيد الرصاص من بيتا اوكســـيد الرصاص المنتج بطريقة بارتن.

ـ أ ـ



– التغيرات التي تحصل في اوكسيد الرصاص لبدي أثناء خزنه بدرجة ٣٥ مئوية وعند الرطوبة النسبية ١٠٠ ٪. جرى التعبير عن الرطوبة النسبية بدلالة ملغرامات H_2SO_4 لكل غرام من الاوكسيد. يشير الرمز BM إلى طريقة طاحونة الكرات والرمز BP إلى طريقة بودقة بارتن.

– البنى البلورية لاوكسيد الرصاص ألفا (α-PbO) وهو تركيب رباعي الأضلاع ولاوكسيد الرصاص بيتا وهو تركيب معيني متجاور.

– التركيب البلوري للرصاص الأحمر (Pb_3O_4).

بعض الأشكال الخاصة بأوكسيد الرصاص وهو المادة الأساسية في صناعة بطاريات الرصاص الحامضية.

التداعيات التربوية
لأحداث ١١ / أيلول / ٢٠٠١
وموقف الغرب من الاسلام والمسلمين

الدكتور مسارع حسن الراوي
عضو المجمع العلمي

الملخـــص :

تهدف الدراسة الى عـــرض بعض الاجتهادات للتداعيـــات لاحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ على العالم عامة والعالم الاسلامي خاصة والمنطقة العربية عامة •

وقبل الدخول في الموضوع ، كما تجرى البحوث والدراسات في العلوم الانسانية ، ارتأينا ان من المناسب والنافع لتحقيق الهدف ان تتضمن الدراسة مقدمة ــ وصفا للحدث وأسبابه ، وخلفية تأريخية ، ومنطلقات ، وتوقعـــات مستقبلية •

وبناء على ذلك ستتألف الدراسة من أربعة محاور هي :

اولا : المقدمة : وصف احداث ١١ ايلول واسبابها •

ثانيا : موقف الغرب من الاسلام والمسلمين •

ــ موقف المفكرين والقادة السياسيين •

ــ الخطط والاستراتيجية •

ثالثا : موقف الاسلام من الغرب •

رابعا : التداعيات التربوية لاحداث ١١ ايلول ٢٠٠١ •

خامسا : اقتراح معالم خطوات استراتيجية للمنطقة العربية تجاه الغرب : مـــا العمل • وكيف العمل ؟

اولا : المقدمة

ان احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ وان تبدو للكثير ـ افرادا وجماعات وحكومات ـ فجائية وغير متوقعة والاسيما الاميركان وجماهير الشعب الامريكي ، إلا ان هذه الحوادث الجسيمة حيرت العالم ووضعته في حالة من الذعر والدهشة والقلق وغياب العقلنة في مواجهة الموقف واتخاذ القرارات الحصيفة المستقلة عن ارادة القيادة السياسية الامريكية •

اما اميركا ـ وقيادتها السياسية التي تمثل اعلى مراحل الاستعمار والهيمنة والتسلط ، فقد استجابت لهذا الحادث التاريخي المعروف في اسبابه ودواعيه الخفية والظاهرة ، بالرد الانفعالي واللاعقلاني واللاانساني في ضوء الاستراتيجية التي كانت قد قررت واشنطن انتهاجها في المرحلة القادمة ـ فقد قال جورج بوش : « ان الولايات المتحدة مصممة على النصر في اول حروبها في القرن الواحد والعشرين » • وهذا يعني ان القرن الحالي قرن هيمنة وتسلط من خلال شن الحروب الظالمة والمذابح الجماعية لا قرن سلام وعدل واخاء ومحبة كما تطمح البشرية والعالم اجمع •

لقد كانت ردود الفعل المباشرة للقيادة السياسية الامريكية بعد حوادث ١١ ايلول تصنيف العالم ـ وكأنه ملك اميركا ـ الى قسمين او معسكرين وكما عبر عن ذلك جورج بوش : معنا او مع الارهاب • معهم من يؤيد سياستهم العدوانية وينضم الى معسكر التحالف لمحاربة الارهاب ، وضدهم من لم يؤيد بل يعارض معسكر التحالف وحتى من يقف على الحياد •

وفي ضوء استراتيجية اميركا العدوانيـة في تحقيق العولمة الاقتصـادية والثقافية عن طريق العولمة الحربية اختارت اميركا ما يقارب من خمسين دولـة ومنظمـة في استراتيجيتها لشن سلسلة من الحـروب الطويلـة للقضـاء على « الارهاب » •

لقد كان الاسلام ــ المتمثل بالمنظمات الاسلامية الثورية ــ في مقدمـة الخيارات التي يجب تصنيفها • وقد كان هـذا الموقف تجسـيدا للحـروب الصليبية الاستعمارية وكما جاءت في تصريح جورج بوش الذي عده «زلة لسان» وزلة اللسان في مفهوم خبراء وعلماء النفسـ القدامى والمحدثين مـا هو إلا التعبير الصادق الناطق عن كوامن النفس البشرية الخفية ــ في حالة السـكر والغضب •

والتنظيمات التي كانت في المقدمة التي شنت عليها حرب الابادة باسـم الارهاب هي تنظيمات القاعدة وحركة الطالبان ــ كما اختارت في قائمتها من دول العالم الاسلامي ممن اطلقت عليها محاور الشر المتمثل بالعراق وايـران والمنظمات الشعبية الفلسطينية والاحزاب السياسية الثورية •

وعلى الرغم ان حرب الابادة ضد تنظيمات القاعدة وحركة الطالبـان لا تزال مستمرة ولم يحسم مصيرها حتى الان إلا ان اميركا في سياسـتها الظالمة تشن حربا نفسية مركزة على الـدول الاسـلامية سـداها التخويف والترهيب ، ولحمتها الضغط والاضطهاد ولاسيما على العراق وايران والمنظمات الفلسطينية الثورية التي تخوض حرب التحرير والاستقلال والمصير •

انه مما لا شك فيه ومما لا يخفى على المحلل السياسي المنصف والمـؤرخ الموضوعي العادل ان اسباب احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ تعود في الاساس الـى السياسة الامريكية الاستعمارية الرعناء ضد شعوب العالم والجماهير الكادحة والمؤيدة للانظمة الديكتاتورية الفاسـدة في العالـم عامة والـدول الاسلامية والعربية خاصة ويتمثل ذلك في موقفها السافر المساند للاستعمار الاستيطاني

في فلسطين وما يقوم به الكيان الصهيوني من ظلم وحرب ابادة وتهجير للشعب الفلسطيني من وطنه الاصلي الذي عاش فيه مئات القرون ـ انها ارض وشعب .

ثانيا : موقف الغرب من الاسلام والمسلمين*

السؤال الذي يطرح نفسه : أتنطلق استراتيجة اميركا من فراغ أم أنها ذات جذور تاريخية قد تعود الى الحروب الصليبية التي شنها الغرب الاوربي المتحالف بقيادة بريطانيا ضد الاسلام والحضارة الاسلامية والذي ادى الى احتلال فلسطين وبيت المقدس وانتهت بعد بقاء الاحتلال الاوربي اكثر من مائة سنة الى تحرير فلسطين وبيت المقدس في سنة ١١٩٢ على يد القائد العراقي المسلم ـ صلاح الدين الايوبي .

والتاريخ ـ خير حكم عادل وقوله صدق ـ يؤكد ان موقف الغرب من الاسلام كان ولا يزال تحدده فلسفة الحروب الصليبية الاستعمارية التي استغلت الديانة النصرانية ، ومحاكم التفتيش في الاندلس سنة ١٤٩٢ قد فرضت على المسلمين ترك الديانة الاسلامية وحرمت عليهم استخدام اللغة العربية التي كرمها الله بنزول القرآن فيها ، وكذلك منعت استخدام الاسماء العربية وارتداء اللباس العربي ومن يخالف ذلك يحرق حيا بعد ان يعذب اشد العذاب .

ويلخص لنا « جلال العالم » في كتيبه القيم المركز المعتمد على مراجع تأريخية موثقة والمنشور سنة ١٩٧٩ والذي يحمل عنوان (قادة الغرب) يقولون : (دمروا الاسلام ابيدوا اهله) ، يقول العالم « الامثلة كثيرة لمواقف الغرب المقررة مسبقا من كل مكان من العالم الاسلامي ـ ارتيريا ، بنغلاديش ،

---

* ان تأكيد استراتيجية الغرب في معاداة الاسلام لا ينكر وجود بعض الاصوات المنصفة والداعية الى الحوار .

الجزائر ، سوريا ، العراق ، السودان ، والعدوان الثلاثـي على مصر ١٩٥٦ ، وحرب ١٩٦٧ في فلسطين ــ يكاد الصدر يتفجر ضيقا من تذكرها » .

ومن هذه الامثلة التي صرح بها بعض رجـالات الغرب السياسـيين : (ابو جين روستو) مساعد وزير الخارجية الامريكية ومستشـار الرئيـس جونسون لشؤون الشرق الاوسط حتى ١٩٦٧ الذي يقول : يجب ان ندرك ان الخلافات القائمة بيننا وبين الشـعوب العربية ليست خلافـات بين دول وشعوب ، بل هي خلافات بين الحضـارة الاسـلامية والحضـارة المسيحية ــ انها خلافات عقائدية .

ويتابع ابو جين روستو : ان الظروف التاريخية تؤكد ان امريكا انمـا هي جزء مكمل للعالم الغربي ــ فلسفة وعقيدة ونظاما ، وذلك يجعلها تقـف معادية للعالم الشرقي الاسلامي ، ولا تستطيع امريكا إلا ان تقف هذا الموقف في الصف المعادي للاسـلام والى جانب العالم الغربي والدولـة الصهيونية ، لانها ان فعلت عكس ذلك فانها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها . ان روستو يحدد هدف الاستعمار في الشرق الاوسط هو تدمير الحضـــارة الاسلامية ، وان قيام اسرائيل هو جزء من هذا المخطط وان ذلك اســتمرار للحروب الصليبية[١] .

يقول باترسون سمث في كتابه : « حياة المسيح الشعبية » باءت الحروب الصليبية بالخيبة ، لكن حادثا خطيرا وقـع بعد ذلـك ، حينما بعثت انكلتـرا بحملتها الصليبية الثامنة ففازت هذه المرة . ان حملـة اللنبي على القدس في اثناء الحرب العالمية الاولى هي الحملة الصليبية الثامنة والاخيرة[٢] . وهـذا

---

(١) من كتاب معركة المصير ص ٨٧ـ٩٤ ؛ نقلا عن جـلال العالم مصـدر سابق ص ٣٢ .

(٢) وليم سليمان ، مجلة الطليعة القاهرية ، عدد ديسمبر عام ١٩٦٦ ص٨٤ ، نقلا عن جلال العالم .

جعل كثير من المحللين يؤكدون ان هذا الموقف ليس موقف اللنبي وحده بل موقف السياسة الانجليزية كلها فقد هنأ لويد جورج وزير الخارجية البريطاني الجنرال اللنبي لاحرازه النصر في اخر حملة من الحروب الصليبية ــ الحرب الصليبية الثامنة ــ وهل ينسى التاريخ ما صرح به الجنرال غورو عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق وتوجه فورا الى قبر صلاح الدين الايوبي عند الجامع الاموي وركاله بقدمه وقال له : (ها قد عدنا يا صلاح الدين) .

ويؤكد صليبية الفرنسيين ما قاله مسيو بيدو وزير خارجية فرنسا عندما زاره بعض البرلمانيين الفرنسيين وطلبوا وضع حد للمعركة الدائرة في مراكش اجابهم : « انها معركة بين الهلال والصليب » .

وقال راندولف تشرشل عام ١٩٦٧ بعد سقوط القدس : « لقد كان اخراج القدس من سيطرة الاسلام حلم المسيحيين واليهود على السواء ، ان سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود . ان القدس قد خرجت من ايدي المسلمين . وقد اصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات حول ضم القدس لليهود وانها لن تعود الى المسلمين في اية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود[٣] كما ان هناك اقوالا وتصريحات لكثير من القادة السياسيين والمفكرين الاوربيين يرون الاسلام جدارا في وجه مطامعهم وعدوا خطرا ووحيدا عليهم في بلادهم . والاسلام هو الخطر الحقيقي كما يقول لويس براون في كتاب اصدره عام ١٩٤٤ : كامن في نظامه وفي قدرته على التوسع والاخضاع وفي حيويته . انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوربي[٤].

---

(٣) راندولف تشرشل ، حرب الايام الستة ، ص ١٢٩ .

(٤) مناهج المستشرقين ، الجزء الاول ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ١٩٨٥ ، ص ١٢٩ .

فيقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا سابقا : « ما دام القرآن موجودا في ايدي المسلمين فلن تستطيع اوربا السيطرة على الشرق ولا ان تكون نفسها في امان »[٥].

ويقول المستشرق غاردنر : « ان القوة التي تكمن في الاسلام هي التي تخيف اوربا »[٦] ، ونقرأ في مجلة العالم الاسلامي[٧] عدد حزيران ١٩٣٠ : « ان شيئا من الخوف يجب ان يسيطر على العالم الغربي .. وسبب ذلك ان الاسلام ليس دينا فحسب بل ان من اركانه الجهاد . ولم يتفق قط ان شعبا دخل في الاسلام ثم عاد نصرانيا » .

ويقول اشعيا بومان : من اسباب الخوف ان من اركان الدين الاسلامي الجهاد[٨].

ويقول مورو بيرجر في كتابه العالم العربي المعاصر « ان الخوف من العرب ، واهتمامنا بالامة العربية ، ليس ناتجا عن وجود البترول عند العرب ، بل بسبب الاسلام فما علينا إلا محاربة الاسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدي الى قوة العرب لان قوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الاسلام وعزته وانتشاره .

ويقول : المستشرق الفرنسي كيمون في كتابه باثولوجيا الاسلام : ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس .. وهو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي .. ان الاسلام كله قائم على القسوة والفجور في اللذات .

---

(٥) محمد اسد ، الاسلام على مفترق الطرق ، ص ٣٩ ، نقلا عن جلال العالم ص ٤٠ .

(٦) خالدي وفروخ ، التبشير والاستعمار ، ص ٣٦ ، نقلا عن جلال العالم ص ٥٠ .

(٧) مناهج المستشرقين ، الجزء الاول مصدر سابق ص ١٢٩ .

(٨) خالدي وفروخ ، التبشير والاستعمار ص ١٣١ ، نقلا عن جلال العالم ص ٤٢ .

ويقول الكاردينال بور « كاردينال برلين يوم سقوط القدس » ان المسيحيين لابد لهم من التعاون مع اليهود للقضاء على الاسلام وتخليص الارض المقدسة .

وجاء في كتاب تقدم التبشير العالمي الذي الفه الدكتور غلورو سنة ١٩٦٠ ونشره في نيويورك : ان سيف محمد والقرآن اشد عدو واكبر معاند للحضارة والحرية والحق .. وقال : القرآن خليط عجيب من الحقائق والخرافات ومن الشرائع والاساطير ... وكان محمد حاكما مطلقا وكان يعتقد ان من حق الملك على الشعب ان يتبع هواه ويعمل ما يشاء وقد ارشدهم رسولهم ان يقتلوا كل من يرفض اتباعهم ويبعد عن طريقهم . ويلاحظ ان معظم المستشرقين ـ إلا فيما ندر ـ على الرغم من اختلاف اساليب التناول ومناهج البحث ينتهون في غالب الاحيان الى نتائج متشابهة من بينها :

ـ ان العنصر العربي عنصر متخلف بفطرته وطبيعته الجنسية والمناخية الامر الذي عطل فيهم دوافع الابداع والابتكار .

ـ ان الاسلام دين نهي وأوامر وزجر ، وكبت للحرية والاجتهاد الامر الذي انتج امة فاقدة الشخصية خاضعة للمشيئة ، مسلوبة الارادة .

ـ ان محمدا نبي العرب والمسلمين هو اقرب الى الشخصيات الاصلاحية منه الى الانبياء المرسلين برسالة للعالمين .

ـ ان علاج الامة الاسلامية ونجوتها من الكبوة يكمن في احتذاء النموذج الغربي سلوكا وتطبيقا وثقافة[٩].

---

(٩) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،مكتب التربيةالعربي لدول الخليج العربي مناهجالمستشرقين الجزء الاول ، تونس ١٩٨٥ ، ص١٠ .

انطلاقا من هذه التصريحات والاطر الفكرية يتساءل صناع القرار في السياسة الخارجية الاوروبية ــ الامريكية تجاه العرب والمسلمين • ما العمل ؟ وكيف العمل ؟

فيجيب التاريخ وواقع الاحداث القريبة البعيدة هو ان ليس امام الغرب الا حل واحد هو تدمير الاسلام ومقاتلة المسلمين • وكانت خططهم الخفية والمعلنة منذ قرنين على النحو الاتي[١٠]:

١ ــ القضاء على الحكم الاسلامي والخلافة الاسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية على الرغم من بعد حكمها عن روح الاسلام وبسقوط الخلافة الاسلامية وطرد الخليفة من تركيا اشترطت انجلترا على تركيا المغلوبة في مؤتمر لوزان تعهد الانقلابيين بزعامة كمال اتاتورك ــ الماسوني ــ قطع تركيا صلتها بالاسلام وتختار لها دستورا مدنيا علمانيا بدلا من دستورها المستمد من احكام الاسلام •

٢ ــ القضاء على القرآن ومحوره لاعتقادهم بان هذا القرآن ما دام موجودا فلن تستطيع اوربا السيطرة على الشرق ، ولا ان تكون هي نفسها في امان كما يقول غلادستون •

٣ ــ تدمير اخلاق المسلمين وعقولهم واضعاف صلتهم بالله واطلاق شهواتهم الجنسية والمالية باخراج المسلم من الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالاخلاق الفاضلة التي تعتمدها الامم في التقدم والبقاء :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

---

(١٠) راجع جلال العالم ، قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام ابيدو اهله ص ٦٥ــ٨٤ •

٤ ـ القضاء على وحدة المسلمين والعمل على ابقاء العرب والمسلمين متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير • ولعل اخطر مذكرة اطلعنا عليها ما جاء في قرارات المؤتمر الاوربي المنعقد سنة ١٩٠٧* الذي ضم اضخم نخبة من الخبراء والمفكرين والسياسيين الاستراتيجيين في اوربا برئاسة وزير خارجية بريطانيا ـ بيترمان الذي قال في خطاب الافتتاح :

ان الحضارة الاوربية مهددة بالانحلال والفناء الواجب يقضي علينا ان نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا •

واستمر المؤتمر شهرا من الدراسة والبحث والنقاش واستعرض المؤتمرون الاخطار الخارجية التي يمكن ان تقضي على الحضارة الغربية الآفلة على السقوط • فوجدوا ان المسلمين هم اعظم خطر يهدد اوربا •

اما قرارات المؤتمر التي في ضوئها وضعت معالم خطة بل استراتيجية تم الاتفاق على اعتمادها والالتزام بتنفيذ خطواتها ، وعلى النحو الاتي[11] :

ـ اشاعة الفرقة بين القادة المسلمين وتوسيع شقتها ما امكن حتى يكون هذا الخلاف عاملا في اضعاف المسلمين •

ـ عدم تمكين البلاد الاسلامية والعربية ان يقوم فيها حكم صالح •

ـ افساد انظمة الحكم في البلاد الاسلامية بالرشوة والفساد والنساء حتى تنفصل القاعدة عن القمة •

ـ الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة بانشاء قومية غريبة معادية للعرب والمسلمين في شرق قناة السويس •

وهكذا جاء وعد بلفور ١٩١٧ الذي دعا الى انشاء دولة يهودية في فلسطين بالتعاون مع الحركة الصهيونية العالمية •

---

* وقد ورد في بعض الوثائق ان المؤتمر عقد سنة ١٩٠٢ .

(١١) جلال « قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام ابيدو اهله » ص ٦٣ .

ـ وهكذا جزء الوطن العربي الى دويلات قطرية تحت الانتداب البريطاني او الفرنسي يترؤسها ملوك وامراء مفروضون على شعوبهم ويأتمرون باوامر ساداتهم •

٥ ـ تشكيك المسلمين بمبادىء دينهم والطعن بالاسلام ـ قرآنا ونبيا واحاديث شريفة •

٦ ـ انشاء ديكتاتوريات سياسية عسكرية في العالم الاسلامي ودعم الحكم الفردي التسلطي المناهض للديمقراطية والحرية وحقوق الانسان •

٧ ـ ابعاد المسلمين عن تحصيل القوة الصناعية وتملك تقنيات المعرفة والاسلحة الفتاكة ومحاولة ابقاء المسلمين مستهلكين لسلع الغرب ـ زراعة وصناعة ـ « ويل الامة التي لا تأكل مما تزرع ولا تلبس مما تصنع » •

٨ ـ السعي المستمر لابعاد قادة المسلمين الاقوياء في عقيدتهم من استلام الحكم والسلطة في دول العالم الاسلامي سواء اكانوا افرادا ام جماعات تنظيمية والامثلة على الاخذ بهذا النهج كثيرة في التاريخ القريب كما حدث في الجزائر وتركيا وافغانستان وغيرها •

ثالثا : موقف الاسلام والمسلمين من الغرب*

ان موقف الاسلام تجاه الغرب من يهود ونصارى يمكن التعرف عليه نظريا بالعودة الى جوهر الاسلام ومنابعه الاصلية والاصيلة المتمثلة بالقرآن الكريم وحديث الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وسلم •

وكأي نظرية عقائدية كالاسلام لابد من ان تنبثق منها مجموعة من الاسس والمبادىء والقيم التي تحدد معالم هذه النظرية وملامحها المبنية على كتاب الله وحديث نبيه الاكرم • ومن اهم هذه الاسس والمبادىء التي تمثل

---

* المقصود من الغرب ـ اوربا والولايات المتحدة والكيان الصهيوني من يهود ونصارى •

النسيج الاجتماعي لشؤون الحياة العامة للمسلم وعلاقته مع الاخرين الاتي** :

أ ـ مبدأ التوحيد :

هو الايمان بالله الحي القيوم خالق الكون والوجود الذي يدعو الى نقل الانسان والشعوب من عبادة الفرد الاله الصنم الى عبادة الله الواحد الاحد « الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد»[١٢] .

ان مبدأ التوحيد في جوهره يعني تحرير الانسان من عبودية الاشخاص وعبادة الاشياء الى عبودية الانسان لله ، فلا يخشى احد إلا الله الذي يراقبه ويحاسبه من خلال تربية الوجدان ووخز الضمير .

ان مبدأ التوحيد والايمان « بالله الاكبر » كما عبر عنه جارودي يعني التحرر من عبودية الانسان لاخيه الانسان ومن حاكمية البشر .

ب ـ مبدأ تكريم الانسان والنزعة الانسانية :

ان رسالة الاسلام استهدفت الانسان قيمة اخلاقية عليا ودعت الى احترامه وتكريمه . فالانسان جزء من الكون بل هو اساسه . وكل ما في الكون مسخر لخدمته لخلافة الارض وعمارتها في اطار العقيدة والمثل العليا . ورسالة الاسلام التي بشر بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ـ وحملها العرب الى العالم كافة تتمثل في النزعة الانسانية التي اثبتتها بوضوح تام نصوص الكتاب والسنة . وليس ادل على تكريم الله تعالى للانسان من ذكره في اكثر من سبعين آية من آيات القرآن الكريم . « ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»[١٣] .

** راجع دراسة الدكتور مسارع حسن الراوي « النظرية التربوية في الاسلام والتقدم الحضاري » منشورة في كتاب عالم الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ، سنة ١٩٩٩ ، ص ٦٥ــ٧٤ .

(١٢) الاخلاص : ٣ــ٤ .

(١٣) الاسراء : ٧٠ .

ج ـ مبدأ السببية والنزعة العقلية :

لقد اطلق الاسلام سراح العقل من اسره وفسح له المجال يتصرف ويتبصر بأمور بعيدا عن التقليد والاقتداء باثار الاباء ان كانوا ضالين . وقد جاء ذكر العقل ومشتقاته في القرآن الكريم في اكثر من خمسين آية[١٤] ، ومنها :
« اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون »[١٥]
« ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون »[١٦] ، « كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون »[١٧].

« وثقة الاسلام بالعقل لا يحدها حد إلا احترام اوامر الشرع ... فالمعارف كلها معقولة بالعقل واجبة بنظر العقل ولذلك كان عملهم : الفكر وقرع الحجة بالحجة والدليل ووزن الامور بمقاييسها الصحيحة »[١٨].

وقد اكد الاسلام ضرورة الاخذ باسباب المعرفة واتباع طريق العقل والتفكير والتأمل في اكتسابها . وقد بين جارودي في كتاباته ان الاسلام اوجد علاقات جديدة بين الانسان والطبيعة ينبثق منها علم لا يفصل بين البحث عن الاسباب والبحث عن الغايات .

د ـ مبدأ المساواة والتكافل الاجتماعي :

لقد ساوى الاسلام بين الناس في الاحكام والمعاملة فهو لا يفضل احدا على احد الا بالتقوى والعمل الصالح « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم »[١٩] وقد تجسد مبدأ المساواة في خطاب الرسول العظيم عند حجة الوداع « ايها الناس

---

(١٤) ناجي معروف (اصالة الحضارة العربية) بغداد مطبعة الزمان ، ١٩٦٩ ، ص ١٧٠ .
(١٥) الحديد : ١٧ .
(١٦) الانفال : ٢٢ .
(١٧) الروم : ٢٨ .
(١٨) ناجي معروف ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ .
(١٩) الحجرات : ١٣ .

ان ربكم واحد وان اباكم واحد ، وكلكم لادم وادم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

اما التكافل الاجتماعي وضرورة انفاق المال على الفقراء والمعوزين من خلال الزكاة والصدقات والكفارات فقد اكدته آيات قرآنية متعددة منها « قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال »[٢٠] . كما قال الرسول الاعظم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

هـ ـ مبدأ العدل واداء الامانة :

لقد حض الاسلام على تحقيق العدل وحرص على اشاعة القسط بين الناس في اكثر من اربعين آية قرآنية منها « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى »[٢١] ، « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل »[٢٢] ، « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين »[٢٣] ، « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله »[٢٤] .

وقد اكد الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضرورة تطبيق العدل بين الناس في قوله : من ولي امر المسلمين شيئا فامر عليهم احدا محاباة فعليه لعنة الله » . وقال ايضا : اذا وسد الامر لغير اهله فانتظروا الساعة .

---

(٢٠) ابراهيم : ٣١ .
(٢١) النحل : ٩٠ .
(٢٢) النساء : ٥٨ .
(٢٣) المائدة : ٤٢ .
(٢٤) النساء : ١٣٥ .

ز ـ مبدأ تحمل المسؤولية وتقرير المصير :

لقد حارب الاسلام الاتكالية ودعا الانسان الى تحمل المسؤولية في اتخاذ القرار • وقد اكدت آيات قرآنية ان الانسان هو صانع مصيره في اطار العقيدة واوامر الشرع « كل نفس بما كسبت رهينة »[٢٥] ، « كل امرىء بما كسب رهين »[٢٦] ، « ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون »[٢٧] ، « وان ليس للانسان إلاّ ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى »[٢٨] ، « تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون »[٢٩] ، « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون »[٣٠] ، « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا »[٣١]•

ح ـ مبدأ الشورى في اتخاذ القرار :

اساس الديمقراطية في الاسلام التشاور في الرأي عند اتخاذ القرار العام وعدم التفرد في السلطة في الحكم • وقد اكدت آيات قرآنية مبدأ الشورى والقيادة الجماعية في الدولة والاسرة والحياة العامة « وشاورهم في الامر واذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين »[٣٢] ، « والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون »[٣٣] ، « فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما »

---

(٢٥) المدثر : ٣٨ .
(٢٦) الطور : ٢١ .
(٢٧) الانعام : ١٦٤ .
(٢٨) النجم : ٣٩ـ٤١ .
(٢٩) البقرة : ١٤١ .
(٣٠) البقرة : ٢٨١ .
(٣١) آل عمران : ٣٠ .
(٣٢) آل عمران : ١٥٩ .
(٣٣) الشورى : ٣٨ .

وقوله تعالى عن لسان بلقيس : « يا ايها الملؤ افتوني في أمري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » . فرأي الجماعة لا يمكن ان تُشقى البلاد به على عكس رأي الفرد .

ط ـ مبدا السلام والنزعة للسلم :

دعا الاسلام ورغب في السلم فتحية المسلمين ـ السلام عليكم ـ صباح مساء وعند اللقاء وعند الوداع . والسلام رمز المحبة والالفة والتوادد . والآيات التي تحث على السلم كثيرة منها « يا ايها الذيا امنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين »[٣٤] ، « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم »[٣٥] ، « فاصفح عنهم وقل سلام فسوف تعلمون »[٣٦] ، « ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » .

اما الآيات التي تحث على الحرب فهي نادرة محصورة في مجال الدفاع عن النفس وعند الضرورة القصوى « فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين »[٣٧] ، « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم »[٣٨] ، « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة »[٣٩] ، « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »[٤٠] .

ان هذه المجموعة من المبادىء والاسس العامة والقيم السامية تشكل ـ في شموليتها وتكاملها ومثاليتها وواقعيتها وتنوع منهاجها وتأكيد انسانيتها ـ

---

(٣٤) البقرة : ٢٠٨ .
(٣٥) الانفال : ٦١ .
(٣٦) الزخرف : ٨٩ .
(٣٧) البقرة : ١٩١ .
(٣٨) التوبة : ٤١ .
(٣٩) البقرة : ١٩٣ .
(٤٠) الانفال : ٦٠ .

الاطار الفكري العام للنظرية الاجتماعية للانسان في تصريف شؤون حياته وتدبيرها في الدارين ــ الدنيا والاخرة •

لقد جاء الاسلام للناس عامة وبعث نبيه الاعظم للعالم اجمع « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » كافة ، « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ، « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وفي الحديث « لا فضل لعربي على اعجمي إلا بالتقوى » •

ان العقيدة الاسلامية قائمة على اساس فطرة الانسان التي فطرها الله لتلبية حاجاته الاساسية ــ المادية والاجتماعية والنفسية وقيمه الثقافيه ــ ولتحقيق سعادته واثبات وجوده وذاتيته من خلال بناء شخصيته المتكاملة ــ جسما وعقلا ووجدانا • وعلى اساس مصلحة الجماعة وتنمية المجتمع وخير البشرية والانسانية جمعاء •

ان الآيات البينات والنصوص الواضحة في القرآن الكريم التي تشير بشكل مباشر وتخاطب اهل الكتاب من يهود ونصارى وتدعوهم الى سواء السبيل وطريق الرشاد المستقيم بالحكمة والموعظة الحسنة والحوار الهادىء والجدال الهادف ، كثيرة العدد متنوعة الاشكال والاساليب •

« قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » •

والاسلام والمسلمون يكرمون الانبياء كافة ولا يفرقون بين الرسل فما كان محمد بدعا من الرسل ، قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم •

فالانبياء اخوة من اصل واحد ، ودينهم واحد مصدره الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد .

كما اشار القرآن المجيد في بعض آياته الى نقض اليهود والنصارى المواثيق والعهود مما استحقوا اللعنة والطرد من رحمة الله فصارت قلوبهم قاسية يحرفون كلام الله في التوراة والانجيل ويغالون في دينهم ويتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ويفترون على الله الكذب، انهم لايفلحون. ولنترك القرآن يتحدث عن هذا النقض للعهود : «فبما نقضهم ميثاقهم لعنهم الله وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ، ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به» ، «اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون » ، « يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق » ، « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة خيرا لكم ، انما الهكم اله واحد » ، « وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه » ، « ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعة» ، « لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم ، ان الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا الله » .

لقد نهى الله المسلمين جميعا من اتخاذ اليهود والنصارى اولياء وحلفاء ، كما جاء في قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض » ، « وما يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين ، لعنهم الله وغضب عليهم اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل » ، « فملة الكفر واحدة فمن يتولهم فهو منهم » ، «انهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله » .

وهكذا تبين بوضوح موقف الغرب المتحالف ـ نصارى ويهود ـ المعادي للاسلام والمسلمين كما جاء في كتبهم المحرفة ، وعمليا كما تؤكده حوادث التاريخ ومسيرته الطويلة التي اخذت وتبنت استراتيجية تحطيم الاسلام وتدمير المسلمين وتفريق شملهم والحيلولة دون وحدتهم وتملكهم اسباب القوة والمنعة من ثورة تقنيّة وتقدم علمي وتمسك بالاخلاق الحميدة والقيم السامية •

اما موقف الاسلام من الغرب من يهود ونصارى وغيرهم فكان اساسه التسامح والتعايش السلمي والاحترام لاهل الكتاب وانبيائهم « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » • فلقد تعامل المسلمون في اوج عظمتهم وقوتهم مع اهل الكتاب بالحسنى : فقربوهم وميزوهم عن اهل الشرك والكفر ـ في التزاوج والمصاهرة واكل ذبائحهم ومشاركتهم في الحكم وتولي السلطة السياسية والقيادة الثقافية في الترجمة والتعريب كما شهد ذلك العصر الاموي والعصر العباسي ودولة المسلمين في الاندلس الذي تقلد من اهل الكتاب يهود ونصارى مناصب في الوزارة والامارة •

رابعا : التداعيات التربوية لاحداث الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١

التداعيات التربوية هي حصيلة التداعيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فالاحداث السياسية الجسيمة التي وقعت في ١١ ايلول ٢٠٠١ اثرت وستؤثر اكثر على مسيرة التربية على المستوى العالمي والمستويات القومية •

ان استقراء الحاضر واحداثه واستشراف يؤشر الى تداعيات مصيرية خطيرة وضعت العالم في ازمة اخلاقية حادة تهدد الحضارة البشرية بالسقوط وتجعل الشعوب في ايادي القدر يتحكم في مصيرها المجانين الطغاة الذين همهم التسلط والتفرد في الحكم لشعوب ضالة مسلوبة الارادة ضعيفة

القدرة • وهكذا يريد الغرب الاستعماري من البشرية باسم الارهاب ـ اما ان يكون معهم او مع الارهاب •

ولقد آن الاوان الى القاء الضوء على هذه التداعيات المتراكمة السياسية الأقتصادية والاجتماعية والنفسية وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة على التربية ومستقبلها في المنطقة العربية ولعل ابرز هذه التداعيات الاتي :

١ ـ استمرار اخطار الاستعمار الجماعي العالمي ـ متعدد الجنسيات ـ بقيادة الولايات المتحدة في تهديد امن الاقطار ذات الارادة السياسية المستقلة التي ترفض الهيمنة الامريكية وتقول لا • وما محاولة تدمير العراق ـ حصارا وغزوا إلا نموذج حي لتحالف المستعمرين والعملاء باسم الارهاب وحقوق الانسان •

٢ ـ استمرار الصراع بين الشمال والجنوب وبين الاغنياء والفقراء على المستوى العالمي والمستوى القطري • صراع بين عشرين بالمائة من البشرية تملك ٨٠٪ من الثروة العالمية وبين ثمانين بالمائة من الفقراء تملك ٢٠٪ •

٣ ـ المزيد من الصراع بين القيم المادية والقيم الاخلاقية ، بين الانانية في التملك وبين الانسانية في الكينونة ، وتراجع المسؤولية الجماعية لصالح الفردية وطغيان الحقد والتعصب وقانون الغاب في البقاء للاقوى مما ينبيء بسقوط الاخلاق واهتزاز القيم وغياب المبادىء في العمل السياسي والدبلوماسي في التعامل بين الدول في العالم •

٤ ـ سيطرة الشعور بالقلق والعدوان على مليارات من البشر في العالم • ومنبع هذا القلق والخوف من المستقبل يكمن كما يرى جارودي في تزايد البطالة وغياب الامن وتسلط العنف • وهذه الحالة النفسية المضطربة للانسان المعاصر تجعل حياته ليست ذات معنى ، يسودها اللامبالاة والضياع ويهدد الحضارة البشرية بالانهيار والانحطاط •

٥ ــ المزيد من التهديد المستمر ترهيبا وتخويفا للسلطات الحاكمة في المنطقة العربية من السقوط واستبدال قيادتهم في حالة التردد في الاذعان لسياسة الغرب في السيطرة والقبول بالحلول الاستسلامية مع الكيان الصهيوني •

٦ ــ استمرار الانتفاضة الفلسطينية في الجهاد من اجل التحرير واقامة دولة فلسطين الحرة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف مما سيؤدي الى خلافات واختلافات بين السلطة الفلسطينية القائمة التي تمارس سياسة الواقع ودبلوماسية ليس في الامكان احسن مما كان ، من خلال المفاوضات وبين الفصائل الثورية الفلسطينية المؤمنة بالجهاد والكفاح المسلح طريق تحقيق الاهداف القومية • املنا ان هذا الاختلاف في الموقف لن يؤدي الى صراع واقتتال •

٧ ــ الصراع الخفي والمعلن بين الشارع والجماهير العربية في المنطقة العربية ، وبين السلطات الحاكمة من رؤساء وملوك وأمراء الذي قد يؤدي الى التغيير في بعض القيادات لصالح الشعب وقد يؤدي الى التغيير الشكلي في الوجوه عن طريق التدخل الغربي •

٨ ــ استمرار الصحوة الاسلامية في دعوتها المزيد من التمسك بالتعاليم الاسلامية ومبادىء الدين الحنيف ولاسيما ركن الجهاد بوصفه وسيلة لمجابهة تحدي الاستعمار الغربي وموقفه المعادي لتدمير الاسلام وقتل اهله من المسلمين بلا رحمة باسم الارهاب والعولمة مما سيؤدي الى انتشار القلق والذعر في اهل الغرب من نصارى والكيان الصهيوني من يهود ، وغياب الامن والسلام في المنطقة العربية والعالم اجمع •

ان هذه التداعيات النوعية ــ القديمة الجديدة ــ التي افرزتها احداث ١١ ايلول وزادتها حدة وشدة على المستوى العالمي ومستوى المنطقة العربية ستدفع السلطات الحاكمة في كثير من الاقطار العربية الى توجيه المزيد من

ميزانياتها العامة الى التسلح واستيراد الاسلحة والمعدات العسكرية لحماية الانظمة السياسية والحفاظ على السلطة مما سيؤدي الى تهميش الميزانية المخصصة لخطط التنمية الشاملة عامة وخطط التنمية البشرية خاصة ــ تأهيلا واعدادا وتدريبا •

ان من اهم القضايا التربوية الساخنة التي ستبرز بوضوح في المنطقة العربية على الامد القريب والبعيد نتيجة لهذه التداعيات هي :

ــ انتشار رقعة الامية بمفهومها الابجدي والحضاري في كثير من الاقطار العربية وتهميش حركة تعليم الكبار •

ــ انحسار الجهود الرسمية المبذولة في تعميم التعليم الاساسي في المنطقة العربية والاخفاق في تطبيق الزامية التعليم الابتدائي ومجانيته لخالق المجتمع المعلم ــ المتعلم •

ــ انخفاض مستوى التعليم العام ــ مدخلات ومخرجات ــ وتردي نوعية التعليم النظامي الرسمي والتوجه نحو تغيير المناهج التعليمية بما يتمشى والتغيرات السياسية •

ــ انفصال التعليم عن الحياة الاجتماعية ذات الابعاد الانسانية والقيم الخلقية وانتشار تعليم جديد يؤكد سوق العمل والوظائف وادارة الاعمال واستخدام الحاسوب •

ــ انحسار الجهود الشعبية والمشاركة الطوعية للمنظمات المهنية في النهوض بالتعليم كما وكيفا •

ــ تهميش بل اهمال دور المفكرين والمثقفين والاساتذة في اتخاذ القرارات ورسم السياسات التعليمية ، والمزيد من غياب الحريات العلمية في التفكير والتعبير •

- انخفاض المستويات العلميـة والمهنية للمعلم العربـي وتردي مكانتـه الاجتماعية والاقتصادية بحيث يصبح الاقبال على مهنة التعليم قليـلا لغياب الدوافع الداخلية والمحفزات الخارجية •

- انتشار رقعة التعليم الاهلي ذي الاهداف المادية في كسب الارباح ممـا يؤدي الى تردي النوعية وانخفاض في مستوى التعليم •

- تغليب الاتجاه القطري على الاتجاه القومي في الاهداف والمناهج التعليمية مما سيؤدي الى التقليل من الاهتمام باللغة العربية والثقافة القوميـة والحملة الايمانية •

- طغيان المركزية في الادارة التعليمية ، وزارة واجهزة ، تخطيطا واشرافا ـ مما سيؤدي الى زيادة التأخر في عمليات التنفيذ للخطط التعليمية •

- زيادة في فقدان التوازن في الخدمات التعليمية التي تقدم للمواطنين مـن ابناء القرى والارياف •

خامسا : ما العمل ؟ ملامح استراتيجية مقترحة ـ الامة العربية انموذج ـ

ان معرفة قوى العدو من يهود ونصارى ، وتحديد مواقفه على حقيقتها ، ومعرفة قوى الامة العربية ـ حكومات وشعوب ـ تاريخا وواقعا دون تهويل ولا تهوين والسعي لتوعية الناس ـ كل الناس ـ بهذه الحقائق على حلاوتها ومرارتها هي الخطوة الاولى في طريق تحقيق اهداف الاستراتيجية في الوحدة والتحرر والعدالة الاجتماعية والانتصار على الاعداء • فايمان الفرد العـربي بالله وطاقات الامة وقدرتها على الخلق والانطلاق نحو حياة افضل ، يوجـب عليه الصبر الجميل والمصابرة على الشدائد والكوارث والعمل بروح التفاؤل والامل في غد موعود : « لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون » ، علـى الرغم من ظروف القسوة والمعاناة والعهود الصعبة والتجارب المرة التي عاشتها المنطقة العربية من جراء النكبات والهزائم المخزية المتعاقبة منذ نكبة فلسـطين عام ١٩٤٨ ومرورا بـ ١٩٦٧ واتفاقية كامب ديفيد واوسلو وغيرها •

لقد تبين من تحليل موقف الغرب المعادي للاسلام والمسلمين ووحدة العرب في ظل الاسلام ، ان الامر يستوجب التنبيه والتوعية على المستوى الرسمي والشعبي بالاخطار الجسيمة التي تواجه الامة العربية ، حكومات وشعوبا وضرورة وضع استراتيجية عربية مناهضة لاستراتيجية الغرب وسياسة الكيان الصهيوني في تهديد الوجود العربي المتمثل في الشعار « حطموا الاسلام : ابيدوا واقتلوا اهله » •

ان معالم الاستراتيجية المقترحة عقلانية انسانية لصالح الاسلام والمنطقة العربية ، انها استراتيجية بعيدة الامد ذات نفس طويل تتطلب صبرا جميلا وجهادا دؤوبا متواصلا بدءا من الجهاد الاكبر للنفس الامارة بالسوء في تكوين الضمير الحي والوجدان الجماعي الداعي الى مواصلة الجهاد والنضال في معارك الامة في التحرير والتعمير والوجود في ان تكون او لا تكون •

ان الاستراتيجية المقترحة تهتدي بتاريخ الامة العربية المجيدة وتجاربها الغنية وتراثها الثر • فالامة العربية لم تتفوق وتزدهر حضارتها وتقدم للبشرية حضارة انسانية إلا بالوحدة ــ هدفا وصفا ــ واعتماد عقيدة الاسلام ومبادىء النظرية الاسلامية قولا وعملا •

كما ان الاستراتيجية المقترحة لابد من ان تهتدي بتجارب الغرب وموقفه المعادي للامة العربية والحيلولة دون وحدتها تحت مظلة الاسلام •

هذه بعض الملامح الاستراتيجية المقترحة وموجهات العمل • ولعل مفتاح العمل وبوابته العريضة يكمن في النضال الشعبي المتواصل في المطالبة بترسيخ مبادىء : الديمقراطية والقيادة الجماعية والشورى في الحكم والحرية في التفكير والتعبير واجراء الانتخابات الحرة النزيهة ، وتكوين الجمعيات غير الحكومية ــ المهنية والمنظمات الشعبية والاحزاب السياسية في كل قطر عربي مما سيؤدي في الأمد البعيد الى تكوين قاعدة شعبية عريضة واعية وطلائع ثورية مناضلة صادقة ومؤمنة باهداف الامة تتسلم السلطة باقتدار وتمكن وتحكم بعدل ومساواة وتضحية •

رب قائل ــ وهو محق ــ ان هذا الحل المقترح للاستراتيجية يتطلب وقتا طويلا ــ ربما عشرات السنين ــ وجهادا متواصلا مريرا وتضحيات جسيمة يقدمها الشعب وطلائعه الواعية ، تقول فليكن ذلك طالما هناك هدف سام نبيل ومنهج عقلاني سليم ونيات صادقة وعمل جاد لتحقيق امة عربية واحدة ذات رسالة انسانية خالدة « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » فلنلب نداء الله ونداء الامة ولنكن خلصاء للدين الحنيف ولامتنا العربية المجيدة .

ورب سائل ــ وهو محق ــ هل موجهات الاستراتيجية ذات النفس الطويل والامد البعيد تهمل استراتيجية العمل على الامد القصير الواقعي ؟ الجواب لا . ان التعزيز بين الاستراتيجيتين طويلة الامد وقصيرة الامد مطلوب وواجب .

فعلى المستوى القطري يجب السعي الحثيث لايجاد تضامن وتعاون بين السلطات الحاكمة القطرية وشعوبها مما يتطلب توعية الحكام من رؤساء وملوك وامراء بان مصيرهم مرتبط بشعوبهم وان كياتهم المهزوز في خطر وان تبعيتهم للاجنبي المستعمر لن تفلح ، وسيتخلى عنهم الاجنبي على وفق مصالحه .

وعلى المستوى القومي فالسعي واجب لايجاد صيغ من التعاون والتضامن بين الدول الاسلامية والدول العربية . اما العلاقة بين الحكومات العربية القطرية فيجب ان يكون مستندا الى مبدأ الاخوة العربية والتعاون ، مما يتطلب طي صفحات الخلافات القطرية والعمل على احياء معاهدة الدفاع المشترك وتفعيل المنظمات العربية السياسية والمهنية ودعمها ماديا ومعنويا وتقديم المساندة ــ ماديا ومعنويا ــ الى الثورة الفلسطينية طليعة النضال العربي ورفض الحلول الاستسلامية والتسويات المفروضة لحل القضية الفلسطينية .

في الختام : ان البيانات الواقعية والحقائق التاريخية التي عرضناها حول موقف الغرب المعادي للعرب والمسلمين وموقف العرب والمسلمين الانساني من الغرب التي وضع في ضوئها اقتراح لمعالم استراتيجية عربية طويلة الامد وقصيرة المدى لمجابهة تحديات الغرب المصيرية وتداعيات احداث ١١ ايلول ٢٠٠١ ، قد تجيب عن سؤال ما العمل ؟ الا ان السؤال الاكبر والاهم بل الاصعب هو كيف العمل ؟

ولصعوبة الاجابة عن هذا السؤال نرى تكوين فريق عمل مؤلف من كبار المثقفين والمفكرين والسياسيين العرب لوضع خطة اعلامية ـ عملية للتحرك نحو اصحاب القرار السياسي وصنّاعه في الاقطار العربية ومناقشتهم بالتي هي احسن حول مصيرهم المرتبط بمصير شعوبهم . اهتداء بقوله تعالى بلسان بلقيس : « يا ايها الملؤ افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون » ، « وامرهم شورى بينهم » .

وانما الاعمال الصالحة بصدق النيات والقول الحسن وسفرة ألف ميل تبدأ بالخطوة الاولى والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الدكتور اسعد السحمراني : الاستبداد والاستعمار وطرق مواجهتهما عند الكواكبي والابراهيمي .

٣ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، « مناهج المستشرقين » ، تونس ١٩٨٥ .

٤ ـ جلال العالم « قادة الغرب يقولون : دمروا الاسلام ابيدو اهله » ، دار السلام للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ .

٥ ـ الدكتور مسارع حسن الراوي « النظرية التربوية في الاسلام والتقدم الحضاري » ، عالم الاسلام ، مطبعة المجمع العلمي ، بغداد ١٩٩٩ .

٦ ـ ناجي معروف ، « اصالة الحضارة العربية » ، مطبعة الزمان ، بغداد ١٩٦٥ .

حكومة الملأ في مكــة منذ عهد قصي بن كلاب حتى ظهــور الاســلام

الدكتور هاشم يحيى الملاح(*)

الملخــص :

تعني كلمة (الملأ) في اللغة العربية وجوه الناس ورؤساءهم وقد تألفت حكومة الملأ في عهد قصي بن كلاب من رؤساء الاسر والعشائر في مكة واستمر حكمهم لها حتى ظهور الاسلام وفتح مكة في سنة ٨هـ •

وقد توصل البحث الى ان هذه الحكومة كانت تديــر شؤون مكــة عن طريق الشورى ، والحرص على اتخاذ القرارات الهامة باجماع الآراء • وقد ضمن هذا النهج في الحكم تنفيــذ القرارات مــن دون معارضــة فضلا على المحافظة على وحدة المجتمع المكي وتماسه •

(*) عضو المجمع العلمي العراقي ، وعضو مجلس امناء بيت الحكمة ، واستاذ التاريخ الاسلامي في جامعة الموصل .

تمهيـــد :

ان كلمة (ملأ) من الكلمات العربية الأصيلة ، وهي تعني عند اصحاب معاجم اللغة العربية : وجوه الناس ، ورؤساءهم ، ومقدميهم الذيـن يرجـع الى قولهم ، وهي تعني : «القوم ذوي الشارة والتجمع للادارة» ، أي الناس الذين يدعون للمشاورة واتخاذ القرارات اللازمة لادارة المجتمع • لذا فـانه يقال : «ما كان هذا الامر عن ملأ منا» أي تشاور واجتمـاع • وفي حـديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حين طعن : أكان هذا عن ملأ منكـم ؟ أي عن مشاورة من أشرافكم وجماعتكم[١] •

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (ملأ) في ثلاثين آية بالمعنى نفســه المذكور آنفا أو بمعان قريبة منه ، مما يؤكد أهمية الملأ في المجتمـع المكـي عند ظهور الاسلام[٢] •

ويتضح من دراسة الأعراف والتقاليد القبلية في الادارة ان ادارة شؤون القبيلة العربية كانت تتم بالتعـاون الطوعي بين شيخ القبيلة ورؤساء العشائر والبطون • وكان هذا الاسلوب في الادارة يسمى (الشورى) • وكان الرجال الذين يضطلعون بهذه المهمة هم (الملأ)[٣] ، بل ان المعنى اللغوي لكلمة الملأ قد امتد ليشمل عملية الاجتماع والشورى واتخاذ القرار • لذا كـان من المناسب اطلاق وصف : (حكم الملأ) على نظام الحكم القبلـي او العشائري عنـد العـرب •

---

(١) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، ج١ ، ص ٤٣٥–٤٣٧ .

(٢) محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مصـر ، مطابع الشعب ، ١٣٧٨ ، ص ٦٧٢ ، القرطبي ، محمد بن احمد الانصاري، الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة ١٩٦٥ ، ج١٥ ، ص ١٥٢ .

(٣) العسلي ،د. خالد صالح ، الشورى في العرف القبلي ، الشــورى في مكة قبل الاســلام ، بحـث في كتـاب الحضـارة الاســلامية ، عمـان ١٩٨٩ ، ج٥ ، ص ٧١ .

ويقدم لنا نظام الحكم الذي أقامه قصي بن كلاب في مكة خير نموذج لهذا النوع من الحكومات . لذا سنبدأ البحث بالحديث عن حكومة الملأ في عهد قصي بن كلاب من حيث نشأتها وواجباتها وطبيعتها ثم ننتقل بعد ذلك الى دراسة أوضاع هذه الحكومة في عهد ابنائه واحفاده حتى ظهور الاسلام . ويلاحظ ان الباحث لم يستخدم في هذه الدراسة مصطلح (حكومة) بالمعنى المعجمي الاصطلاحي القديم الذي يعني (القضاء والتحكيم) . وانما استخدمه بالمعنى القانوني والسياسي المعاصر الذي يعني الدولة والهيئات العليا الحاكمة التي توجه سياستها[٤] .

نشأة حكومة الملأ في مكة :

يرتبط ظهور حكومة الملأ في مكة في القرن الخامس الهجري بظهور قصي بن كلاب بن مرة وهو من قبيلة قريش حينما نجح في تولي السلطة والسيادة في مكة بعد وفاة حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي . وقد يبدو هذا الامر مستغربا في ظل التقاليد العربية السائدة في ذلك العصر ، اذ كيف تسمح قبيلة خزاعة ان يتولى أمر حكمها والسيادة عليها رجل (قريشي) من غير ابنائها ؟.. ان توضيح هذا الامر يتطلب تقديم نبذة موجزة عن حياة قصي بن كلاب قبل توليه السلطة وهو ما سنعرضه في النقاط الآتية :

- ولد قصي بن كلاب في مكة في مطلع القرن الخامس ، الا انه لم يجاوز فيها مرحلة الطفولة ، اذ اضطرت أمه فاطمة بنت سعد اثر وفاة أبيه وزواجها من رجل من بني عذرة الى مغادرة مكة والاقامة مع طفلها في ديار قومه في منطقة تبوك على مشارف بلاد الشام[٥] .

---

(٤) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، بيروت ١٩٨٣ ، ج٤ ، ص ٩٨ ، متولي ، د. عبدالحميد ، القانون الدستوري والانظمة السياسية ، مصر ، ١٩٦٤ ، ص ٥٩-٦٠ .

(٥) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٦٠ ، ج١ ، ص ٦٧ ، هيكل ، د. محمد حسين ، حياة محمد ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص٩٥،١٠٦.

- وحين بلغ قصي بن كلاب مبلغ الرجال عيّره رجل من قضاعة انه ينتسب الى رجل غريب عنه (زوج أمه) ، ولم يكن يعرف ذلك ، فغضب لذلك غضبا شديدا فعاد الى امه يسألها عن حقيقة الامر فأخبرته بحقيقة نسبه وانه من قريش ، فقرر العودة الى مكة ليعيش مع قومه وكان له فيها أخ شقيق أكبر منه سنا هو زهرة بن كلاب[٦] .

- وقد استطاع قصي أن يلفت الانظار الى نفسه في مكة فاشتهر بأنه كان « رجلا جليدا ، حازما ، بارعا » ، وبذلك تمكن من خطبة حُبى ابنة سيد مكة حليل الخزاعي وتزوج منها[٧] .

- وقد ولدت حبى لقصي أربعة اولاد في حياة والدها هم : «عبدالدار ، وعبدمناف ، وعبدالعزى ، وعبد قصي » ، «فلما انتشر ولد قصي ، وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حليل »[٨] وبذلك أصبح الطريق مفتوحا امام قصي للسيادة على مكة . وتختلف الروايات في بيان الطريقة التي تولى فيها قصي الزعامة على مكة . فتذهب أرجح الروايات الى ان حليلا أوصى بأن يتولى قصيا ولاية البيت والقيام بأمر مكة من بعده بالنظر لما وجده فيه من صفات تؤهله للقيادة . الا ان قبيلة خزاعة رفضت أن يتولى قصيّ الزعامة عليها فاضطر ان يستعين برجال من قريش وكنانة وقوم أخيه لأمه من قضاعة .. وبذلك استطاع أن يقضي على معارضة خزاعة ويفرض سلطانه على مكة[٩] .

---

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ١٠٥ .

(٧) الازرقي ، محمد بن عبدالله بن أحمد ، اخبار مكة ، بيروت ١٩٧٩ ، ج١ ، ص ١٠٥ .

(٨) ابن هشام ، محمد بن عبدالملك ، السيرة النبوية ، مصر ١٩٥٥ ، ق١ ، ص ١١٧.

(٩) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٨ ، ج٢ ، ص ٢٥٧ .

- ومن أجل ان يوطد قصي مركزه في مكة ، قام بتجميع ابناء قبيلته (قريش) وأسكنهم في مكة ، وكانت قريش قبل ذلك تعيش في أطراف مكة ، فكان بعضهم يعيش في شعاب جبال مكة ورؤوسها • وقد روى ابن اسحاق أن قصيا قام بتقطيع بطن مكة ، «رباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ، ويزعم الناس ان قريشا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده وأعوانه ، فسمته قريشاً مجمعا لما جمع من أمرها »[١٠] •

وقد شجع هذا النص بعض الباحثين على الاستنتاج ان مكةكانت خالية من المساكن قبل أن يقوم قصي باسكان قريش في بطن واديها وحول البيت[١١] •

غير ان استقراء الروايات التي أوردتها المصادر المختلفة عن هذا الموضوع لا تؤيد هذا الاستنتاج وترجح القول ان باطن مكة كانت فيه منازل لأبناء قبيلة خزاعة ، وأنهم قد استمروا فيها الى ان جلا قسم كبير عنها ربما بسبب مزاحمة قريش •• وبسبب المرض والوباء فقد ذكر الطبري «ان خزاعة أخذتها العدسة حتى كادت تفنيهم ، فلما رأت ذلك جلت عن مكة فمنهم من وهب مسكنه ، ومنهم من باع ، ومنهم من أسكن »[١٢] •

- ان ما تقدم ، يشير الى أن قصياً لم يكن هو المؤسس لمدينة مكة أو منشيء البناء والعمران فيها كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين ، فمدينة مكة مدينة عريقة عتيقة كما تؤكد ذلك كتب الاخبار بسبب وجود الكعبة فيها ، ووقوعها على طريق التجارة بين اليمن والشام

(١٠) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص ١٢٥ •

(١١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ١٩٧٦ ، ج٤ ، ص٥٢ •

(١٢) الطبري ، تاريخ ، ج٢ ،ص٢٥٦ •

والعراق ، الا أن قصياً كان « مجمعاً » لقومه من قريش فيها ، وقد حمله ذلك على اعادة تخطيط المدينة ، ووضع أو تطوير العديد من التنظيمات الادارية والسياسية فيها ، وهو ما سنوضح ابعاده في الصفحات الآتية :

حكومة الملأ في عهد قصي :

تألفت حكومة الملأ في عهد قصي من رؤساء الأسر التي تعاونت معه في توطيد سلطته على مكة مثل مخزوم ، وجمح ، وسهم ، وزهرة ، وغيرهم[١٣]. وقد أسكن قصي هذه الأسر في بطن مكة حول الحرم فعرفوا بأسم « قريش البطاح» .. وقد تزايد عدد أفراد هذه الأسر بمرور الزمن حتى أصبحوا يمثلون غالبية سكان مكة في عصر الرسالة ، وعلى سبيل المثال فقد نمت أسرة قصي نفسه لتصبح اربعة أسر في حياته وهم (بنو عبدالدار وبنو عبد مناف وبنو عبدالعزى وبنو عبد قصي) . أما في عصر الرسالة فقد تفرع من هذه الأسر ثلاثة عشائر قوية وهم بنو عبدالدار وبنو عبد شمس ، وبنو هاشم . كما برز الى جانبهم عدة عشائر كبيرة تفرعت من أبناء الرجال الذين عاصروا قصياً في ادارة مكة وهم بنو مخزوم ، وبنو تيم ، وبنو جمح ، وبنو سهم ، وبنو عدي ، وبنو حسل بن عامر ، وبنو فهر . أما الاسر القريشية التي سكنت في أطراف مكة فقد عرفت بـ «قريش الظواهر» ، وقد تألفت من : بني محارب ، وبني الحارث بن فهر ، وبني الادرم بن غالب بن فهر ، وبني هصيص بن عامر ابن لؤي[١٤] .

لقد ترتب على هذا التوزيع السكاني لقريش في مكة ان أصبحت ادارة شؤون الحرم وبقية أوضاع مكة بأيدي « قريش البطاح » ، كما أتاحت لهم الفرصة لممارسة التجارة وتنمية ثرواتهم . أما « قريش الظواهر » فقد

---

(١٣) الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١٠٧ .
(١٤) ابن حبيب ، أبو جعفر محمد ، كتاب المحبر ، بيروت ١٣٦١هـ ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .

غلبت عليهم حياة البداوة والرعي . لذا كان دورهم في السياسية المكية محدودا[15] .

ويلاحظ ان طبيعة الحياة في مكة كانت تفرض على سكانها اقامة توازن بين ادارة كل اسرة او عشيرة لأمورها الخاصة ، وبين تعاون الجميع من أجل خدمة الامور المشتركة ذات الطبيعة العامة في المدينة[16] . وكان من ابرز المؤسسات التي تحتاج الى تعاون اهل مكة من اجل تقديم الخدمات ذات الصلة بها «المسجد الحرام» الذي يحج اليه الناس في مواسم معينة من السنة، الامر الذي يدعو الى ضرورة العناية به ، وتنظيم أمور زيارته والطواف به، فضلا عن تقديم الخدمات للحجاج كالماء والطعام وغير ذلك بصفتهم ضيوف مكة . وفضلا عن ذلك ، فقد كانت الحياة في مكة تقتضي تنظيم العلاقات بين سكانها وبقية القبائل العربية المجاورة من أجل ضمان الامن والرخاء لأهلها .

ان ما تقدم ، كان يتطلب ايجاد حكومة في مكة تهتم بأمورها العامة وتنشىء الوظائف التي تساعد على تلبية احتياجات الناس تلبية فعالة . وقد أشارت المصادر الى ان قصي بن كلاب قد اضطلع بتحقيق هذه المهمات بكفاءة عالية عن طريق اتباع الخطوات الآتية :

١ ــ ان نجاح قصي في تولي السلطة في مكة واسكانه للأسر القرشية فيها ، قد رفع من مكانته في نظر قومه فمنحوه ثقتهم المطلقة مما ساعده على توسيع سلطاته في مكة فجاوزت السلطة التي كانت تتمتع بها سلطات رؤساء القبائل ، حتى غدا كأنه ملك على مكة . لذا فقد ذكر ابن اسحاق ان قصياً ولي أمر بيت الله الحرام وأمر مكة « وجمع قومه من منازلهم الى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه »[17] . وذكر

---

(١٥) العلي ، د. صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، الموصل ١٩٨١ ، ص ١٠٥ ــ ١٠٨ .

(١٦) جواد علي ،تاريخ العرب في الاسلام ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص ٥٨ ــ ٥٩ .

(١٧) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص ١٢٤ .

الازرقي أن قصيا «جمع قومه من قريش من منازلهم الى مكة يستعز بهم وتملك على قومه فملكوه »[١٨] . كما قال ابن سعد ان قصيا كان «أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكا اطاع له به قومه ، فكان شريف أهل مكة لاينازع فيها»[١٩] .

ويلاحظ انه على الرغم من المكانة العالية التي احتلها قصي في قومه والسلطات الواسعة التي تمتع بها في ادارة شؤون مكة بيد انه لم يصل الينا من الاخبار ما يدل على انه تلقب بلقب ملك أو اتخذ لنفسه المظاهر والشارات التي يتخذها الملوك ، بل ان قصياً كان يتصرف بوصفه رئيس قبيلة ، ويتقدم على أقرانه بفعاله وما اتصف به من صفات عالية تجعل قومه يحبونه ويحترمونه ويطيعونه بمحض ارادتهم من غير خوف أو اكراه «فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره »[٢٠] كما يذكر ابن اسحاق .

٢ ــ حينما قام قصي بتنظيم الوظائف الدينية والمدنية في مكة ، أبقى الوظائف ذوات الطبيعة الدينية الخالصة التي كانت متصلة بمناسك الحج كالاجازة بالحج ، والافاضة من جمع غداة النحر الى منى ، والنسيء للشهور الحرم ،بيد أصحابها القدماء لأن قصياً كان « يراه دينا في نفسه لاينبغي تغييره ، فأقر آل صفوان ،وعدوان ، والنسأة ، ومرة بن عوف ، على ما كانوا عليه »[٢١] .

٣ ــ أما الوظائف المدنية أو السياسية سواء أتلك المتصلة بخدمة الحرم والحجاج أم المتصلة بادارة المجتمع المكي وتنظيم علاقاته العامة الداخلية والخارجية فقد قسمها على خمس وظائف ، حصرها جميعا بيده ، وهذه الوظائف هي :ــ

---

(١٨) الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١٠٧ .
(١٩) ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٧٠ .
(٢٠) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ق١ ، ص ١٢٥ .
(٢١) المصدر نفسه ، ق١ ، ص ١٢٤ .

١ ـ الرفـادة :

ان وجود الكعبة في مكة ، واقبال أبناء القبائل العربية على الحج اليها في مواسم معينة من السنة كانت تتطلب توفيرالخدمات للحجاج مـن طعام وشراب وغير ذلك . لذا فقد فكر قصي بوجوب تنظيم هذه الخدمات تنظيما دائما وفعالا ، ومن ثم ، فقد توجه قصي الى قومه طالبا معاونتهم اياه في تحقيق هذا الهدف بقوله « يا معشر قريش ، انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم ، وانالحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم ، ففعلوا . فكانوا يخرجـون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه اليه ، فيصنعـه طعـاما للنـاس أيام منـى »(٢٢) .

ومن الواضح انه كان للرفادة أثر كبير في توثيقعلاقات قريش وتحالفاتها مع كثير من القبائل العربية لان اطعام الطعام في بيئة شبه الجزيـرة العربيـة الفقيرة ، كان يعد «فضيلة من أكبر الفضائل التي يتمدح بهـا العرب ، وينال صاحبها عن طريقها الاحترام والمنزلة الرفيعة . كما ان المؤاكلة تعـد عقـد جوار عند العرب ، فاذا أطعمت قريش القبائل القادمـة الى مكة في مـوسم الحج فانها تنال بذلك احتراما عاما ومنزلة سامية في نظر هذه القبائل ، كمـا تعتبر انها تعاقدت معها برابطة الجوار والامن نتيجة لهذه المؤاكلة ، وبـذلك يصبح في امكـان قريش أن تسـير آمنة في أراضي هـذه القبائل »(٢٣) .

٢ ـ السقـاية :

ان وظيفـة السقاية تتكامـل في أهدافها مع وظيفة الرفادة ، والغرض منها توفـير الماء لشرب الحجاج في موسم الحج حيث يكثر النـاس في مكة

---

(٢٢) المصدر نفسه ، ق١ ، ص ١٣٠ .

(٢٣) الشريف ، د. أحمد ابراهيم ، مكة والمدينـة في الجاهلية وعهد الرسول ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .

ويشح الماء . لذا فقد أولى قصيا هذه الناحية عنايته « فصنع حياضا للماء من أدم فيسقى فيها بمكة ومنى وعرفة »[٢٤] .

وان مما له صلة وثيقة بوظيفة السقاية حفر آبار المياه وصيانتها ليتمكن الناس من اشباع حاجاتهم منها . لذا كان من مآثر قصي الكبيرة انه كان أول من حفر آبارا في مكة «وكان الماء بمكة عزيزا ، انما يشرب الناس من آبار خارجة من الحرم ، فأولما حفر قصي بمكة ، حفر بئرا يقال له العجول .. وكانت العرب اذا قدمت مكة يردونها فيسقون منها ويتراجزون عليها .. وحفر قصي أيضا بئرا عند الروم الاعلى .. »[٢٥] . وهكذا أصبح حفر الآبار وتوفير الماء للناس تقليدا حميدا في مكة يتنافس الاشراف فيه من أجل الحصول على الذكر الطيب والزعامة في قومه .

٣ ـ الحجابة :

تعد الحجابة من أقدم الوظائف في مكة واشرفها ، لان القائم عليها تكون لديه مفاتيح البيت الحرام فلا يدخله أحد الا باذن منه . وقد كانت هذه الوظيفة بيد حليل بن حبشية سيد خزاعة في مكة ، فلما انتقلت الولاية على مكة الى يد قصي بن كلاب بعد موت حليل انتقلت هذه الوظيفة اليه[٢٦] .

٤ ـ اللواء :

وهو العلم الذي يحمل في المعارك وتدور حوله الحروب ، وهو يرمز عادة لمن تكون بيده قيادة قومه في الحروب والمعارك . وكان قصي هو صاحب اللواء يحمله بنفسه أو يدفعه الى احد فرسان القبيلة ليحمله نيابة عنه في أوقات الحروب[٢٧] . ومن المعروف ان ولاية مكة لم تستتب لقصي

---

(٢٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص ٧٣ .
(٢٥) الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٠٥ .
(٢٧) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٢٥ ، الشريف ، مكة والمدينة ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

على مكة الا بعد أن قاد قريشا وحلفاءها في صراع مسلح ضد قبيلة خـزاعة حتى سلمت خزاعة بحقه في ولاية البيت وحكم مكة[٢٨] • وهذا يـدل على أن قصيا كان محاربا شجاعا فضلا عن كونه قائدا حكيما •

٥ ـ دار الندوة :

كانت التقاليد القبلية عند العرب تقضي بأن على شيخ القبيلة أن يشاور رجال الملأ من قومه في كل ما له صلة بأمورهم العامة • وكان رجال الملأ كمـا أوضحنا يتألفون من رؤساء الاسر والعشائر وعدد من الافراد الذين تقدمهم سجاياهم الحميدة من أفراد القبيلة •

ويبدو أن قصياً أراد تنظيم المشاورة بطريقة تجعلها قاعدة ثابتة لادارة شؤون مكة، فقام ببناء دار الندوة ، وجعل بابها الى المسجد الحرام ، ربمـا من اجل منح هذه الدار وما يدور فيها من أمور ، وما يتخذ فيها من قرارات نوعا من الحـرمة •

وقد ذكر ابن سعد ان هذه الدار قد سميت دار الندوة «لان قريشا كانوا ينتدون فيهـا ، أي يجتمعـون للخـير والشر والنـدى مجمـع القوم اذا اجتمعـوا»[٢٩] •

ويبدو ان دار الندوة أخذت تحتل في مكة منزلة أعلى من منزلة المنتديات العشائرية التي كان يناقش فيها رجال الملأ أمور كل عشيرة على حـدة[٣٠] • لانها كانت تعنى بأمور أهل مكة عامـة ، «ففيهـا كانت قـريش تقضـي أمورها»[٣١] • فكانت هذه الدار بمثابة دار الحكومة التي تدار فيهـا امور

---

(٢٨) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٢٣ـ١٢٤ .
الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص ١٠٦ـ١٠٩ .
(٢٩) ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٧٠ .
(٣٠) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص٣١١ـ٣١٢ .
(٣١) المصدر نفسه ، ج١ ، ص٧٠ .

قبيلة قريش كلها » وما أرادوا من نكاح او حرب او مشورة فيما ينوبهم»[٣٢] كما كان يتم في هذه الدار الاعلان عن بلوغ أبناء القبيلة وبناتها سن الرشد . وفضلا عن ذلك كانت الدار المركز الذي تنطلق منه القوافل التجارية وتعود اليه[٣٣] .

ولم تزودنا المصادر بمعلومات واضحة عن الشروط الواجب توافرها فيمن يكون له الحق في الاشتراك في المشاورات التي تتم في دار الندوة . وقد ذكر الأزرقي انه «لم يكن يدخل دار الندوة من قريش غير ولد قصي الا ابن أربعين سنة للمشورة ، وكان يدخلها ولد قصي كلهم اجمعون وحلفاؤهم »[٣٤] .

يستنتج من هذا النص ان حضور اجتماعات دار الندوة كان مسموحا به لجميع رجال قبيلة قريش ممن بلغوا سن الاربعين وهي سن النضج العقلي عند العرب في عهد قصي بن كلاب ، فضلا عن السماح بحضور جميع ابنائه، وكانوا اربعة رجال وهم عبدالدار وعبد مناف وعبدالعزى ، وعبد قصي ، وحلفاؤهم[٣٥] .

ومن المحتمل ان الباعث على التوسع في منح هذا الحق قلة عدد رجالات قريش في تلك الحقبة ، ورغبة قصي في اشراك اكبر عدد من ابناء قبيلته في المشاورة واتخاذ القرارات ، وان كان من المتوقع ألا يسهم في هذه الاجتماعات إلا رؤساء الاسر والمبرزون من رجال القبيلة ، أما من عداهم من الناس فانهم يتمتعون بهذا الحق على المستوى النظري بيد انهم لا يجدون لديهم القابلية أو الرغبة في ممارسته .

---

(٣٢) ابن سعد ، ج١ ، ص ٧٠.
(٣٣) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٧٠ ، ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص١٢٥.
(٣٤) الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص ١٠٩ .
(٣٥) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، بيروت ١٩٨٠ ، ج١ ، ص ٢٤١ .

ولم تزودنا المصادر بمعلومات عن كيفية اجتماع رجال الملأ في دار الندوة[٣٦] ، ولا الاسلوب الذي تتخذ فيه القرارات • ولكن نظرا لبساطة التنظيمات الاجتماعية والسياسية في ذلك الوقت ، يبدو ان الاجتماعات كانت تتم بصورة تلقائية وعند الضرورة ، وان المناقشات كانت تتم بحرية بعيدا عن الاجراءات والشكليات مع احترام العادات والتقاليد في المناقشة والحوار كاعطاء الافضلية في الكلام لكبار السن وذوي المكانة الاجتماعية البارزة في القبيلة • وقد كان الهدف من المشاورة والمناقشة هو الوصول الى قرارات تحظى بموافقة الجميع ، ولابد من ان ذلك كان يتطلب صبر جميع الاطراف ومرونتهم ، وحكمتهم العالية واستعدادهم لقبول بعض الحلول الوسط • بيد ان مما كان يخفف من صعوبة هذه المهمة ان قصي بن كلاب رئيس مكة كان يتمتع بحب قومه وثقتهم ، حتى لقد ذكر ان « أمره في قومه من قريش في حياته ، ومن بعد موته كالدين المتبع لايعمل بغيره »[٣٧] •

يتضح مما تقدم ان قصياً بعد ان نجح في الامساك بولاية مكة وحكمها وكأنه الملك أو الرئيس الاعلى فيها • قام بتنظيم الادارة والحكم فيها حتى أصبح رئيسا لما يمكن تسميته بـ « حكومة الملأ في مكة » • وقد تمثلت الوظائف الرئيسة لهذه الحكومة في الامور الآتية :

---

(٣٦) لقد أشير الى انه كان في مكة أشخاصا يعملون بصفة (منادي) أو (مؤذن) وكانت وظيفة هؤلاء الدعوة الى الاجتماعات عند الضرورة ،وكذلك الدعوة الى المآدب العامة والاعلان عن بعض القرارات المهمة مثل قرار خلع العشائر لبعض أفرادها . وكان لكل شيخ قبيلة عند العرب منادي أو مؤذن خاص به .

Hamidullah, M., The city - state of Mecca, Islamic culture, July, 1938, P. P. 264 - 265.

(٣٧) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٢٥ .

١ ـ الرئاسة :

وقد تولاها قصي بن كلاب نفسه وكانت تمارس ست وظائف هي : الرفادة والسقاية والحجابة واللواء والقيادة والندوة[٣٨] .

٢ ـ الملأ :

وهو مجلس يتألف من رؤساء الاسر والبطون وجميع الرجال الذين بلغوا الاربعين من عمرهم ، وكان ينعقد في دار الندوة برئاسة قصي بن كلاب رئيس حكومة الملأ . ولم تكن صلاحيات هذا المجلس مقتصرةعلى المشاورة، بل تعدتها الى الالتزام بتنفيذ القرارات التي تصدر عن المجلس أو عن رئيسه لانه كان يتمتع بالثقة المطلقة لقومه كما اوضحنا .

٣ ـ القضاء :

كان من حق الافراد حينما تنشأ بينهم منازعات أو خصومات أن يقوموا بعرضها على احد الحكام ليتولى الحكم فيها[٣٩] . وكان رئيس العشيرة او القبيلة هو المرجع الاول في هذا المجال ولا سيما اذا كان من شأن ذلك النزاع ان يؤثر في وحدة القبيلة وتماسكها . وعلى الرغم من ان المصادر لم تشر الى أن قصي بن كلاب قد مارس وظيفة التحكيم في مكة بيد ان المكانة العالية التي كان يحتلها فيها وفي نفوس أهلها تجعلنا نرجح أنه كان المرجع الاخير في هذا المجال لان امره في قومه كان كالدين المتبع لايعمل بغيره[٤٠] . أما في الحقبة اللاحقة لعهد قصي فقد مارس رؤساء البطون والعشائر في مكة

---

(٣٨) الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١٠٧ .

(٣٩) يذكر اليعقوبي ، انه « كان للعرب حكام ترجع اليها في أمورها ، وتتحاكم في منافراتها ، ومواريثها ، ومياهها ، ودمائها ، لانه لم يكن دين يرجع الى شرائعه ، فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق ، والامانة والرئاسة والسن ، والمجد ، والتجربة » . فكان من حكام قريش : عبدالمطلب بن هاشم ، وحرب بن أمية ، والزبير بن عبدالمطلب وعبدالله بن جدعان، والوليد بن المغيرة المخزومي .

(٤٠) Hamidullah, The city state of Mecca, P. 271.

وظيفة التحكيم ، وقد زودتنا المصادر بأسماء هؤلاء الحكام وعشائرهم وسنتولى الحديث عنهم في الصفحات الآتية[41] .

ان نجاح قصي في حكم مكة وتنظيم ادارة مستقرة فيها قد ساعد على توافر أركان «دولة ـ المدينة» كافة في مكة من وجهة نظر القانون الدستوري[42] ، وعلى النحو الآتي :ـ

١ ـ ركن الأقليم : وكان يتألف من بطن مكة وظواهرها ، وربما امتد ليشمل الحرم المحيط بها ، وقد قدرت بعض المصادر والمراجع مساحته بحوالي ١٢٥ ميلا مربعا[43] .

٢ ـ ركن الشعب : تألف من العشائر القرشية التي سكنت مكة فضلا عن سكان مكة القدماء من خزاعة وغيرهم .

٣ ـ ركن الحكومة : وقد تألف من رؤساء الأسر والعشائر المكية برئاسة قصي بن كلاب وهم « ملأ مكة » .

٤ ـ الاستقلال : تجمع المصادر التاريخية على ان قصياً بن كلاب كان يحكم مدينة مكة حكما مستقلا بعد ان بسط سلطانه عليها وأسكن قبيلته فيها . أما في المرحلة السابقة لذلك فقد ذكر ابن قتيبة ان قصياً ذهب الى مكة « فحارب خزاعة بمن اتبعه وأعانه قيصر عليها ، وصارت ولاية البيت له ولولده ، فجمع قريشا وكانت في الأطراف والجوانب فسمي مجمعا »[44] . ولم يوضح لنا ابن قتيبة في روايته هذه التي انفرد بها ماهية الاعانة التي قدمها قيصر الى قصي ولا حجمها ، ولا الآثار التي ترتبت عليها . لذا فقد ذهب بعض الباحثين الذين أخذوا بهذه الرواية

(٤١) ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٣٢-١٣٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، ج١ ، ص٢٥٨ .
(٤٢) بطرس غالي ، ومحمود خيري ، مبادىء العلوم السياسية ، مصر ١٩٦٣ ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
(٤٣) الازرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص ١٣٠-١٣١ .
Hamidullah, The city state of Mecca, P. 260.
(٤٤) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٣٥٤ .

الى ان الروم كانوا قد ساعدوا قصياً على بسط سلطانه على مكـــة من أجل مد نفوذهم الى مكة والسيطرة على الطريق التجارية التي تـــربطها باليمن والشام الا أن قصياً « لم يحقــق للبيزنطيين ما يصبــون اليه ، اذ أصبح مستقلا في مكة ولم يرتبط بهم »[٤٥] •

وهكذا فقد حافظت مكة على استقلالها في حكم نفسهاولم تسمح للدول الاجنبية في التدخل في شؤونها سواء أكان ذلك في عهد قصي أم في عهــد ابنائه من بعده • وقد عبر أهل مكة عن موقفهم هذا تعبــيرا واضحــا حين حاول عثمان بن الحويرث ان يصبح ملكــا على مكــة بمســاندة الـــروم البيزنطيين ، فأنف أهل مكة من ذلك ، وقاوموا محاولته حتى اضطروه الى مغادرة مكة واللجوء الى بلاد الشام ، وذلك لان مكة ــ على حــد تعبــير الاسود بن أسد بن عبدالعزى ــ : « حي لقاح لا تدين لملك »[٤٦] •

وهنا ، يجــدر بنــا أن نسأل ، اذا كان قد تبين ان مدينة مكــة قــد استكملت شروط « دولة ــ المدينة » في عهد قصي بــن كلاب ، فمــا طبيعة نظام الحكم في هذا العهد ؟

لقد استنتج احد الباحثين من النصوص التــي أوردتها المصادر حــول سلطات قصي على قومه التي استشهدنا بها آنفا ، ان نظام الحكم في مكــة في عهد قصي كان نظاما ملكيا مطلقا[٤٧] ، والحقيقة ان هذا الاستنتاج بعيد عن الحقيقة لانه يتمسك بحرفية بعض الروايات والنصوص ويهمل طبيعة النظــام وروحه الذي كان سائدا في مكة وبقية انحاء شبه الجزيرة العربيــة • لقــد أصبح قصيّ رئيسا على قومه في اطار النظــام القبلــي الذي يعترف لجميع

---

(٤٥) العسلي ، خالد صالح ، دور أجداد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكــة ، مجلة كلية التربيــة ، جامعة البصرة ، عدد ٦ ، سنــة ١٩٨١ ، ص ٣٤ وانظر أيضا :
Hamidullah, The city state of Mecca, P. 256.

(٤٦) السهيلي ، الروض الأنف ، ج١ ، ص ١٤٦ .

(٤٧) Hamidullah, The city state of Mecca, P. 256.

الرجال البالغين في الاسهام في الحياة العامة وتحمل المسؤولية جنبا الى جنب مع رئيس القبيلة • لذا فقد أنشأ قصيّ دار الندوة للمشاورة وادارة أمور مكة بالتعاون مع رؤساء العشائر والبطون الذين يمثلون قومهم ويقودونهم في الوقت نفسه • ومن ثم فقد كان قصيّ بن كلاب الاول بين متساوين وليس ملكا يحكم قومه حكما مطلقا كما كان الامر عند الفرس والروم(٤٨) •

حكومة الملأ في عهد ابناء قصي بن كلاب

تشير معظم الروايات التاريخية الى ان قصياً بن كلاب قد أوصى بأن يتولى ابنه البكر عبد الدار جميع الوظائف التي كانت بيده بعد وفاته(٤٩) • وبناء على ذلك فقد انتقلت رئاسة حكومة الملأ وجميع الوظائف العامة في مكة بعد موت قصي الى ابنه عبدالدار • ومن المرجح ان عبدالدار كان أهلا لهذه المسؤولية، بدليل ان قريشا قد رضيت برئاسته ، ولم تنقل لنا الاخبار أية معارضة لها حتى وفاته سواء أكانت من اخوته أم غيرهم من رجالات قريش • أما ما أورده الاخباريون من اقوال تشير الى ان قصيا قد عهد اليه بالرئاسة من أجل جبر خاطره وتعويضه عن ضعفه حيث كان اخوته قد تفوقوا عليه في المكانة والشرف في قومهم(٥٠) ، فذلك يتعارض مع ما تقضي به التقاليد العربية في هذا المجال بوجوب تولية الاصلح منصب الرئاسة•

---

(٤٨) للمزيد من التفاصيل يراجع :
الملاح ، هاشم يحيى ، دولة المدينة بين أثينا ومكة ، مجلة آداب الرافدين ، الموصل ، سنة ١٩٧٤ ، عدد ٤ ، ص ٦٠ — ٧٦ .

(٤٩) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٢٩—١٣٠ .
ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص ٧٢ — ٧٣.
ويلاحظ ان الازرقي قد أشار الى أن قصياً قد وزع وظائف مكة بين ولديه عبدالدار وعبد مناف فأعطى عبدالدار الحجابة ، ودار الندوة ، واللواء ، وأعطى عبد مناف السقاية ، والرفادة ، والقيادة . ولا يبدو ذلك صحيحا لانه يخالف ما ذهب اليه معظم المؤرخين ويخالف سياق الاحداث . راجع أخبار مكة ج١ ، ص ١٠٩—١١٠ .

(٥٠) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٢٩—١٣٠ .
ابن سعد ، الطبقات، ج١ ، ص ٧٣.

ولا يعقل ان يخرج قصي عن هذه التقاليد في تولية ابنه وهو الذي عرف بقوة الشخصية وحسن الرأي والحرص على مصلحة قومه ووحدتهم • ويبدو ان هذه الاقوال قد وضعت في زمن لاحق لتبرر موقف بني عبد مناف في مخاصمة بني عبدالدار من أجل انتزاع زعامة مكة من أيديهم بسبب تفوق بني عبد مناف في الثروة والجاه[٥١] •

ولم تقدم لنا المصادر معلومات عن المدة التي حكم فيها عبدالدار ولم تزودنا بمعلومات واضحة عن الأعمال التي قام بها ، وكل ما وصل الينا رواية عن ابن اسحاق تقول : «ثم ان قصي بن كلاب هلك ، فأقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده ، فاختطوا مكة رباعاً — بعد الذي كان قطع لقومه بها — فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها ، فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع »[٥٢] •

ان هذا النص يشير الى ان مدة حكم عبد الدار وربما حكم أولاده من بعده قد شهدت استقرار الاوضاع في مكة وتوسعا كبيرا في البناء مما يدل على حصول نوع من الازدهار الاقتصادي ، ربما بسبب الاقبال على زيارة مكة ونشاط المبادلات التجارية فيها • ولم تشهد هذه الحقبة أية منازعات سياسية على السلطة بين رجال الملأ •

ويبدو ان الاستقرار السياسي في مكة قد تعرض لهزة عنيفة بعد نجاح أبناء عبد مناف وهم كل من عبد شمس ، وهاشم والمطلب ، ونوفل ، في مطلع القرن السادس من الميلاد ، في تنظيم تجارة مكة الخارجية عن طريق عقود (الايلاف) مع الدول المجاورة والقبائل العربية التي تقيم على طريق التجارة الدولية •

لقد ترتب على نجاح تنظيم الايلاف ان توسعت تجارة القوافل التي يقودها بنو عبد مناف وغيرهم من تجار مكة ، مما أدى الى زيادة ثرواتهم

---

(٥١) الشريف ، مكة والمدينة ، ص ١٢٣—١٢٤ •

(٥٢) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٣٠—١٣١ •

ونفوذهم على حساب سلطة بني عبدالدار ونفوذهم والذين يمسكون بزمام حكومة الملأ في مكة[٥٣] .

ويلاحظ ان عامرا هو الحفيد الثالث لعبدالدار وليس ابنه المباشر مما يشير الى بعد المسافة نسبيا بين عهد عبدالدار وتاريخ المنازعة على الوظائف العامة في مكة بين بني عبد مناف وبني عبدالدار[٥٤-٥٦] .

لقد نشأ عن اصرار كلا الطرفين على مواقفهما ان انقسمت العشائر القرشية على نفسها الى فئتين متخاصمتين : الفئة الاولى وقد وقفت الى جانب بني عبد مناف ، وتألفت من بني اسد ، وبني زهرة ، وبني تيم ، وبني الحارث ، وقد أطلق عليهم « حلف المطيبين » أما الفئة الثانية ، فقد ساندت بني عبدالدار ، وتألفت من بني مخزوم ، وبني سهم ، وبني جمح ، وبني عدي ، وقد عرفوا بـ «الاحلاف» . وبعد ان تحشد الطرفان وكاد القتال ينشب بينهما ، ارتفع صوت التعقل والحكمة ، فتداعوا الى الصلح وتسوية الخلاف على أن يتنازل كل طرف عن جانب من مطالبه مقابل المحافظة على وحدة القبيلة وحقن دماء أبنائها . فاتفقوا على «أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبدالدار كما كانت »[٥٧] .

وهكذا حصل بنو عبد مناف على الوظائف ذوات القيمة والتأثير الاقتصادي في حين بقيت الوظائف ذوات القيمة الدينية والسياسية بيد بني عبدالدار .

---

(٥٣) بيضون ، د. ابراهيم ، من الحاضرة الى الدولة في الاسلام الاول ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٩ – ٣٠.

(٥٤) الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٦٨ ، ج٢ ، ص ٢٥٢ .

(٥٥) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٣١ز .

(٥٦) المصدر نفسه ، ق١ ، ص ١٣١ ، الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١١٠ – ١١١ .

(٥٧) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١٣٢ .

وقد لوحظ ان التأثير الحقيقي في سياسة حكومة الملأ اخذ ينتقل بمرور الزمن الى أيدي التجار وأصحاب الثروات الذين استفادوا من تجارة القوافل التي وفرتها عهود الايلاف[٥٨] . وقد أدى هذا التطور الى ضعف السلطة المركزية المتمثلة بحكومة الملأ وتوزيع الوظائف العامة في مكة على العشائر والبطون القرشية من أجل الترضية واعتبارات الشرف والمكانة . وقد استحدث عدد من الوظائف المكية من أجل توزيعها على العشائر المكية المختلفة وقد بلغ مجموع الوظائف المكية القديمة والجديدة نحو احدى وعشرين وظيفة .

ومن أجل توضيح مراكز القوى في مكة في هذه الحقبة التي استمرت حتى عصر الرسالة سنقدم جدولا يوضح توزيع هذه الوظائف على العشائر المكية وآخر من شغلها في عصر الرسالة[٥٩] .

الوظيفة	العشيرة	آخر من تولاها في عصر الرسالة
١ ــ دار الندوة	بنو عبدالدار	عثمان بن طلحة
٢ ــ الحجابة	«	«
٣ ــ السدانة	«	«
٤ ــ اللواء	«	«
٥ ــ الرفادة	بنو نوفل	الحارث بن عامر
٦ ــ السقاية	بنو هاشم	العباس بن عبدالمطلب
٧ ــ العمارة	«	«
٨ ــ حلوان النفر	«	«

(٥٨) بيضون ، من الحاضرة الى الدولة ، ص ٢٦ــ٢٩ .

(٥٩) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد ، كتاب العقد الفريد ، القاهرة ١٩٥٢ ، ج٣ ، ص ٣١٤ ــ٣١٥، ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص ١١٩ ــ ١٢٤ ، الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١٠٧ــ١١١ ، ١٨٣ .
Hamidullah, The city state of Mecca, P. 262.

٩ ــ القيادة	بنو عبد شمس	أبو سفيان بن حرب
١٠ــ العقاب	«	«
١١ــ القبة	بنو مخزوم	خالد بن الوليد
١٢ــ الاعنة	«	«
١٣ــ المشورة	بنو أسد	يزيد بن زمعة
١٤ــ الاشناق	بنو تيم	ابو بكر الصديق
١٥ــ الحكومة	بنو سهم	الحارث بن قيس
١٦ــ الاموال المحجرة	«	«
١٧ــ السفارة	بنو عدي	عمر بن الخطاب
١٨ــ الايسار	بنو جمح	صفوان بن أمية
١٩ــ الافاضة	بنو عدوان	ابو سيارة عميلة بن الاعزل
٢٠ــ الاجازة	آل صفوان بن الحارث	كرب بن صفوان
٢١ــ النسيء	بنو فقيم من بني ثعلبة	ابو ثمامة جنادة بن عوف

يتضح من هذا الجدول ان الوظائف المكية لم تعد بضع وظائف كما كانت في عهد قصي بن كلاب ، بل زادت الى احدى وعشرين وظيفة ، وان كان الكثير منها ذا قيمة شرفية ويتداخل من حيث طبيعته مع وظائف اخرى . كما لم تعد الوظائف الرئيسة محصورة في اسرة واحدة أو اسرتين بل توزعت على عشر عشائر رئيسة ، يقول ابن عبد ربه ان من انتهى اليه « الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة ابطن وهم : هاشم وأمية ونوفل وعبدالدار وأسد وتيم ومخزوم وعدي وجمح وسهم »[٦٠] .

---

(٦٠) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣١٣ .

والحقيقة اننا اذا اردنا الدقة في احصاء العشائر التي كانت تتوارث الوظائف في مكة فان عددها يصل الى ثلاث عشرة عشيرة كما هو موضح في الجدول الوارد آنفا • ويبدو ان ابن عبد ربه قد اقتصر على ذكر الوظائف التي كانت تشغلها عشائر من قبيلة قريش لانه ذكرها في سياق الحديث عن «تسمية من انتهى اليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام»[٦١] •

ويلاحظ ان هذه الوظائف قد توزعت على المجالات السياسية والحربية والقضائية والاقتصادية والدينية ، فكانت كل مجموعة وظائف تختص بأحد هذه المجالات • ومن أجل توضيح أهمية هذه الوظائف ودورها في سياسة حكومة الملأ سنتكلم عليها بشيء من التفصيل وعلى النحو الآتي :

١ ـ الوظائف السياسية

وهي تتألف من وظائف الندوة والمشورة والسفارة والايسار • وكانت أمور الندوة بيد قصي بن كلاب ومنه انتقلت الى ابنه عبدالدار وأحفاده من بعده • وقد ضعف دور القائمين على هذه الدار في السياسة المكية حين كثرت الوظائف المكية وتوزعت بين عشائرها المتعددة • ومن ثمفقد اقتصرت وظيفة بني عبدالدار على ادارة شؤون دار الندوة وتوفير الظروف المناسبة لرجال الملأ للاجتماع بها • وهكذا فقد برزت أهمية وظيفة «المشورة» وكانت عند ظهور الاسلام بيد يزيد بن زمعة بن الاسود من بني اسد ، فكان رؤساء قريش « لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه عليه فان وافقه والاهم عليه ، والا تخير وكانوا له اعوانا» [٦٢] • كما برزت اهمية وظيفة « السفارة » وكانت بيد عمر بن الخطاب من بني عدي عند ظهور الاسلام ، فكانت اذا وقعت بين قريش وغيرهم حرب « بعثوه سفيرا ، وان نافرهم حي لمفاخره

---

(٦١) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣١٣ •
(٦٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣٤١ •
(٦٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣١٤ •

جعلوه منافرا ورضوا به »[٦٣] • وكانت وظيفة « الايسار » وهي الازلام ذات صلة بالشؤون السياسية ، وقد عهد بها الى صفوان بن امية من بني جمح عند ظهور الاسلام « فكان لايسبق بأمر عام حتى يكون هو الذي تسييره على يديه »[٦٤] •

٢ ـ الوظائف الحربية :

وهي تتألف من وظائف حلوان النفر ، واللواء ، والقيادة والعقاب ، والقبة ، والأعنة ، وكانت هذه الوظائف موزعة على أربع عشائر مكية الا ان هدفها واحد وهو «رئاسة» قريش في أوقات الحروب • ويبدو ان قريشا لم تكن تريد أن تسلم الرئاسة فيها تسليما دائما لأحد ، لذا كان يتم شغلها عند الضرورة ، بطريق القرعة بين ذوي الرئاسة • لذا فقد اطلقوا عليها « حلوان النفر» • وقد وصف ابن عبد ربه هذه الوظيفة بقوله : «ان العرب لم تكن تملك عليها في الجاهلية أحدا ، فان كان حرب أقرعوا بين أهل الرياسة ، فمن خرجت عليه القرعة أحضروه صغيرا كان او كبيرا ، فلما كان يوم الفجار أقرعوا بين بني هاشم فخرج سهم العباس وهو صغير فأجلسوه على المجن »[٦٥]•

اما وظيفة « اللواء » وهو العلم الذي تدور حوله المعارك فكان قد عهد به الى بني عبدالدار ، وقد قاتلت قريش حوله في معاركها ضد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في بدر وأحد[٦٦] • وكانت « العقاب » وهي راية قريش وتكون عادة عند العشيرة التي تتولى وظيفة القيادة ، «واذا كانت عند رجل أخرجها اذا حميت الحرب ، فاذا اجتمعت قريش على احد اعطوه العقاب ، وان لم يجتمعوا على احد رأسوا صاحبها

---

(٦٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣١٤ •

(٦٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣١٥ •

(٦٦) العسلي ، دور أجداد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة ، ص ٤٥•

فقدموه »[٦٧] ، وكانت هذه الراية عند أبي سفيان بن حرب من بني عبد شمس عند ظهور الاسلام[٦٨]. أما وظيفتا القبة والأعنة فقد عهد بهما الى خالد بن الوليد من بني مخزوم .

وكانت القبة هي الخيمة التي ينصبونها ثم يجمعون اليها ما يجهزون به الجيش من أسلحة . وأما الأعنة فانها وظيفة قيادة خيل قريش في الحرب[٦٩].

ويبدو ان وظيفة الرئاسة في مكة قد تلاشت في عهد أبناء قصي بن كلاب وأحفاده ، وذلك لعدم الحاجة اليها بعد ان ضمن أهل مكة لانفسهم الامن والاستقرار المعاشي بفضل استفادتهم من حرمة مكة ونظام الايلاف . لذا فانهم لم يكونوا يؤمرون عليهم أحدا الا في اوقات الازمات الشديدة والحروب ولمدة محدودة من الزمن .

٣ ـ الوظائف القضائية :

كانت مهمة تسوية المنازعات بين أفراد العشائر المكية تقع على عاتق « الحكام » وهم رؤساء العشائر وبعض الافراد المشهورين بالحكمة وحسن الرأي . وقد قدم لنا ابن حبيب قائمة مفصلة بأسماء الحكام من قريش ، كان من ابرزهم : عبدالمطلب بن هاشم ، والزبير بن عبدالمطلب وأبو طالب (من بني هاشم) ، وحرب بن أمية ، وابو سفيان بن حرب (من بني عبد شمس) ، والوليد بن المغيرة (من بني مخزوم) والعلاء بن جارية (من بني زهرة) ، وقيس بن عدي (من بني سهم)[٧٠] .

---

(٦٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣١٤ .

(٦٨) ذكر الازرقي ان وظيفة القيادة كانت لدى عبد شمس بن عبد مناف ، متوارثها بنوه وأحفاده حتى وصلت الى أبي سفيان بن حرب الذي قاد قريشا في حروبها ضد الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أحد والخندق، اخبار مكة ، ج١ ،ص١١٥ .

(٦٩) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣١٤ .

(٧٠) ابن حبيب ، المحبر ، ص ١٣٢-١٣٣ .

ويلاحظ انه لم يكن في مكة حكم عام يتفق جميع اهل مكة على عرض منازعاتهم عليه ، لانه لم يوجد في مكة بعد قصي بن كلاب رئيس تخضع جميع العشائر المكية لحكمه . وقد شكل هذا الواقع ثغرة خطرة في النظام القضائي في دولة المدينة في مكة .

وقد وجدت في مكة وظائف مساعدة لوظيفة الحكام من أجل ضمان تطبيق قواعد العدالة التي تقضي بها الاعراف والتقاليد القبلية . وكانت أبرز هذه الوظائف وظيفة « الاشناق » وقد تولاها قبيل الاسلام ابو بكر الصديق — رضي الله عنه — من بني تيم . وكان واجب صاحب هذه الوظيفة أن يعمل على مساعدة المحتاجين من أهل مكة على دفع الديات والمغرم « فكان اذا احتمل شيئا فسأل فيه قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه ، وان احتملها غيره خذلوه »[٧١] .

ومن الوظائف التي ربما كان لها صلة بالنظام القضائي في مكة وظيفة «الحكومة والاموال المحجرة» التي كانت بيد الحارث بن قيس من بني سهم، وكانت مسؤولية هذه الوظيفة الاشراف على الاموال التي خصصها الناس لآلهتهم[٧٢] ، وهي تشبه وظيفة ادارة الاوقاف .

٤ — الوظائف الاقتصادية :

كان قصي بن كلاب قد نظم في مكة وظيفتي الرفادة والسقاية من أجل خدمة ضيوف مكة وحجاج البيت الحرام كما اوضحنا ذلك آنفا ، وقد انتقلت هاتان الوظيفتان الى أيدي بني عبد مناف بعد نزاعهم مع بني عبدالدار . والحقيقة ان هاتين الوظيفتين كانتا تخدمان سياسة « الايلاف » التجارية من حيث توثيقها لصلات قبيلة قريش مع مختلف القبائل العربية . لذا فقد تولى هاشم بن عبد مناف وهو صاحب فكرة الايلاف ، ادارة هاتين الوظيفتين وبحسب متطلبات كل منهما [٧٣] .

---

(٧١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣١٤ .
(٧٢) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ٣١٤ .
(٧٣) الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١١١ .

فكان هاشم بن عبد مناف يتولى جمع ما يكفي من مال من أبناء قبيلة قريش من اجل تغطية نفقات الرفادة وصنع الطعام لزوار مكة في موسم الحج • وحين عجز أهل مكة عن الانفاق على الرفادة في احدى سنوات القحط ذهب هاشم الى بلاد الشام «فاشترى بما اجتمع عنده من ماله دقيقا، وكعكا فقدم به مكة في الموسم فهشم ذلك الكعك ، ونحر الجزور وطبخه وجعله ثريدا وأطعم الناس ، وكانوا في مجاعة شديدة حتى اشبعهم فسمي بذلك هاشما ، وكان اسمه عمرو(٧٤) •

وقد أشار البلاذري الى ان هذه الوظيفة قد انتقلت بعد وفاة هاشم الى اخيه المطلب ، ثم انتقلت من بعده الى عبدالمطلب بن هاشم ، ثم صارت بعد وفاة عبدالمطلب الى ابنه الزبير ، ثم وليها من بعده اخوه أبو طالب ، ثم أخذها العباس وظلت في اولاده(٧٥) • غير ان ابن عبد ربه يذكر ان الرفادة كانت عند مجيء الاسلام بيد الحارث بن عامر من بني نوفل ، ومما يقوي هذا الخبر ان العباس بن عبدالمطلب كان قد طلب من الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ عند فتح مكة أن يجمع له وظيفتي السقاية والحجابة فأبى الرسول ــ عليه السلام ــ تلبية طلبه ، مما يدل على انه كان يشغل وظيفة السقاية وحدها(٧٦) •

وقد ذكر الازرقي ان وظيفة الرفادة كانت قد انتقلت الى أبي طالب بعد وفاة عبدالمطلب حتى جاء الاسلام وهو على ذلك ، ولم يشر الى الشخص الذي تولى هذهالوظيفة بعد وفاة أبيطالب ، علما بأن وفاته كانت قبل هجرة الرسول ــ عليه صلوات الله ــ الى المدينة بثلاث سنوات ، مما يقوي احتمال انتقالها الى الحارث بن عامر من بني نوفل •

---

(٧٤) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١١ •

(٧٥) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج٣ ، ص ٥٣٣ (مخطوطة) نقلا عن كتاب صالح العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، الموصل ١٩٨١ ، ص ١١٧ ، ينظر أيضا الازرقي ، أخبار مكة ج١ ، ص ١١١ـ١١٢ •

(٧٦) ابن عبد ربه ،العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣١٣ـ٣١٤ ، الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص١١٤ •

أما السقاية فانها قد انتقلت الى يد هاشم بن عبد مناف الذي حرص على تلبية احتياجات الناس من الماء فحفر بئرين جديدين هما بئر بذر وبئر سجلة • وعند وفاته انتقلت هذه الوظيفة الى ابنه عبدالمطلب الذي حفر بئر زمزم « فصفت على آبار مكة كلها ، وكان منها مشرب الحاج »[٧٧] • وقد ذكر ان عبدالمطلب كان يعمل على تحلية ماء زمزم بزيادة شيء من العسل أو عصير الزبيب اليه وقد انتقلت هذه الوظيفة بعد وفاة عبدالمطلب الى ابنه العباس الذي سار على سنة أبيه في تحلية ماء زمزم بعصير الزبيب وتقديمه الى الحجاج في أيام المواسم • وقد استمر على ذلك حتى مجيء الاسلام وبسط سيادته على مكة[٧٨] •

وقد ذكر بعض الباحثين ان وظيفتي الرفادة والسقاية ربما كانتا تدران على القائمين بهما ايرادا ماليا يحصلون عليه من الحجاج الذين يقدمون الى مكة[٧٩] • غير ان ما وصل الينا من نصوص في هذا المجال لايساعد على قبول هذه الفرضية لان أهل مكة كانوا يعدون الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيوف بالكرامة[٨٠] • لذا فقد كانوا يسارعون الى خدمتهم واكرامهم طلبا للصيت والذكر الحسن فضلا عن توثيق الروابط الاقتصادية والاجتماعية معهم •

٥ ـ الوظائف الدينية :

تعد الوظائف الدينية أقدم الوظائف التي ظهرت في مكة ، لان مكانة مكة بين العرب كانت ترتبط بوجود الكعبة فيها واقبال العرب اليها لأداء مناسك الحج والعمرة في مواسم معينة من السنة • وقد احترم قصي بن كلاب

---

(٧٧) الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١ ص ١١٢ .
(٧٨) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١١٣ـ١١٤ .
(٧٩) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص ١١٧ـ١١٨ ، العسلي ، دور اجداد الرسول في مكة ، ص ٢٨ـ٤٠ .
(٨٠) ابن هشام ، السيرة ، ق١ ، ص١٣٠ .

هذه الوظائف ولم يجر تغييرات عليها او على القائمين بشؤونها • وقد التزم أبناء قصي وأحفاده بهذا الموقف فاستمرت على ما كانت عليه حتى جاء الاسلام فنسخ بعض هذه الوظائف وأجرى تغييرات على البعض الآخر •

وكانت الحجابة هي الوظيفة الدينية الوحيدة التي شغلها قصي بن كلاب في حياته لأنه ورثها من حليل بن حبشية الذي كان سيد مكة ، وقد تولاها من بعده ابنه عبدالدار ثم توارثها أحفاده من بعده • وقد طلب العباس من الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد فتح مكة ان يجمع له وظيفتي السقاية والحجابة فرفض الرسول ــ عليه السلام ــ طلبه وأبقاها بيد صاحبها • ويبدو أن وظيفتي الحجابة والسدانة كانتا ذاتي طبيعة واحدة ، وتؤديان الفرض نفسه وهو تنظيم زيارة الكعبة من خلال حيازة مفاتيحها • لذا فان الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ لم يفرق بينهما فأجاب العباس حينما طلب منه أن يعطيه وظيفة الحجابة بقوله : « الا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدمي هاتين الا سقاية الحاج وسدانة الكعبة فاني قد أمضيتهما لأهلهما على ما كانتا عليه في الجاهلية »[81] •

وقد أشير الى ان العباس كان عند ظهور الاسلام يقوم بوظيفة ذات طبيعة دينية وهي وظيفة العمارة ، وهي المحافظة على آداب زيارة الكعبة فلا يسمح لأحد ان يتكلم في المسجد الحرام «بهجر ولا رفث ولا يرفع صوته»[82] • ويبدو أن اهل مكة كانوا قد استحدثوا هذه الوظيفة في حقبة متأخرة لعدم وجود اشارة اليها ضمن الوظائف التي كانت قائمة في زمن قصي •

أما وظيفة الاجازة بالحج للناس الى عرفة ، ووظيفة الافاضة من جمع غداة النحر الى منى ، والنسيء للشهور الحرم ، فقد بقيت بيد أصحابها الاصليين في زمن قصي وتوارث القيام بها احفادهم حتى جاء الاسلام •

---

(٨١) الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص ١١٤ •

(٨٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣١٥ •

ويلاحظ ان وظيفة النسيء كانت تهدف الى تثبيت مواعيد الحج من خلال زيادة شهر كل ثلاث سنوات الى السنة القمرية لتصبح موازية للسنة الشمسية ، وبذلك يتسنى للعرب ان يحجوا الى مكة في فصل يعتدل فيه المناخ ويزداد فيه النشاط التجاري ويبدو ان القائمين على هذه الوظيفة كانوا قد أخذوا يسيؤون التصرف بها ، فحرمها الاسلام وعدها من آثار الجاهلية[٨٣] . جاء في القرآن الكريم : « انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله »[٨٤] .

طبيعة حكومة الملأ في هذه الحقبة :

يظهر مما تقدم ان تطور الاوضاع العامة في مكة في عهد ابناء قصي بن كلاب وأحفاده قد ادى الى اختفاء وظيفة الرئيس المهيمن على شؤون الحكومة في مكة . ومن ثم فقد توزعت وظائف الادارة بين أكثر من عشر عشائر مكية، فكانت كل عشيرة مسؤولة من خلال أحد رجالها عن وظيفة من هذه الوظائف أو أكثر .

وكان تنسيق العمل بين هؤلاء الرجال يتم عن طريق الشورى في دار الندوة . وكان اتخاذ القرارات الملزمة للجميع يتطلب موافقة الجميع عليها اذ لم يعرف أهل مكة نظام التصويت واتخاذ القرارات بغالبية الاصوات . ولا ريب في ان الحصول على الاجماع كان صعبا ويتطلب كثيرا من المرونة والمساومة والقدرة على الاقناع . لذا فقد كانت تظهر في مكة بين آونة وأخرى ازمات وانقسامات تهدد وحدة هذه المدينة وسلامها بالخطر كما حصل حينما تنازع بنو عبد مناف وبنو عبدالدار على وظائف مكة فنشأ حلف المطيبين وحلف (الاحلاف) وكذلك حينما عقد بنو هاشم وبنو زهرة وبنو

---

(٨٣) العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص١١٢–١١٥ .
(٨٤) القرآن الكريم ، سورة التوبة : ٣٧ .

تيم وبنو أسد حلف الفضول من اجل نصرة المظلوم حتى يؤدى اليه حقه ..
ومن أجل التأسي في المعاش[85] .

ومع ذلك ، فقد عرف رجال الملأ في مكة كيف يتغلبون على هذه الأزمات في الأوقات المناسبة فيقدمون التسويات والحلول الوسط التي ترضي الاطراف كافة . وهكذا نجحت حكومة الملأ في «تكوين فكر مشترك ، ووضع حد للخصومات الصغيرة من أجل الخير المشترك»[86] . لقد حمل هذا الواقع أحد الباحثين على القول بأن مجلس الملأ في مكة كان : «مجلسا حكيما مسؤولا أكثر من مجلس الاكليزيا في اثينا ، وكانت بهذا قراراته تعتمد على ميزات حقيقية للاشخاص وليس على بلاغة مصطنعة يمكنها ان تظهر الباطل في صورة الحق »[87] .

وفي الختام ، يجدر بنا أن نحاول توضيح طبيعة حكومة الملأ من وجهة نظر القانون الدستوري : أكانت حكومة الملأ حكومة دكتاتورية أم اوليجارشية أم ارستقراطية ، ام ديمقراطية أم غير ذلك ؟

ان الاستعراض الشامل الذي قدمناه في الصفحات السابقة ، ينفي أن يكون هذا النظام نظاما دكتاتوريا لانه كان يفتقد الى الرئيس المسيطر ، وان قرارات حكومة الملأ كانت تستند الى الشورى والاجماع ، كما ينفي أن تكون حكومة الملأ حكومة أقلية فاسدة (اوليجارشية) لان رجالها كانوا يتمتعون بثقة عشائرهم وكانوا حريصين على خدمتهم . فهل كانت حكومة الملأ حكومة أقلية صالحة (أرستقراطية) ، ربما كان الجواب عن هذا السؤال

---

(٨٥) السهيلي ، كتاب الروض الأنف ، ج١ ، ص ٩١ .
(٨٦) وات ، مونتغمري ، محمد في مكة ، تعريب شعبان بركات ، بيروت ، بلات ، ص ٢٨ .
(٨٧) المرجع نفسه ، ص ٣٠ .

بالايجاب وذلك لان العرب لم يكونوا يسلمون قيادتهم إلا للأشخاص الذين يتحلون بعدد من الفضائل العليا من وجهة نظرهم كالاصالة والكرم والشجاعة وحسن الرأي • كما يلاحظ ان حكومة الملأ على الرغم من ارستقراطيتها كانت تستمد قوتها من ثقة أبناء العشائر المكية بها وتأييدهم لها ، مما يضفي على طبيعتها بعدا ديمقراطيا • صحيح ان هذا النظام لم يكن يعرف شكليات النظام الديمقراطي كالانتخاب والتصويت وغير ذلك بيد انه من حيث الجوهر كان يسمح لأفراد المجتمع في اختيار من يحسنون تمثيلهم وقيادتهم على وفق القيم والتقاليد المستقرة بينهم ويلاحظ من خلال دراسة حلف الفضول وآيات القرآن الكريم ان غالبية رجال الملأ في عهد الرسالة الاسلامية كانوا قد أخذوا في الابتعاد عن المثل الاخلاقية العليا لمجتمعهم مما أفقد حكومة الملأ صفاتها السابقة وجعلها قريبة الشبه بالحكومة (الاوليجارشية) أي حكومة الاقلية الفاسدة •

تطور علم البوليمرات في القرن العشرين

الدكتور ذنون محمد بيريادى

استاذ كلية العلوم ـ جامعة بغداد

الملخص

لـم يكن أحد من علماء الكيمياء في بداية القرن العشرين أو نهاية القرن التاسع عشر يصدق وجود جزيئات طويلة وكبيرة بوليمرية . لكن البحوث التي أجريت على السليلوز والمطاط الطبيعي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مهدت الطريق لأكتشاف الجزيئات البوليمرية وتحضيرها . وتطور علم البوليمرات بدءاً بالصناعات البلاستيكية والمطاط والألياف الصناعية حتى أصبح يسمي العلماء عصرنا الحاضر (بالعصر البلاستيكي) . .

البحـث الحالي دراسة مراجعة لتطور هذا العلم خلال قرن من الزمن مع التركيز على توضيح المراحل المهمة خلال هذا التطور مثل مرحلة اكتشاف الفينول فورم الدهايد ومرحلة اكتشاف البولي أستر والنايلون بعدها مرحلة اكتشاف بلاستيك التيفلون ثم بلمرة زيكَلرو ناتا وغيرها من المراحل الجوهرية والأساسية في تقدم هذا العلم .

المقدمـــة

مـــن المعروف أن الحضارة الحديثة والمدنية الحالية المتمثلة بعصر الكهرباء والتلفزيون والبلاستيك والتكنولوجيا هي ثمرة جهود العلماء الأقدمين جميعاً ولكن ليست بكميات متساوية فقد كانت مفاهيم الكثير من علماء عصور ما قبل المسيح والعصور الوسطى المظلمة خاطئة أو مبنية على الخرافات والظواهر السطحية . لذلك نقول هنا أن مدنيتنا الحديثة المعاصرة هي في حقيقة الأمر ثمرة الثورة الصناعية التي حدثت بعد العصور الوسطى لأن النظريات العلمية والتوجه العلمي أخذت مساراً صحيحاً وصلحت أخطاء الماضي بما فيها الخرافات[١] والشعوذة التي كانت عالقة بأذهان العلماء[٢] . أن ماحدث من تقدم علمي خلال فترة القرن العشرين فاق في الحجم والنوعية ما سجله التاريخ كله والسبب يعود الى ان المعلومات العلمية والاكتشافات الحديثة كانت مستندة الى أسس علمية صحيحة فتوسعت آفاق العلوم والتكنولوجيا بسرعة وبكثره .

ولابـــد من أن اشير هنا الى نقطة هامة تتعلق بالثقافة العلمية للمثقف العراقي والعربي وأخص بذلك خريجي الجامعات العراقية في الفروع العلمية . أود أن اشير الى ان ناحية ضعيفة عند هؤلاء وهي جهلهم أو قلة معرفتهم بتـــاريخ العلوم والتقنيات وكيف وصل الأنسان الى حياته الحاضرة ؟؟ . أن المعرفة بتاريخ العلوم والعلماء ليس فقط ثقافة عامة وأنما بين طياتها الدروس والعبر وسبل النجاح في بحوث الحاضر .

سنتنـــاول في البحث الحاضر تاريخ ظهور علم البوليمرات[٣] وتطوره منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

لـــم تعرف الجزيئات البوليمرية إلا في مطلع القرن العشرين ، فعندما كان العلماء يحسبون الأوزان الجزيئية[٤] لبعض البوليمرات الطبيعية كالنشا والسليلوز والبروتين كانت النتائج المستحصلة أعداداً ضخمة كأن يكون مئات الآلاف مثلا ولم يصدق الباحث بهذه الأرقام العالية وفسروها تفسيراً خاطئاً حيث قالوا بأن المادة المفحوصة (البوليمرية) هي ذات جزيئات صغيرة نسبياً لكنها تتجمع مع بعضها وتلصق مكونة سلسلة طويلة تعطي نتائج خاطئة لأوزانها الجزيئية . .

والواقـــع أن الأنسان كان قد أستخدم البوليمرات الطبيعية مثل الصوف والشعر والقطن والمطاط الطبيعي والجلود عبر قرون التاريخ . هذا فضلا عن استخدام الأنسان البروتينات والنشا وغذاء يومياً له واستخدام السليلوز غذاء للحيوانات التي رباها لخدمته وكل تلك المواد لها تراكيب بوليمرية معروفة اليوم .

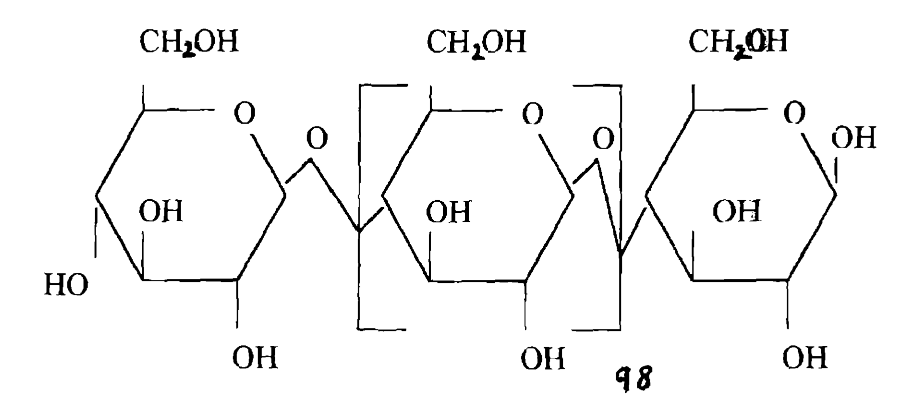
وخلاصــــة الكلام فأن الأنسان استخدم البوليمرات الطبيعية في غذائه وملبسه وبناء أثاثه ومسكنه دون معرفته بالتركيب الكيميائي لهذه المواد . نعم !! أستغل الأنسان كل تلك المواد في حياته لأنها اتصفت بالقوة والمتانة والديمومة ومقاومتها للظروف المناخية القاسية .

السليـــلوز

عبـــارة عن المادة البوليمرية الرئيسية في الخشب ويدخل في تركيب الخلايا والحجيرات النباتية . عرف الكيميائيون تركيب الوحدة المتكررة فيه والمتميز بوجود ثلاث مجاميع من الهايدروكسيل الممكن أستغلالها وتحويرها كيميائياً . ففي سنة (١٨٤٦) اكتشف **كريستيان فريدريك**

شوينباين Christian Friedrich Schoenbein طريقة لتحضير (نيترات السليلوز) وصنع منها خيوطاً بالسحب وكانت المادة الناتجة متفرقعة عند الأشتعال ولذلك لم تكن ملائمة لصناعة الأقمشة . على الرغم من ان هذا الأكتشاف لم يصل الى درجة النجاح الكامل وصناعة خيوط والياف من السليلوز لصناعة الأقمشة الا ان الفكرة كانت فريدة وأصيلة وفتح الباب لباحثين آخرين لكي يصنعوا خيوطاً صناعية من مادة السليلوز . أن الفكرة المهمة التي جاء بها**(كريستيان)** ومن بعده **(ئوزانام ozanam)** وغيره هي محاولة تحويل مادة السليلوز الى مادة ذائبة عن طريق تفاعلات كيميائية من خلال مجاميع الهايدروكسيل ثم تحويل المادة الذائبة الى خيوط بتكنولوجيا القذف ثم تجفيف الخيوط . .

بعــد سنة (١٨٩٠) زادت البحوث حول السليلوز وأوجدت طرق جديدة لتحويل السليلوز الى محلول ذائب . وهكذا نلاحظ اكتشاف مادة (خلات السليلوز) التي حولت الى خيوط ومواد بلاستيكية ، كذلك توصلوا الى طريقة لصناعة خيوط نقية من السليلوز والمعروفة **(بالحرير الصناعي)** [٥] .



السليـــلوز

الأبحاث الأوليـــة حول المطاط

كانـــت المادة الثانية التي جلبت اهتمام العلماء بعد مادة السليلوز هي مادة المطاط الطبيعي . والواقع ان اول باحث كيميائي بحث عن تركيب المطاط هو العالم الأنكَليزي (**فارادي Faraday**) سنة (١٨٢٦) حيث قام بالتحليل الكمي للعناصر المكونة له وحصل على نتائج مضبوطة للتحليل الذي اعلن على أساسه التركيب الوضعي للمادة على انها مؤلفة من الصيغة (C_5H_8) . كانت الطريقة المتبعة في البحث في ذلك الوقت هي التقطير الاتلافي للمطاط الطبيعي بالحرارة وبمعزل عن الهواء ثم جمع الأبخرة الناتجة وتكثيفها ومن ثم تحليلها . لقد عمل مجموعة فطاحل بعـــد (**فــرادي**) علـــى تركيـــب المطـــاط نذكر منهـــم **لايبيـــك Justus Von Liebig** **وجون دالتن J.Dalton** وكان من نصيب العالم (**وليامس**) **G.Williams** سنـــة (١٨٦٠) التمـــكن من عـــزل المـــركب (C_5H_8) والمعروف (بالآيسوبرين) [٦] نتيجة تقطير المطاط الطبيعي . كما قام (**وليامس**) بمعاملة الآيسوبرين الذي عزله مع الاوكسجين وحصل على مادة أسفنجية تشبه المطاط . ولكن العالم (**بوجاردات G.Bouchardat**) سنة (١٨٧٩) نجح نجاحاً تاماً في عزل وبلمرة غاز الآيسوبرين من تقطير المطاط الطبيعي ثم بلمرة الغاز بواسطة حامض الهايدروكلوريك وحصل على مادة مطاطية مشابهة جداً للمطاط الطبيعي .

وهكـــذا قام (**ئوتو ولاش Otto Wallach**) سنة (١٨٨٧) وكذلك (**وليم تبلدن W.Tilden**) سنة (١٨٩٢) قاموا بالتأكد من التفاعلات

المذكورة وأضافوا كمية من الكبريت الى المطاط المحضر بغية فلكنته Vol canization [٧] وزيادة صلابته .

كان حجم استخدام المطاط الطبيعي محدوداً حتى نهاية القرن التاسع عشر، ونستطيع ان نقول بأن الاستخدام الوحيد كان لتغليف الاسلاك الكهربائية . كان يباع الكيلو غرام الواحد من المطاط الطبيعي في الاسواق بسعر دولار ونصف الدولار سنة (١٩٠٠) . ولكن استخدام المطاط زاد بزيادة الاستخدامات الكهربائية وظهور السيارات فأرتفع سعر الكيلو الواحد الى ثلاثة أضعاف بحلول سنة (١٩١١) وتوجه الباحثون نحو محاولات تحضير المطاط صناعياً [٨] ففي سنة (١٩١٠) قام (**ليبدف** **S.V.Lebedev**) ببلمرة غاز البيوتادايين 1,3-Butadiene بينما استطاع (**كارل دايتريك هارس Carl Dietrich Harries**) بين سنة ١٩٠٠-١٩١٠ ان يثبت تركيب المطاط الطبيعي بشكل صحيح وأن يحضره في المختبر من بلمرة الآيسوبرين أضافة الى بلمرة داديينات أخرى . لكن التركيب الفراغي Stereochemistry للمطاط بقي مجهولاً فترة (٤٠) سنة بعد بحوث هاريس . .

من معرفة مكونات المركب الى التركيب الكيميائي له

كان علماء الكيمياء حتى منتصف القرن التاسع عشر يكتفون بمعرفة مكونات المركب ونسب العناصر الداخله فيه اضافة الى صفات المركب الطبيعية مثل درجة الانصهار واللون والرائحة والكثافة من دون معرفة تركيب الجزيئه وارتباط الذرات المكونة للجزيئه . .

لقـد كان لعالم الكيمياء (كيكيولى **Friedrich August Kekuli**)الأثر الاول في توجيه الاهتمام الى التركيب الكيميائي للمركبات حيث اكتشف ارتباط ذرة الكاربون بأربع ذرات اخرى كاربون سنة (١٨٥٠) وتكوين السلاسل الكاربونيه كما انه وضع نظرية الحلقة الأروماتيه للبنزين . في سنة (١٨٧٧) عندما اصبح رئيساً لجامعة (بون) في المانيا ذكر في محاضرة له ان المنتوجات الطبيعية مثل البروتينات والنشا والسليلوز المرتبطه بالحياة تتكون من سلاسل طويلة من الكاربون . كما اننا يجب ان لا ننسى دور العالم الالماني (**أميل فيشر Emil Fisher**) وأبحاثه في هذه الفترة . ففي سنة ١٨٩٣ قام بدراسة تركيب السليلوز واستطاع اكتشاف تركيبه البوليمري وقال بأن جزيئاته عبارة عن جزيئات (كَلوكوز) مكررة . كذلك بحث (**فيشر**) في تركيب البروتين وتوصل الى تركيبه البوليمري وقال انه يتكون من اتحاد الحوامض الامينية ببعضها وتكاثفها . وكان معهد أميل فيشر الذي تأسس في بداية القرن العشرين وحتى وفاة **فيشر** سنة (١٩١٩) في برلين أهم مراكز البحوث حول البوليمرات الطبيعية وتخرج او تدرب في هذا المعهد فطاحل علماء الكيمياء الذين اشتهروا في فترة العشرينات من القرن العشرين . فيما يأتي نلخص البحوث التي أجريت على السليلوز والمطاط الطبيعي والبروتينات قبل سنة (١٩٢٠) .

السليلوز والمطاط الطبيعي والبروتينات . . ماهي ؟ ؟

بـــدأ الكيميائيون الفرنسيون بحوثهم على النواتج الطبيعية سنة ١٨٣٠ نذكر منهم (**هنري براكونت Henri Braconnot**) **وباين A.Payen**

وادموند فريمي **Edmond Fremy** حيث بدأوا بدراسة مكونات جدار الخلية للخضراوات وتحليلها وانتهوا الى نتيجة صحيحة وهي ان المادة المكونة للجدار الخلوي هي السليلوز الذي يتحلل مائياً بالحامض الى الكلوكوز واقترحوا تركيباً بوليمرياً لجزيئات السليلوز ولكن بلا تقديم الادلة على ذلك .

قـــدم العلماء تراكيب عديدة مقترحة للسليلوز بين سنتي (١٨٩٩و ١٩٢٠) كلها تؤكد شيئاً واحداً هو أن الكَلوكوز يدخل في تركيبه لكنهم اختلفوا في التركيب الجزيئي والارتباطات الذرية في الجزيئة . بين سنتي (١٩٢٠و١٩٢١) نشرت ثلاثة بحوث مهمة حول الموضوع نذكرها فيما يأتي بشيء من التفصيل .

البحث الاول

نشـــر سنة (١٩٢٠) من قبل(هيرمان ستودينكَر **Hermen Studnger**) حيث اقترح التركيب البوليمري الخيطي للسليلوز والواقع ان **ستودينكَر** حضر البولي ستايرين والبولي اوكسي مثيلين والمطاط ، واقترح التراكيب الجزيئية أدناه لها :

البولي ستايرين polystyrene

$$— CH_2 — CH — CH_2 — CH —$$

بولي أوكسي مثيلين polyoxymethylene

$$—O—CH_2—O—CH_2—$$

المطاط الطبيعي Rubber

$$
\begin{array}{c}
CH_3 \\
| \\
—CH_2—C=CH—CH_2—
\end{array}
$$

الجدير بالذكر ان التراكيب المقترحه أعلاه كانت صحيحة حتى الوقت الحاضر . بعد نشر (ستودينكَر) لابحاثه بـــ٣٣ سنة منح جائزة نوبل سنة ١٩٥٣ .

البحث الثاني

كـــان البحث الذي نشره(**كارل فرودينبرغ Karl Freudenberg**) سنة (١٩٢٠) حول التحلل المائي للسليلوز والحصول على السيليبايوز دليل على التركيب البوليمري للسليلوز لكن (**فرودينبرغ**) نفسه لم يجرأ ان يعلن ذلك في بحثه .

البحث الثالث

كـــان محاضرة ألقيت من قبل (**مايكل بولاني Michael Polanyi**) في ٧ مارس سنة (١٩٢١) الذي علق في حديثه على بحث منشور حول أشعة اكس للسليلوز وأدعاء مؤلفه أنه دليل على قصر السلاسل الكَلوكوزيه .

بعــد بضع سنين نشر (وليم هاوارث W.Haworth) بحثاً حول تركيب السليلوز وبرهن فيه وجود ثلاث مجاميع هايدروكسيل حرة في المركب وهي في المواقع (2، 3، 6).هناك بحوث كثيرة نشرت عن تركيب السليلوز لم تجزم بالتركيب الكامل للمركب حتى بعد سنوات .

قـــام (هيرمان مارك)و(كورت مايه ر H.Mark , Kurt Mayer) في سنة (١٩٢٨) بدراسة السليلوز وبين وجود مناطق متبلورة وغير متبلورة على طول سلاسل الالياف السليلوزيه . وبفضل أشعة اكس تمكن بعض العلماء سنة (١٩٣٠) من رؤية البقعة اللامعة (المتبلورة) التي سميت بالاجزاء الوهاجة Fringe Micell في تركيب ألياف الجلاتين .

امـــا البحوث المتعلقة (بالبولي هايدروكاربونات) مثل البــولي مثيليــن $-(CH_2)-_n$ على سبيل المثال فترجع ثانية الى سنة (١٩٠٠) حيث تمكن (أيوجين بامبيركر Eugene Bamber)و(تشايرنر F.Tschirner) من تحضير مسحوق ابيض غير متبلور ذي تركيب بوليمري من تسخين المركب دايازوميثان Diazomethane . لكن هذا التحضير لم يستثمر ولم يثر اهتمام الكيميائيين لجهلهم وعدم تصديقهم للجزيئات البوليمريه الطويلة . . .

مــن جهة ثانية ومنذ منتصف القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بتركيب المطاط الطبيعي المستخرج من اشجار المطاط . لكن البحوث المتميزة في هذا المجال بدأت سنة (١٩٠٠) عندما قام (وليم تايلدن W.Tilden) بتحضير مادة مطاطية من بلمرة الآيسوبرين . وقد صلح (ستودينكر Studnger)التركيب الخاطىء الذي اقترحوه للمطاط الطبيعي فيما بعد .

حيـث اختـزل المطـاط الطبيعـي وحصل على بوليمـر مشابـه لـ $-(CH_2)-_n$) في سنة (١٩٢٨) اثبت الدكتور (مارك H.Mark) هو وزملاؤه التركيب (سيز) (Ci) للمطاط الطبيعي بواسطة أشعة –أكس .

بقـى ان نتكلم قليلا على البوليمر الآخر الطبيعي وهو البروتين .

ان أول من بحث موضوع البولي بيبتايدات poly peptides أو البروتينات كان العالم الالماني (أميل فيشر) وبرهن ارتباط الحوامض الامينية ببعضها من خلال آصرة الأميد – NH –CO- . كما حضر **فيشر** بولي بيبتايد طويل من تكاثف الحوامض الامينية وزنه (١٠٠٠) .

في سنة (١٩٢٨) و(١٩٣٠) نشر **هيرمان مارك و ماير و روبرت و ودورد R.Woodword** مراجعة بالبحوث التي اجريت على النواتج الطبيعية البوليمرية عموماً معترفين بتراكيبها البوليمرية .

صناعة واكتشاف أول بلاستيك

ان اكتشاف بلاستيك (الفينول فورم الدهايد) والمعروف ايضا بالباكلايت (Bakelite) من قبل الدكتور (**ليو باكلاند Leo H.Backe Land**) سنة (١٩٠٢-١٩٠٧) له أهمية كبيرة في علم البوليمرات لانه أول بوليمر صناعي (١٠٠%) يطرح الى السوق . الدكتور **باكلاند هومن** مواليد بلجيكا وعاش في نيويورك (مدينة يونكرس) Younkers S,N,Y حيث فاعل الفينول مع الفورم الدهايد وحصل على مادة بلاستيكية قوية . وقد أصابته خيبة أمل في البدايه عندما وجد أن المادة المحضرة لا تذوب في المذيبات فظن انها عديمة الفائدة . لكنه سرعان ما فكر ثانية في الاستفادة من هذه المادة الناتجة وهذا ما حصل فعلاً حيث أسست اول

شركة بلاستيكية بأسم الشركة العامة للباكلايت . General Bakelite Co والتي سميت فيما بعد بـ .Bakelite Corp وذلك سنة (١٩١٠) .

اكتشاف البولي أستر والنايلون

مكتشف البولي أستر الصالح لصناعة الخيط وكذلك مكتشف النايلون وكذلك مكتشف مطاط النيوبرين هو الدكتور **والاس كاروثرس** [١١] الذي عمل في شركة دوبونت Du pont في الثلاثينات من القرن الماضي وخلال بضع سنوات من البحث حضر البولي أستر المعروف بـ بولي (اثيلين تيرفثالات) الذي حل محل القطن حتى يومنا هذا . لكن **كاروثرس** أشتهر بأنه مكتشف النايلون حيث نجح في تحضير بولي أمايد مشابه للصوف والشعر والحرير الطبيعي .

حضر **كاثورس** بـولي (هكسامثيلين أديب أمايد) والمعروف ايضا بالنايلون – 66 وحضر منه خيوطاً قوية عرفت بالنايلون .

اكتشاف بلاستيك التيفلون TEFLON

فـي بداية سنة (١٩٣٨) عينت شركة (دويونت) الامريكية كيميائياً شاباً هو الدكتور (روي **بلانكيت Roy J.Plunkett**) الذي حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة أوهايوستيت قبل تعيينه بسنتين فقط .

ان لاكتشــاف (**بلانكيت**) للتيفلون قصة طريفه وممتعه نذكرها فيما يأتي :

كـان على الدكتور بلانكيت البحث عن بدائل لغاز الفريون المستخدم فـي التبـريد وكان بحاجـة الى غاز (ربـاعي فلـورو أثيلين) Tetraf louro ethylene فقام بتحضيره وضغطه الى أسطوانة . وكان

عنده عدد من هذه الأسطوانات المملوءة بغاز $CF_2 = CF_2$ مخزونه .
وفي أحدى الأيام جاءه **(جاك ريبوك Jack Rebok)** الذي كان فنياً يعمل معه وخبره بأن احدى الأسطوانات نفذ غازها علماً أن الأسطوانة ثقيلة الوزن . ففتحوا صنبور الأسطوانة كلياً ولاحظوا قطعة بلاستيكية بيضاء في رأس فتحة الأسطوانة ثم كسروا الأسطوانة فوجدوا كمية كبيرة من مادة بلاستيكية بيضاء داخل الأسطوانة . هكذا فكر **(بلانكيت)** في بلمرة الغاز والحصول على بلاستيك التيفلون الفاخر . جدير بالذكر ان بلاستيك التيفلون يعد من أفخر الأنواع فهو لا يذوب ولا ينصهر ولا يتأثر بالمواد الكيميائية . وفي الأربعينيات حيث الحرب العالمية الثانية أشترت الحربية والقوات المسلحة الامريكية كل أنتاج التيفلون لاستخدامها في الصناعات الحربية . بعد الحرب العالمية الثانية عاد أنتاج التيفلون الى الاسواق بشكل محدود بسبب تكاليفه الغالية ، ولكن بعد الستينيات ظهر له استخدام مفيد الا وهو طلاء القدور بها من الداخل لمنع التصاق الاغذية [١٢] وسهولة غسلها .

الاعتراضات على الجزيئات البوليمرية

يقــول الدكتور**(هيرمان مارك)**[١٣] في مقال مراجعة له كتبها في مجلة الاخبار الكيميائية chemical & Engineering news عن وقوف الكثير من الكيميائيين الأوائل ضد التركيب البوليمري للسليلوز والبروتين والمطاط والنشا فيقول : في بداية القرن العشرين وعلى الرغم من التجارب الجديدة التي أثبتت بأن جزيئات السليلوز والبروتين والنشا والمطاط مؤلفة من وحدات كثيرة متحدة بشكل سلاسل طويلة فأن الكثير

من العلماء لم يصدقوا ذلك وبقوا على اعتقادهم القديم والقائل بأن جزيئات هذه المواد صغيرة ولكنها تتجمع مع بعضها وتلتصق بفضل الآصرة الهايدروجينية مثلاً مما يوحي بأنها ذات جزيئات طويلة لكن بعض التطورات التي حدثت سهل على العلماء الأعتقاد بوجود الجزيئات الطويلة البوليمرية ومنها ظهور جهات الأشعة السينية X-Ray وكذلك صناعة جهاز الطرد المركزي الخارق Ultra- Centrifuge . ومع ذلك فأن ظهور (علم البوليمرات) لم يبهر كيميائي العضوية والفيزيائية ولم يجلب أهتمامهم وظل الكثير منهم لا يحسبه (علماً خاص) حتى الوقت الحاضر . وعلى الرغم من ذلك فالكيميائيون المهتمون بعلم البوليمر بدأوا بحوثهم منذ العشرينيات والثلاثينيات واصبح لعلم البوليمرات خصائصه المتميزة كفرع من فروع الكيمياء .

بعض الاكتشافات الاخرى في البوليمر

نـــعود ثانية الى ذكر اهميه اكتشاف النايلون من قبل **والاس كاروثرس** حيث يقول الدكتور (**هيرمان مارك**)[١٣] في مقاله : كان أكتشاف النايلون نقلة نوعيه في علم البوليمرات فقد قدم هذا الشاب و (يقصد بالدكتور **والاس كاروثرس**) خلال بضع سنوات خدمات جمة فهو الذي اكتشف البولي أستر ومطاط النيوبرين أضافة الى النايلون ــ كما ان **كاروثرس** صنف البلمرة الى بلمرة الاضافة وبلمرة التكثف . وكان الدكتور(**بول فلوري Paul J.Flory**) مرافقاً للعمل مع **كاروثرس**(١٩٢٨ -١٩٣٧) وقد أشتغل **فلوري** في ابحاثه بعد ذلك واشتهر بنظرياته التي ادت الى حصوله على جائزة نوبل في السبعينات .

فـــي نحو سنة (١٩٣٠) تمكن العلماء من بلمرة (فاينيل أسيتات) وكلوريد الفاينيل والسيتارين وحصلوا على أوزان جزيئية عالية تبلغ ٥٠٠٠٠ الى ٢٠٠ ٠٠٠ .

امـــا البولي اثيلين فقد مرّ بتجارب عديدة غير ناجحة للتحضير حتى سنة ١٩٣٧ حيث بدأ الأنتاج التجـــاري له ، لكن الأنتاج الحقيقي بدأ سنة (١٩٤٢) وفي اثناء الحرب العالمية الثانية استخدم البولي اثيلين من قبل الجيش لعزل أسلاك الرادار والكهرباء ولكن المادة عادت الى الاسواق لأنتاج الافلام والمواد الاخرى الخاضعة للحرارة thermo settmis .

اكتشاف زيكَلر وناتا لطريقة بلمرة جديدة

فـــي خريف ١٩٥٣ كان الدكتور (**هيرمان مارك**) يلقي محاضرته في مؤتمر عقد في ماكس بلانك Max Plank Instilute [١٤] بألمانيا حيث سأله الدكتور **كارل زيكَلر** (من المانيا) السؤال الآتي :

ـ هل يمكن تحضير بلاستيك البولي اثيلين من بلمرة الأثيلين تحت الضغط الجوي الاعتيادي ودرجة حرارة الغرفة ؟ ؟

أجابه الدكتور **هيرمان مارك** بالنفي ، فجاء الدكتور **زيكَلر** اليه وفي يده أنبوبه من بلاستيك البولي اثيلين المحضر بطريقة **زيكَلر** الجديدة .

يقول **هيرمان مارك** :

ـ كان الانبوب المحضر ثقيلاً رمادياً نستطيع ان نقتل به شخصاً . في الوقت الذي توصل (**زيكَلر**) الى اكتشاف طريقته الجديدة في البلمرة كان هناك عالم اخر اسمه (**كَلوشيو ناتا Glutio Natta**) يعمل بحثاً في معهد البولي تكنيك بمدينة (ميلان) الأيطالية وتوصل الى نتيجة (**زيكَلر**)

واستطاع بلمرة البروبيلين وغيره بواسطة عوامل مساعدة مشابهة . لقد كانت البوليمرات المحضرة بطريقة **زيكَلر وناتا** تمتاز بالانتظام الفراغي والوزن الجزيئي العالي اضافة الى الظروف الاعتيادية المستخدمة .
هكذا منحا (**زيكَلر وناتا**) جائزة نوبل في نهاية الستينات .

نستطيـــع ان نقول بأن الستينيات من القرن العشرين اكملت اهم الاكتشافات الرئيسية في علم البوليمرات واصبح لهذا العلم ميزاته وخصائصه وبدأت الجامعات الأمريكية بأنشاء معاهد وأقسام خاصة بدراسة علم البوليمرات معظمها سميت (**بمعاهد البوليمرات**) .

دراسة علم البوليمرات في الوقت الحاضر

قبـــل الستينات كان يدرس موضوع البلمرة والبوليمرات في اقسام الكيمياء [١٥] ضمن الكيمياء العضوية . لكن التطور الكبير الذي حدث على تطور علم البوليمرات بين سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٦٠ كما ذكرنا ، أدى الى انشاء المعاهد الخاصة بأبحاث البوليمرات . وكانت بالطبع الجامعات الأمريكية هي المبادرة في هذه التطورات وقلدتها الجامعات الأنكَليزية والأوربية الأخرى فيما بعد . خلاصة القول هناك الآن ثلاث دراسات وشهادات متخصصة في علم البوليمرات هي :

١. **التخصص في كيمياء البوليمرات .**
٢. **التخصص في فيزياء البوليمرات .**
٣. **التخصص في هندسة البوليمرات .**

وحديثاً جمعوا بين الاختصاصات الثلاثة وسمي (بمركز علم المواد Material Science) الذي يتضمن دراسة المواد البوليمرية ضمن المواد الاخرى .

تطورات مهمة أخرى

ان البحوث المتميزة في حقل البوليمرات حديثاً هي عديدة جداً نختار منها ما يأتي :

– نجاح العلماء في بلورة البولي اثيلين حيث استطاع (**اندرو كيلر Andrew Keller**) من فحص البلورات بأشعة – X وتصويرها .

– نجاح الدكتور (**ميريفيلد Merifield**) في طريقته الذكية لتحضير الانسولين حيث نجح في ربط حوامض الأميك الملائمة ببعضها بطريقته التي عرفت بـ solid state synthesis . في طريقته الجديدة هذه استخدم البولي ستايرن مادة مثبته وربط به الحامض الأميني الاول في سلسلة الأنسولين [١٦] . ثم ربط بهذا الحامض الحامض الأميني الثاني وغسل المواد وهكذا ربط الحامض الأميني الثالث ثم الرابع وطبقا للتسلسل الطبيعي الموجود في تركيب الأنسولين وهكذا حصل على بضعة ميللبغرامات من الانزيم الهورمون هذا واستغرق البحث سنتين في مركز روكفلر للأبحاث في الولايات المتحدة . الغريب في الأمر هو انه كانت مجموعة اخرى من الباحثين (اعتقد في جامعة وسكانسن) مؤلفة من ١٥ باحث عملوا على تحضير مادة الأنسولين فترة عشر سنوات ونشروا نتائجهم في نفس العدد من مجلة الجمعية الكيميائية الأمريكية المعروفة اختصاراً بـــ (JACS) والصادرة في اواسط الستينات .

بعــد سنة من نشر طريقته الذكية في التحضير حضر الدكتور **ميريفيلد** (ماكنة) خاصة لتحضير الانسولين او غيره من الانزيمات (وهي طبعاً سلاسل بوليمرية بروتينية) . على آثرها منح جائزة نوبل .

البوليمرات المتراكبة Polymer Compositcs

ظهــرت في الثمانينيات صناعة جديدة في عالم البوليمرات وهي فيزيائية اكثر مما تكون كيميائية . لتحضير البوليمر المتراكب بخلط بوليمران او اكثر ببعضهما بحيث انها تتجانس معاً مكونة مادة قوية جديدة صعبة الفصل الى المكونات الأصلية . لكن المادة الجديدة تكتسب صفات ميكانيكية وكيميائية جديدة ويمكننا زيادة صلابة البوليمر المتراكب بأساليب كثيرة منها تسليح البوليمر Remborcement كما يمكن زيادة قوة البوليمر بالتشابك من خلال أواصر مزدوجة قد تكون موجودة .

تستخدم البوليمرات المتراكبة المحوره في صناعات السفن وهياكل الطائرات [١٧] وغيرها .

ـ هناك صناعة بوليمرية مشابهة لصناعة (المتراكبات) تدعى اختصاراً IPN- polymers اي Inter Penetrations Network وهي تحضر بأدخال بوليمر بين سلاسل بوليمر أخر وربما يستخدم اكثر من بوليمرين بتقنيات خاصة .

ـ بوليمر مقاومة للأحتراق flame retardant polymer وهي من التحويرات الجارية على البوليمرات القديمة بغية جعلها تقاوم الحريق عن طريق أدخال بعض العناصر المعينة الى تركيب البوليمر .

الاتجاهات الحديثة في تحضير البوليمرات

١. **البوليمرات الثابتة حرارياً thermally stable polymers** ، انها احدى الحقول الساخنة في بحوث البوليمرات وهي محاولة تحضير بوليمرات حرارية تستخدم بدائل للمعادن والادوات المستخدمة في درجات حرارية عالية . ومنها الاستخدامات الفضائية التي تتطلب حرارياً في درجات ٣٠٠٠-٤٠٠٠°م [١٨] .

٢. **البوليمرات الموصلة والاشباه الموصلة** [١٩] ، لم تنجح المحاولات الكثيرة في تحضير بوليمرات موصلة للحرارة والكهرباء بصورة تامة على الرغم من الجهود الكثيرة . ولكن نجاحات عديدة حدثت لصناعة بوليمرات من نوع اشباه الموصلات او ما يسمى semi conducters . جدير بالذكر ان اشباه الموصلات ظهرت لها استخدامات جديـــدة في حقول الرادار وصناعات الحاسبات والاجهزة الفضائية .

٣. **تحضير الاغشية البوليمرية** ، يقصد بها تحويل بعض البوليمرات الى اغشية رقيقة مزودة بثقوب صغيرة ذات حجم معين بحيث ان الثقوب تسمح بمرور جزيئات بعض المواد وتمنع غيرها . مثال ذلك صناعة اغشية بوليمرية قادرة على فصل غاز الاوكسجين عن النايتروجين على سبيل المثال . هذا النوع من الاغشية [٢٠] membranes له استخدامات واسعة في الوقت الحاضر ليس فقط في مجال الصناعة فحسب وانما في الطب ايضا . وصعوبة الموضوع يتركز في تهيئة الثقوب بالحجوم المطلوبة على ما يبدو .

٤. **استخدام البوليمرات في مجال الأدوية والمبيدات والاصباغ** ، من البحوث الحديثة في علم البوليمرات كيفية ربط بعض المواد الدوائية بالبوليمرات لمنع امتصاصها بسرعة في القناة الهضمية وبكميات كبيرة حيث ان ارتباط المركب الدوائي بسلسلة بوليمرية يقلل من ذوبانه في الماء ويديم بقاءه في القناة الهضمية وبحيث ان ذلك يؤدي الى تسرب الدواء الى القناة الهضمية بشكل حر تدريجياً وليس مرة واحدة . لقد نجح بعض العلماء في ربط بعض الأدوية ببعض البوليمرات والتقليل من امتصاصه وما زال الكثير من العقارات بحاجه الى مثل تلك المعالجات . كذلك الأمر مع المبيدات الحشرية والفطرية المستخدمة في الزراعة . فعلماء الزراعة يرغبون في طريقة او تقنية بحيث تؤدي الى تسرب المبيد الى التربه او النبات بشكل تدريجي . وهنا يأتي دور البوليمر حيث ان جزيئات المبيد تربط بأحدى البوليمرات المناسبة ثم تستعمل في الزراعة .

اما عالم الاصباغ فله نصيب كبير في استخدام البوليمرات الحديثة ايضا ، فالمعروف ان **بوليمرات الألكايد أوراتنجات الألكايد** تستخدم في كثير من صناعات الأصباغ منذ فترة ولكن البحوث جارية لصناعة مواد بوليمرية جديدة تستخدم أكلية بوليمرية لمختلف الاغراض .

مستقبل علم البوليمرات في العراق

من المعروف ان صناعات البوليمرات المعروفة في العالم كالبولي اثيلين والبولي بروبيلين او البولي ستايرين او البولي استر والمطاط وخيوط الاكريليك كلها تبدأ بمنتوجات بيتروكيميائية من النفط . وبما ان

العراق بلد مصدر للنفط ولديه الخزين الكبير في الآبار وجب الاهتمام بالصناعات الكيميائية عامة والصناعات البوليمرية خاصة .

ويجب ان نعترف بتقصير المسؤولين خلال العقود المنصرمة وعدم الاهتمام بأنشاء الصناعات الكيميائية التي مصدرها النفط .

ان فترة (٤٠-٥٠) سنة من عمر وزارة الصناعة العراقية ليست بالقصيرة ولكنها لم تنشيء إلا عدداً محدوداً من المعامل الكيميائية . فأذا قمنا بأجراء مسح أحصائي للمعامل الكيميائية في العراق بما فيها المعامل الأهلية الصغيرة وجدنا ان عدد المواد الكيميائية التي تنتج محلياً لا يتعدى (٣٠-٣٥) مادة كيميائية في حين يفترض ان تكون هناك آلاف المعامل الكيميائية لصناعة المركبات وتصديرها الى الخارج .

هنـــاك ثلاثة او اربعة (مصافي نفطية) في بيجي والدورة والبصرة لتكرير النفط الخام وتصفيته الى الاجزاء الاولية كالبنزين والكَازنويل والنفط الابيض والاسفلت اضافة الى المواد الغازية . وفي السنوات الاخيرة انشيء معمل لصناعة الفينول والفورم الدهايد لتغذية معمل الفينول فورم الدهايد في شركة ذات الصواري كذلك انشيء معمل لصناعة الزايلين وآخر لتحضير خلال الفاينيل على نطاق صغير . ومن الصناعات البوليمرية العراقية معمل البولي اثيلين واطىء الكثافة في البصرة وغيرها لكن كل هذا ليس بالكثير وأنما المفروض عشرات من الصناعات الاخرى . ان العراق بحاجه الى انشاء معامل كيميائية معتمدة على النفط من اجل نقل التقنيات اولاً وتعلم أسرار الصناعات في بداية الأمر ومن ثم الاعتماد على العلماء والفنيين العراقيين وتصدير الأنتاج الفائض الى خارج العراق .

المصادر

(١) من الافكار الخرافية الي أخرت العلوم الطبيعية نظرية (الفلوجستون) ونظرية (حجر الفلاسفة) ونظرية اكسير الحياة وغيرها .

(2) A.Mc Kenzie , " the major Acheivcments of science " Cambridge university press 1960 .

(٣) البوليمر = polymer وهي كلمة مؤلفة من مقطعين هما (poly) التي تعني (متعدد) و(mer) التي تعني (وحده) وبذلك فالكلمة تعني (متعدد الوحدات) . عند تعريبنا للكلمة سنة (١٩٨٠) وألفنا كتابنا الأول في علم البوليمرات سمينا (البوليمر) بالجزيئة الكبيرة ولكنها تسمية خاطئة والأحسن هو (متعدد الوحدات) . الجدير بالذكر ان كلمة بوليمر(polymer) اصبحت عالمية من قبل جميع الشعوب .

(٤) كانت طرق ايجاد الأوزان الجزيئية معروفة في مطلع القرن العشرين مثل طريقة خفض درجات الانجماد وزيادة درجة الغليان او طريقة الضغط التنافذي وغيرهما من الطرق ،

(٥) هناك مصنع للحرير الصناعي في سدة الهندية .

(٦) الآيسوبرين Isoprene مادة غازية ، عند بلمرتها تعطي المطاط الطبيعي . وقد سماها مكتشفها (وليامس) بهذا الأسم .

(٧) الفلكنه Vulcanization كلمة تستخدم فقط لتقسية المطاط بتفاعله وتسخينه مع قليل من الكبريت .

(٨) حدثت أزمة في الحصول على المطاط الطبيعي من الشرق بسبب الحرب العالمية الاولى وصعوبة وصول الشحنات المصدره من الشرق .

(٩) خدم ستودينكَر علم البوليمرات خدمة جليه . لكن العلماء لم يشعروا بذلك الا بعد ٣٣ سنة حيث كرم بمنحه جائزة نوبل لسنة ١٩٥٣.

(١٠) قبل اكتشاف (ليو باكلاند) لبلاستيك الفينول فورم الدهايد كانت في الاسواق مادة تعرف (بالشيلاك shellac) تستخدم في اللواصق وصناعة الأدوات البسيطة او لعزل الاسلاك الكهربائية . لذا فقد كان الدكتور باكلاند يبحث عن مركب كيميائي بديلاً عنه . وقد نجح في ذلك .

(١١) في سنة ١٩٢٨ قررت شركة (دويونت) تصعيد البحوث والدراسات الاساسية في الشركة وبحثت عن احد العلماء لرئاسة هذه الحملة فاختارت الدكتور والاس – خريج جامعة هارفارد وكان أنذاك مدرساً عمره ٣٢ سنة وعينته رئيساً لقسم البحوث العضوية في الشركة ، وعمل كاروثرس في بحوث كثيرة كالبروتينات والمطاط وفي سنة ١٩٣٥ اكتشف النايلون وهو أول خيوط صناعية تحضر في التاريخ واحدث ثورة صناعية جعلت من شركة (دويونت) أغلى شركة في العالم وحتى الآن . والذي يؤسف له ان الدكتور كاروثرس أنتحر في

نيسان ١٩٣٧ قبل ان يرى ثمرة اعماله العظيمة في كيمياء البوليمر .

(١٢) كان يباع في بغداد ايام الثمانينيات (قدور التيفلون) الباهضة الثمن ثم استبدلت بقدور أخرى معروفه (بقدور التيفا) وهي ايضا مطلية بالتيفلون .

(١٣) هيرمان مارك Herman Mark احد اعلام البوليمر الأوائل الذين أسسوا علم البوليمرات ووضعوا أساسها . عاش هيرمان مارك ٩٩ عاماً وكان يعمل في معهد البولي تكنيك في نيويورك polytechnige Insticute of New York كتب مقالاً مطولاً عن تاريخ علم البوليمرات في مجلة chem.Eng News بمناسبة مرور ١٠٠ عام على تأسيس الجمعية الكيميائية الامريكية .

Herman F.Mark " Polymer chemistry : the past 100 years " chem . and Eng News , April (6) , 1976.

(١٤) معهد ماكس بلانك ، يعد من أرقى معاهد البحوث الالمانية سمعه وسمي بأسم العالم الفيزيائي ماكس بلانك .

(١٥) اذا لاحظنا كتب العضوية المؤلفة في الخمسينات والستينات من القرن العشرين وجدنا فصلاً خاصاً بالبوليمرات في الفصول النهائية الى جانب فصل اخر في الكيمياء الحياتية . الجدير بالذكر ان الكيمياء الحياتية ايضا كانت تدرس ضمن الكيمياء

(١٦) الانسولين ، هورمون ذات أهمية كبيرة على صحة الانسان . يفرز من غدة البنكرياس ويقوم بمساعدة تمثيل سكر الكلوكوز في الخلايا . نقصان افرازه يسبب مرض السكر .

(١٧) كان معمل (ذات الصواري) التابع لوزارة الصناعة العراقية تصنع بوليمرات فاخرة لصناعة القوارب والسفن في الثمانينات.

(١٨) ان جزءً كبيراً من بحوث كاتب المقال الحالي هي ضمن بحوث البوليمرات الحرارية .

(١٩) أشباه الموصلات ، مواد توصل الحرارة والكهرباء في درجة حرارية معينة وتفقد التوصيليه عند ارتفاع درجة الحرارة مقداراً معيناً . واذا ازدادت درجة الحرارة تعود المادة وتصبح موصله وهكذا تتحول المادة من موصله الى عازله بأرتفاع درجات الحرارة .

(٢٠) الأغشية البوليمرية ، بدأت وزارة الصناعة والتصنيع العسكري بطرح مشاريع من هذا النوع .

متضمنات التباين في توزيع الدخل
بين ريف وحضر الاقطار العربية

الدكتور سالم توفيق النجفي

مدير مركز البحوث الاقتصادية ـــ جامعة الموصل

الملخص

تزايـــد الاهتمام بظاهرة تباين الدخل في المجتمع الريفي بينه وبين المجتمع الحضـــري نظراً لتأثير هذا التباين على معدلات النمو الاقتصادي ، فقد تبين ان " معامل جيني " للتوزيع الحيازي قد تراوح بين (٠,٤٧-٠,٧٥) في الاقطار العربية ، واقترب نصيب اعلى (١٠%) من الحائزين من نحو نصف الحيازات الزراعية بينمـــا انخفض نصيب ادنى (٤٠%) من الحائزين ليتراوح بين (٢,٨-٥,٨%) في العديد من الاقطار العربية ، وقد ترتب على هذا الاختلاف ان تباين الدخل المتأتي من الزراعة الى نظيره من غير الزراعة ليبلغ اقصاه (٢٥٣) وادناه (٢,٣) كما انعكس التباين في قيمة الرقم الدليلي للتنمية البشرية بين (٠,٨٣٦-٠,٤٤٧) وتوزع ترتيب الاقطار العربية بين (٣٦-١٤٩) من بين دول العالم وذلك عام ١٩٩٩، وقد ادت ندرة الموارد ونمط السياسات الاقتصادية الى تحفيز حالة التباين سواء بين الريف والحضر ام بين الاقطار العربية .

١ : المقدمـــة

تــزايد الاهتمام في القرن العشرين بظاهرة التباين في الدخل وما يترتب عليها من اتساع حالة "الفقر" سواء من خلال التغيرات الاقتصادية الراديكالية التي حصلت في اجزاء من اسيا واوربا الشرقية ام تطبيق البرامج التنموية في العديد من دول العالم غير الرأسمالية ، وتختلف اهداف هذه الاهتمامات طبقاً لطبيعة النظام الاقتصادي ، ففي حين ان التخفيف من ظاهرة الفقر على وفق مفاهيم " **امثلية باريتو Pareto-Optimulity** " لا يعد هدفاً بحد ذاته في النظام الاقتصادي الرأسمالي بقدر ماهي وسيلة لاهداف اخرى ، فأن التخفيف من هذه الظاهرة في النظام غير الرأسمالي من خلال تدنية التباين في الدخول الفردية يعد في مقدمة الاهداف لتحقيق قدر كبيـــر من الرفاهيـــة الاقتصادية لافراد المجتمع ، واستناداً الى هذه الطروحات فان ظاهرة التباين في توزيع الدخل وتدنيته لم تأتِ من فراغ ، انما تأتت من تشكيلات ذات اسس وقواعد في ظل بعد زمني يمتد في عمق التاريخ الاقتصادي للمجتمع العربي ، وبمعنى اخر ان جزء كبيراً من مسبباتها قد جاء من موروثات عقود ماضية للتاريخ المذكور على الصعيد العربي .

وتظهــر " **مشكلة البحث**" في اتساع التباين في الدخل بين افراد المجتمع العربي في الريف والحضر من جانب ، وبين هؤلاء الافراد في الريف من جانب اخر ، فضلاً عن التباين في الظاهرة المذكورة بين الاقطار العربية ، مما تطلب ان " **يستهدف البحث**" اجراء تحليل اقتصادي لدوافع ظاهرة التباين في التوزيع المذكور ومتضمناتها ، وتحليل مقارن

لنمط التباين بين الاقطار العربية ، وقد " **افترض البحث**" ان التباين المذكور بالرغم من ان جزء منه متأتٍ من موروثات اقتصادية تعود الى عقود سابقة ، الا ان للسياسات الاقتصادية المعاصرة دوراً في تحفيز حالة التباين في توزيع الدخل نحو الاتساع .

٢: الاطار النظري والمرجعي

قد لا تواجه النظرية الاقتصادية قبولاً ورضى من المجتمع الاقتصادي اذا كانت فروضها غير موضوعية ، ففي هذه الحالة تتعطل الاثار الناجمة عنها او تتناقض مع الاثار الناجمة عن قوى اخرى لم تتضمنها النظرية المذكورة [١] ، لذا يتطلب الاعتماد في تفسير الظواهر الاقتصادية على دراسات تجريبية فضلا عن مفاهيم اقتصادية موضوعية ، وتشخيص متغيرات ظاهرة التباين ومتضمناتها بالتأكيد على خصوصية المتغيرات طبقاً لترتيبها الزمني وموقعها المكاني لمعرفة مدى انحرافها عن اوضاعها ونسقها العام ، وبغير ذلك ستواجه هذه الاقتصادات بخطأ الاختيار الستراتيجي للتنمية الاقتصادية [٢] ، مما يترتب عليه تباطؤ معدلات النمو وتسارع معدل التباين في الدخول المزرعية .

---

[١] بول .أ. باران ، وبول م. سويزي ، رأس المال الاحتكاري ، ترجمة فهمي مصطفى ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١، ص٢٥٥.

[٢] عمرو مهني ، تطور دور الحكومة في التنمية الاقتصادية في الدول العربية ' ندرة دور الدولة في البيئة الاقتصادية العربية الجديدة " تحرير طاهر حمدي كنعان ، الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي ، صندوق النقد العربي ، الكويت ،١٩٩٧،ص٢٥٧ .

وقــد يتأتى التباين في الدخول المزرعية من جراء اتساع الاختلاف في الاصول المولدة للدخل سواء في الحجم المزرعي ام من جراء انخفاض الاهمية النسبيـــة لحصة العمل مقارنة برأس المـــال في مكـــون " **الفائض الاقتصادي**" على صعيد الزراعة الرأسماليـــة والمزارع الكبيـــرة ، وبمعنى اخر ان التباين في توزيع الدخل سواء بين افراد المجتمع الريفي ام بينه وبين المجتمع الحضري قد جاء نتيجة التباين في توزيع ثمار النمو الاقتصادي ، وهو ما أشار اليه " **Keith Griffin**" من استمرار الانخفاض في الدخل "الفقر" بالنسبة لمجموعات منتقاة من دول معينة بالرغم من ان معدلات نموها الاقتصادي اخذ بالتسارع [٣] ، مما يعني ان ثمار النمو تستأثر بها فئات ذات الدخل المرتفع ويعد ذلك مبعثا للتفاوت ، في حين قد يتباطأ معدل النمو في اقتصادات نامية اخرى من جراء انخفاض استجابة الجهاز الانتاجي لحوافز النمو كما أشار الى ذلك الاقتصادي "**Kuznets**"[٤] ، في اطروحته المشهورة حول هذا الموضوع.

---

[٣] الاسكوا ، النظم الزراعية والتخفيف من الفقر في المناطق الريفية ، مع اشارة خاصة عن الشرق الادنى ، بغداد ، ١٩٨٠،ص٦-١١ عن :

- Sen , A , K , level of Poverty policy and change , world Bank staff worhing paper , No.401, washirgton , D.C , ١٩٦٥.
- Griffin , V . Increasing Poverty and Changing , Idaut Developing stadegies Development and change , Vol.8 , No. 4, ١٩٦٦.

[٤]

- Richard . H, Adam , J. Jan , He , Sources of income Inquality and Poverity in Rural Pakistan (I. F. P. R. J) , Washington m D.C. , ١٩٩5, P.3.

وتتعمق الاثار الاقتصادية للتفاوت في الدخل سواء بين الريف والحضر ام بين فئات المجتمع في كل منهما عندما يرافقها ارتفاع معدلات " **التضخم**" في الاقتصادات النامية ، وفي حالة ارتفاع معدلات الظاهرة الاخيرة ، فقد يرتفع المعدل العام للاسعار اكبر نسبياً من ارتفاع معدلات الاجور ولاسيما ان الاجور تتسم بحالة من الجمود النسبي ، وبذلك يعد التضخم طريقة غير حيادية في توزيع الارباح في النشاط الانتاجي [٥] ، فقد تبين في العديد من الاقتصادات الساعية للاصلاح ان سوق العمل يعد بطيئاً في استجابته للعوامل الاقتصادية المحفزة للتغير والنمو ، لاسيما ان العوامل المؤثرة فيه تعد معقدة لتفسير قوى هذا النمط من الاسواق في الدول النامية[٦] .

وتتجـــه رغبة الفئات من صغار المزارعين الى تزايد الميل الحدي للاستهـــلاك مقارنة بالميل الحدي للادخار في حالة تزايد دخولهم المزرعية ، وبذلك فعند تحسن اوضاعهم الدخلية فان احتمالات تزايد وارتفاع اصولهم المزرعية المولدة للدخل وان كانت متواضعة تعد غير محتملة الحدوث لضآلة المدخرات التي تمكن من توسيع او تجديد هذه الاصول ، في حين تعد الصورة معكوسة بالنسبة للمزارعين في الفئات المزرعية الكبيرة، اذ ان ميلهم الحدي للادخار يعد اكبر من مثيله للاستهلاك ، مما يمكنهم ذلك في حالة ارتفاع دخولهم من تحسين اصولهم

---

[٥] ميشيل روكار ، التضخم في الصميم ، ترجمة انطوان جمص ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ،١٩٨٠، ص٣٨.

[٦]

- IFAD , The state of World Rural Poveerty , Fund for Aqricultural Development , New York University Press , New York , p. 161 .

المزرعية المولدة للدخل وتوسيعها ، ولاشك في ان استمرار هذه الاوضاع تزيد من حالة التباين في الدخول المزرعية مع استمرار الزمن.

ويعـــد المناخ الاقتصادي المعاصر وسيادة اجواء النظام الاقتصادي الجديد احدى اهم المتغيرات التي ادت الى التباين في توزيع الدخل بين الاقتصادات المختلفة (الاقطار العربية) ، فالاقتصادات التي تتمتع مواردها بمرونة عالية من جراء اصلاح نظام " **الاسعار الكلية Macro-Price** " كانت مؤشرات ادائها الاقتصادي (معدل النمو) اكثر كفاءة واسرع نمواً من تلك التي اتسمت مواردها الاقتصادية بمرونات متباطئة من جراء التشوهات الهيكلية في اقتصاداتها المحلية ، وتعد الاجواء الاقتصادية ما بعد " **بريتون ــ ودوز** " اكثر ملائمة لتفعيل المؤشرات المذكورة ، كما ان التغيرات في اسعار النفط وايراداته في النصف الاول من عقد السبعينيات ادت الى تزايد التفاوت في متوسط الدخل بين الدول العربية ذات الموارد النفطية وغير النفطية ، وانعكس هذا التباين في نمط عرض " **الحاجات الاساسية Basic Needs** " ومستواها و " **التنمية البشرية** " ، وجدير بالذكر انه ليس هناك ما يشير في النظرية الاقتصادية الكلاسيكية ام النيوكلاسيكية الى تدنية التباين في الدخول الفردية .

وتؤكـــد المفاهيم الاقتصادية المرتبطة بالعمل الى ان الاجور دالة بالطلب على العمل ، وان هذا الاخير يعد طلباً مشتقاً من الطلب على السلع المنتجة ، وبالتالي فأن الاجور تعتمد على قيمة الانتاجية الحدية للعمل ، وفي الاقتصادات النامية ذات عرض العمل المرتفع فأن جزء من قوى العمل ستعاني من البطالة ومن ثم من تدنية قوتها الشرائية ، ولاسيما

عندما يكون النشاط الاقتصادي موسمياً مثل الانتاج النباتي ، مما يزيد الفجوة الدخلية بينها وبين الفئات ذات الدخل المرتفع ام المتوسط .

٣: متضمنات التباين الدخلي في الاقطار العربية

تتعـــدد مصادر الاختلاف والتباين في الدخل الريفي ويترتب عليه تباين في القوة الشرائية بين الريف والحضر بالأقطار العربية ، واكثر الاساليب شيوعاً لتقدير التباين في الدخل بالريف هو تقدير التفاوت في المصادر المولدة للدخل من خلال " **معامل جيني Gini Coefficint**"[٧] وكذلك تقدير مقاييس " التركيب النسبي لتوزيع الاراضي الزراعية بين فئات الحائزين في الأقطار العربية .

٣-١: التباين الحيازي للاراضي الزراعية (تقدير معامل جيني)

يرتبـــط الدخـــل المزرعي بالاصول الرأسماليـــة المولدة لهذا الدخـــل ، وفي مقدمة هذه الاصول الاراضي المزرعية ، باعتبار ان المزرعة تشكل احدى اهم الادوات المولدة للدخل الدائم للمزارع ، ولاسيمـــا أن توزيـــع الدخـــل فـــي القطـــاع الزراعـــي يرتبط الـــى حـــد بعيـــد بمتغيـــرات بنيانيـــة فـــي مقدمتهـــا نمـــط توزيـــع

---

[٧] اقترح عالم الرياضيات الايطالي " جيني Gini " مقياساً جبرياً لدرجة التفاوت في الدخل ، وكان مقياسه نسبة المساحة بين خط الخمسة والاربعين درجة ومنحني لورنس الى المساحة الكلية تحت خط الخمسة والاربعين درجة .
(افيريـــت هاجن، اقتصاديات التنمية ، ترجمة جورج خوري ، مركز الكتب الاردني ، عمان ، ١٩٨٨ ، ص٤٦٢) .

الملكيـــة الزراعيـــة [٨] ، وقد اظهر التحليل لبيانات التركيب الحيازي للاراضي الزراعية طبقاً لفئات حيازية مختلفة في الاقطار العربية ، ان التفاوت في التوزيع الحيازي قد ارتفع في الاقطار التي تجاوز فيهـــا قيمة " **معامل جيني** " [*] مايزيد عن (٠,٧٠) وتضم هذه المجموعة من الاقطار العربية كلا من العربية السعودية والكويت وعمان ، وتضم المجموعة الثانية الاقطار التي يتراوح فيها قيمة هذا المعامل بين (٠,٥٠- ٠,٦٩) وتضم كلا من تونس ومصر واليمن وسوريا والاردن وقطر ثم الجزائر ، في حين تتحدد المجموعة الثالثة من الاقطار العربية التي انخفض فيها قيمة المعامل المذكور عن (٠,٥٠) وهي العراق والقطاع الزراعي

---

[٨] Ahluwalia . M. S. , Income in quality , some Dimensions of the problem in : chenery H, etRedis tribution with Growth , OXFORD university press , 1974, p 21

[*] احتسب " معامل جيني " Gini Coefficint وفقاً للصيغة الرياضية التالية :

$$G = 1 - 1/10000 \sum_{t=1}^{n} (s_i - s_{i-1}) W_i$$

حيث ان :

G = معامل جيني

S_i = المتجمع الصاعد للنسب المئوية للدخل المقابلة للفئة i .

W_i = النسب المئوية لعدد الافراد في الفئة i .

n = عدد الفئات .

(المعهد العربي والبحوث الاحصائية ، الاساليب الاحصائية في تقرير وتحليل الاستهلاك والدخل العائلي ، بغداد ، ١٩٨٥، ص١٩٩) .

الاشتراكي في الجزائر ، ويشير الانخفاض في قيمة هذا المعامل الى الاتجاه نحو تدنية التباين فـــي ملكية المصادر المولدة للدخل الزراعي وحيازها ويشير (E.Hagen) [٩] الى ان قيمة معامل جيني التي تقترب من الاربعين بالمائة تعكس حالة العدالة التوزيعية التي تتمتع برضى المجتمع ، وبمعنى اخر كلما ارتفعت قيمة المعامل المذكور عن القيمة الاخيرة كلما اتسعت حالة التباين في ملكية المصادر المولدة للدخل (المزارع) واضحت احدى دوافع التباين في الدخل المزرعي **(جدول ١)** ، وقد اشارت دراسات قياسية وجود " **معامل الارتباط Colleraltion Ceofficent** " عالية احصائياً بين امتلاك الاصول الرأسمالية المنتجة والكفاءة ، وكذلك بين عدم امتلاك هذه الاصول وتنامي الفقرة [١٠] ، الذي يترتب عليه قدر كبير من التفاوت في الدخول ، وربما ان اصلاح البنيان الحيازي سيؤدي الى خفض قيمة هذا المعامل ، ومن ثم يزيد من الطلب على العمل ، الامر الذي يترتب عليه تحسن في معدل الاجور ، الا ان هذه الاجراءات تتطلب رؤية اقتصادية تستهدف الوصـــول الى" **احجام مزرعية مثلى Optimum Return to scale** " لتعظيم اجمالي الناتج

---

[٩] افيريت هاجن : اقتصـــاديات التنمية ، ترجمة جورج خوري ، مركز الكتب الاردني ، عمان ، ١٩٨٨ .

[١٠]

- Joachim von Broun , Employment for poverty Reduction and food security concept research issues and overview , IFPRI , Employment for poverty Reduction and Food security , Edited by Joachim von Broun , Washinton , D.C,1995 , P 25 - 26 .

الزراعية ، فـــي حين ان وجود حالة التفاوت في البنيان الحيازي تتأتى من سيـــادة حالـــة " الثنائية **Dualism** " فـــي السعات المزرعية بين مـــزارع صغيـــرة تتســـم " **بتزايد العـــوائد الـــى السعـــة Increasing return to scale** " ومـــزارع كبيـــرة تتســـم "**بتناقص الى الســـعة Decreasing return to scale** " وهو امرغير مرغوب اقتصادياً .

جدول (١)
قيمة معامل جيني للتوزيع الحيازات الزراعية في الاقطار العربية

الدول	(معامل جيني)
الاردن (١٩٩١)	٠,٦٩
سوريا (١٩٩١)	٠,٦٧
العراق (١٩٨٥)	٠,٤٧
اليمن (١٩٩١)	٠,٦٦
المغرب (١٩٨٥)	٠,٥٣
تونس (١٩٩١)	٠,٦٣
الجزائر (١٩٩١)	٠,٣٨ الاشتراكي
	٠,٥١ الخاص
ليبيا (١٩٧٥)	٠,٦٨
مصر (١٩٩١)	٠,٦٤
الامارات (١٩٩١)	٠,٥٦
قطر (١٩٩١)	٠,٦٥
الكويت (١٩٨٥)	٠,٧٦
السعودية (١٩٨٥)	٠,٧٤
عمان (١٩٨٥)	٠,٧٥
البحرين (١٩٨٥)	٠,٥٢

ـ احتسبت من :

المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، الكتاب السنوي للاحصاءات الزراعية ،الخرطوم ، اعداد مختلفة .

٣-٢: التركيب النسبي للتفاوت بين الحائزين والحيازات الزراعية

يعكس التركيب النسبي للتفاوت بين الحائزين والحيازات الزراعية التباين في الدخول الفردية في الوسط الريفي الى حد بعيد ، وقد اظهر التحليل ان الحيازات لاعلى ما نسبته (١٠%) من الحائزين تتراوح بين ما نسبته (٣٨%-٤٨%) من الحيازات الزراعية في كل من المغرب والجـزائر والعراق والسعودية والكويـت والبحرين والامـارات العربيـة ، بينما ترتفع هذه الاهمية الى مابين (٥٠%-٥٩%) من اجمالي الحيازات على الصعيد القطري في كل من مصر وسوريا والاردن وعمان وليبيا وتونس . وذلك في مطلع عقد التسعينيات ، وقلما تتغير هذه العلاقات النسبية في المدى القصير أو المتوسط الا في ظل اجراءات راديكالية في نمط الملكية الزراعية .

ويشيـر التحليل الى ادنى من (٤٠%) من الحائزين تنخفض الاهمية النسبية لحيازاتهم الى مانسبته بين (٢,٨-٥,٨%) في كل من سوريا والاردن واليمن والسعودية وليبيا ثم تونس ، في حين ترتفع هذه الاهمية الى ما بين (٦,٩%-١٥,٧%) من اجمالي الحيازات في كل من مصر والجزائر والمغرب والعراق والامارات العربية والكويت والبحرين ، واستأثرت مانسبته (٥٠%) من الحائزين الوسط بين الحدين الادنى والاعلى المذكورين على ما نسبته (٣٨%-٥٦%) من اجمالي الحيازات في كافة الاقطار العربية .

ويمكـن الاستنتاج من التحليل السابق ان ما يقرب من نصف الدخل المتـولد من القطاع الزراعـي في الاقطـار العربية تستأثر به مانسبته (١٠%) من الحائزين للاراضي الزراعية ، وتتسم حيازات هؤلاء

المزارعين بسعات مزرعية كبيرة وتتخصص بالانتاج الواسع لمحاصيل نقدية قابله للتداول ، وهذا النمط من المحاصيل يتطلب قدراً كبيراً من كثافة رأس المال Capital Intensive مقارنة بالعمل ، وهو الامر الذي يترتب عليه تباين المكونات النسبية للفائض الاقتصادي ، وذلك بالتحيز في اتجاه عائد رأس المال مقارنة بعائد العمل ، وفي ذات الوقت لم تتجاوز الحيازات الزراعية لادنى مانسبته (٤٠%) من الحائزين في بعض الدول العربية عن (١٥%) من اجمالي الحيازات ، وتراجعت هذه النسبة الى (١%) في دول عربية اخرى ، وهذا النمط من الحيازات يتسم بمحدودية سعاته المزرعية ، وغالباً ما يتميز انتاجها الزراعي " **بكثافة العمل Labour Intensive** " مقارنة برأس المال ، ولا يعد تركيبها المحصولي من النمط النقدي بقدر ما هو " **للاكتفاء الذاتي** " العائلي ، وفي حالة تحسن اوضاع الانتاج فأن جزء كبير من الزيادات في الناتج الزراعي يذهب للميل الحدي للاستهلاك في هذه الانماط المزرعية مما يحد من احتمالات تراكم رأس المال المزرعي .

ويتواضع التباين في الاهمية النسبية لمصادر توليد الدخل المزرعي في الدول العربية للفئة الحيازية التي نسبتها (٥٠%) وهي الفئة المحصورة بين اعلى (١٠%) وادنى (٤٠%) من الحائزين تستأثر بما يقارب من نصف الدخل المزرعي على الصعيد القطري (٣٨%-٥٦%) وبذلك يمكن القول بأن الدخل المتولد من الحيازات لاعلى (١٠%) وادنى (٤٠%) من الحائزين يعكس تفاوتاً محسوساً في الدخل المزرعي ، وفي ظل مقوله " **ان دالة الانتاج الزراعي غير قابلة للتجزئة** " فأن ديناميكية

المتغيرات الاقتصادية الفاعلة وراء طبيعة النشاط الاقتصادي لكلا النمطين مـــن المزارع تعد مختلفة وفقاً لمفاهيم اقتصاديات انتاج المزرعة (المنشأة) . فضلاً عن ذلك فأن الموارد الاقتصادية في المزارع الصغيرة بالاقطار العربية النامية تعد استجابتها منخفضة تجاه المتغيرات المحفزة للنمو ولاسيما في المدى القصير ، ولكون هذا الانخفاض يتسم بالتباطؤ في المدى المذكور والمتوسط في اقل تقدير ، فأن نتائج النمو الزراعي في المزارع الصغيرة للمدى الطويل في هذه الحالة لا يعدو ان يكون سوى حالات تجمعية للمديات القصيرة ، اما في الدول العربية منخفضة الدخل (الصومـــال والســـودان واليمـــن) فانهـــا غالبـــاً ما تخضع لفرضيـــــه (Ragnar Narkes) التي تشير الى وجود عدد من القوى الدائرية المتفاعلة مع بعضها بطريقة تعمل على ابقاء الدولة في حالة من الفقر الدائم [١١] ، ويترتب على هذا التفاوت الواسع في التركيب الحيـــازي في بعض الاقتصادات العربية تفاوتاً اوسع في توزيع " **الفائض الاقتصادي الزراعي Agricultural Economic Surplus** " بين الاستهلاك والادخار (الاستثمار) الزراعي وغير الزراعي ، وذلك نتيجة سوء تخصيص الموارد ، ويظهر هذا التأثير بصورة واضحة عندما ترتفع الاهمية النسبية للناتج الزراعي الى اجمالي الناتج المحلي في الاقتصادات القطرية .

---

[١١] راجنار ميردال ، النظرية الاقتصادية والدول النامية ، ترجمة ابراهيم الشيخ، مراجعة حسين الحوت ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر ، ١٩٥٦ ، ص١٧.

٣-٣: التفاوت في القوة الشرائية (الدخل) من الزراعة وغير الزراعة

اتسعت اهتمامات برامج التنمية الاقتصادية في العقود الثلاثة الماضية بالتنمية الصناعية ، كما ادت التغيرات في اسعار النفط الى تزايد العوائد الريعية في الدول النفطية ، واظهر الناتج المحلي الاجمالي نمواً لم يساهم به النشاط الزراعي الا قليلاً ، وانخفضت الاهمية النسبية للاستثمارات الزراعية الى (٩,٢%) من اجمالي الاستثمارات العربية في النصف الاول من عقد السبعينــات [١٢] ، وادى هذا المنــاخ الاقتصــادي الى ان يكون " **معدل التبادل التجاري Terms of Trade** " ليس في صالح الزراعة .

وبالــرغم من ان بعض الاقتصادات العربية اعتمدت سياسات التثبيت والتغير الهيكلي التي اعطت لقوى السوق قدراً من الحرية في تخصيص الموارد ، الا ان القيود على حركة الموارد الزراعية التي تنعكس في انخفاض مرونة استجابتها لحوافز السوق ، ابعدتها عن التخصيص الامثل في القطاع الزراعي ، الامر الذي ترتب عليه تباين معدل الدخول الفردية في القطاع الزراعي مقارنة بغير الزراعي .

وقد انحصر التفاوت في هذا المؤشر في الاقطار العربية غير النفطية مقارنة بالعربية النفطية ، فقد تراوح في مطلع العقود الثلاثة الاخيرة ثم نهاية عقد التسعينيــات بين (٢,٥-١٢,٣) في الاقطار العربية غير النفطية ، وكان هناك تحسن نسبي في العلاقة بين الدخل الزراعي وغير الزراعي في بعض هذه الدول في نهاية القرن العشرين مقارنة بالسنوات

---

[١٢] حسن فهمي جمعة ، الأمن الغذائي في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، الخرطوم ، ١٩٩٢ ، ص٤٤ .

السابق الاشارة اليها ، في حين تباينت قيمة هذا المؤشر في اقطار عربية اخرى خلال السنوات المذكورة (جدول ٢) (شكل١) اذ يوضح الجدول والشكل المذكوران ان متوسط دخل الفرد الذي يعمل في نشاطات اقتصادية غير زراعية اكبر من مثيله الذي يعمل في النشاطات الزراعية بنحو مرتين ونصف في لبنان عام ١٩٧٠ وارتفعت في باقي !الاقطار العربية غير النفطية لتصل الى اقصاها ما مقداره اثنان وعشرون ضعفا في القطاع غير الزراعي مقارنة بالقطاع الزراعي في الدولة المذكورة عام ١٩٩٩ ، وتباينت الاقطار العربية غير النفطية الاخرى بين القيمتين المذكورتين خلال السنوات المذكورة ، وارتفع التباين في معدل الدخل الفردي المتأتي من الزراعة مقارنة بنظيره من غير الزراعة في الاقطار العربية النفطية خلال السنوات المذكورة ، وكان تباينه صارخاً في سنتي ١٩٨٠ و ١٩٩٠ من جراء ارتفاع ايرادات النفط (شكل ٢) واستمر هذا التفاوت بالاتساع في بعض الاقطار العربية النفطية ، ففي مثل الكويت بلغ متوسط دخل الفرد في قطاعه غير الزراعي (٢٥٣) مرة مقارنة بدخل نظيره في القطاع الزراعي عام ١٩٩٩ ، بعد ان كان (٣٠,٥) مرة قبل ارتفاع ايرادات (اسعار) النفط عام ١٩٧٠ الا ان بعض من هذه الاقطار اتجهت فيها قيمة هذا المؤشر نحو التحسن ، اذ انخفض في عمان الى (٧) عام ١٩٩٩ بعد ان كان (٢٨,٦) عام ١٩٩٠ ، ويرجع جزء من التباين في الدخل الزراعي مقارنة بغير الزراعي في الاقطار النفطية مقارنة بغير النفطية الى اختلاف الفلسفة الاقتصادية ونمط التكوين الهيكلي في الاقتصادات المذكورة .

جـــدول (٢)

نسبة نصيب الفرد من مجموع الناتج المحلي من غير الزراعة الى نصيبه من الناتج المحلي من الزراعة في الدول العربية

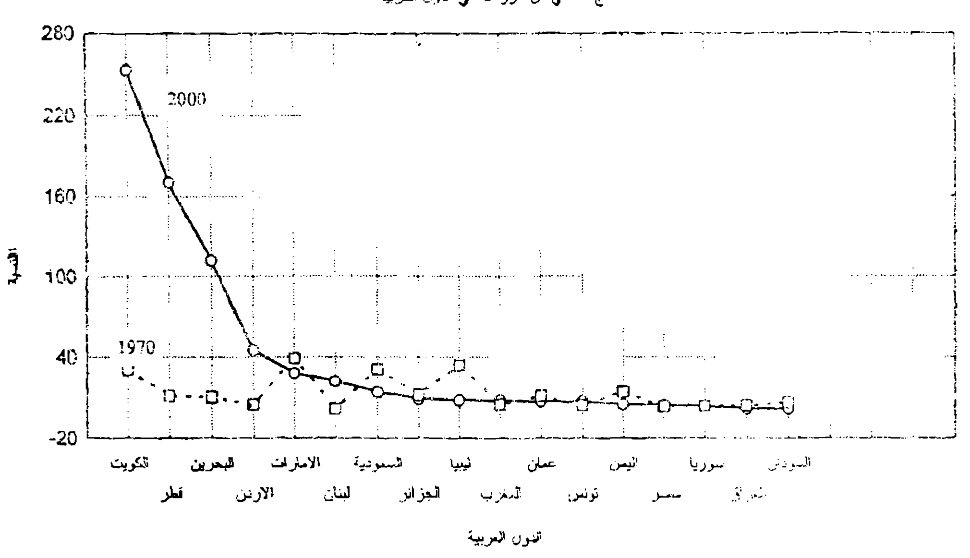
الدول	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٩
الاجمالي العربي	–	–	٧,٥	٦.٠٦
الكويت	٣٠,٥	٩٩,١	١٢٤,١	٢٥٣
قطر	١١,١	٨٣,٠	١٢٥,٤	١٧٠
البحرين	١٠	٨٠	١٢٠	١١٢
الاردن	٤,٨	٣,٤	١٢,٣	٤,٥
الامارات العربية	٣٩,٨	٥٧,٧	٦١,٥	٢٨
لبنان	٢,٥	٤,٥	١٠,٥	٢٢
السعودية	٣١,٦	١٢٥,١	١٤٧,١	١٤
الجزائر	١٧,١	١٥,٦	٨,٩	٩
ليبيا	٣٤,٣	٣٨,٩	١٨,٥	٨
المغرب	٥,١	٤,٥	٥,٤	٨
عمان	١١,١	٧٨,٦	٢٨,٦	٧
تونس	٤,١	٦,٦	٥,١	٧
اليمن	١٤,٠	١٠,١	٣,٦	٥
مصر	٣,٥	٤,٢	٤,٨	٥
سوريا	٤,١	٣,٦	٢,٦	٣
العراق	٤,٦	٤,٩	٣,٢	٢
السودان	٦,٤	٧,٠	٢,٣	٢

أعتمدت البيانات من المصادر :

- المنظمة العربية للتنمية الزراعية ، الكتاب السنوي للاحصاءات الزراعية (الخرطوم) (اعداد مختلفة) .
- جامعة الدول العربية ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد (٢٠٠٠) .
- اعتمدت مؤشرات عام ١٩٧٠ على :

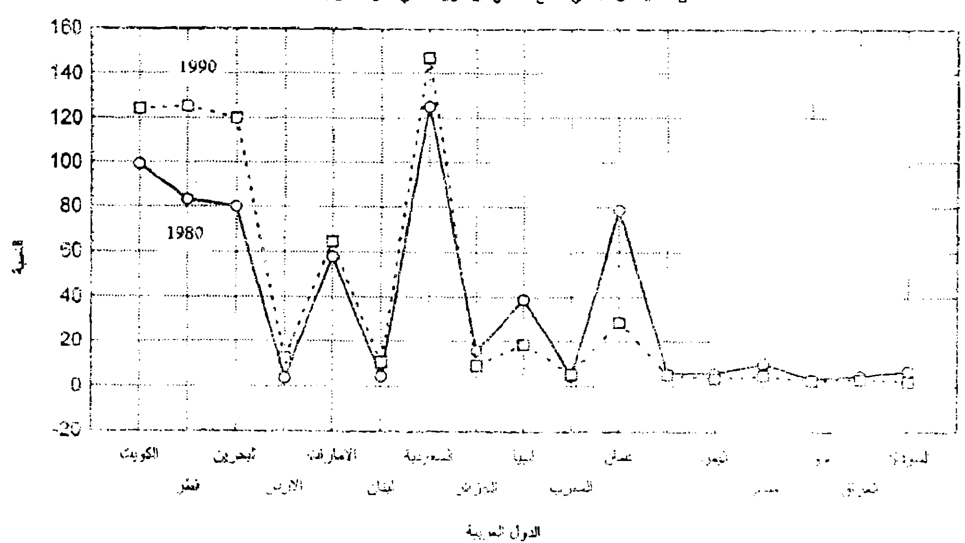
محمود رياض الغنيمي ، النمو الاقتصادي ، توزيع الدخل ، الفقر في الريف ، منظمة الغذاء والزراعة الامم المتحدة ، ايلول ١٩٨٤ .

شكل ١ التفاوت في نسبة نصيب الفرد من مجموع الناتج المحلي من غير الزراعة



شكل ٢ نسبة نصيب الفرد من مجموع الناتج المحلي من غير الزراعة

الى نصيبه من اجمالي الناتج المحلي من الزراعة في الدول العربية



٣-٤: المتضمنات الاخرى للتباين الدخلي العربي

يؤثر على تعميق حالة التفاوت في الدخل بين افراد المجتمع العديد من المتغيرات في مقدمتها " **الرقم الدليلي لتنمية البشرية** " [١٣] في الاقطار العربية ، ويعكس التباين في الرقم المذكور مدى الاشباع من متطلبات الحاجات الاساسية Basic Needs بين الاقطار العربية ، وبصورة غير مباشرة يعكس التفاوت في متوسط القدرة الشرائية بين الاقطار المذكورة باعتبار ان متضمنات الدخل تعد احدى مكونات هذا الدليل ، فقد استأثرت اربعة من الاقطار النفطية (الكويت والبحرين وقطر والامارات العربية) بالمستوى العالي من التنمية البشرية (HHD) . فقد تراوحت قيمة الرقم المذكور بين (٠,٨٣٦–٠,٨١٠) ، وتراوح ترتيبها بين (٣٦-٤٥) بين دول العالم ، في حين انحصرت اربعة اقطار عربية منخفضة الدخل (السودان وموريتانيا واليمن وجيبوتي) بالمستوى المنخفض من التنمية البشرية (LHD) ، فقد تراوحت قيمة الدليل المذكور بين (٠,٤٧٧–٠,٤٧٧) ، وجاء ترتيبها بين (١٤٣-١٤٩) وذلك من مجموع (١٧٧)

---

[١٣] الرقم الدليلي للتنمية البشرية هو دليل مركب يستند الى ثلاثة مؤشرات هي طول العمر مقيساً بالعمر المتوقع عند الولادة والتحصين التعليمي مقيساً بتوليفه من معدل المعرفة القراءة والكتابة بين البالغين ونسبة القيد الاجمالية في التعليم في مختلف مراحله ومستوى المعيشة مقيساً بنصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي (برنامج الامم المتحدة الانمائي ، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠ ، ص٢٧٩ .

دولة في العالم ، اما باقي الدول العربية المشار اليها(بالجدول والشكل ٣) فقد انتشرت بين مجموعة الدول ذات التنمية البشرية المتوسطة (MHD) وتراوحت قيمة الدليل المذكور لهذه الدول بين (٠,٧٦٠-٠,٥٨٣) وانحصر ترتيبها بين (٧٢-١٢٦) من ترتيب دول العالم طبقاً لقدراتها على توفير متطلبات التنمية البشرية [١٤] . ويتضح من (جدول ٣) و (الشكل ٤) ان هناك تباينا واسعا في مستوى التنمية البشرية ، حيث لم تتجاوز الدول منخفضة الدخل نصف الرقم الدليلي للاقطار مرتفعة الدخل الا قليلاً ، وذلك عند ترتيب الاقطار العربية طبقاً للاهمية النسبية لاعلى قيمة من الدليل المذكور ، مما يشير الى مدى التفاوت سواء في الدخل القابل للتصرف ام مستوى الخدمات الصحية والتعليمية لافراد المجتمع في الاقطار العربية ، وليس لهذه المسألة دلالاتها الاجتماعية فقط ، انما لاثارها الاقتصادية غير المرغوبة في مجال التنمية الاقتصادية باعتبار ان النمو الاقتصادي دالة في رأس المال البشري الذي تعمل متضمنات التنمية البشرية على الارتقاء بمكوناته وتعظيم كفاءته في النشاط الاقتصادي .

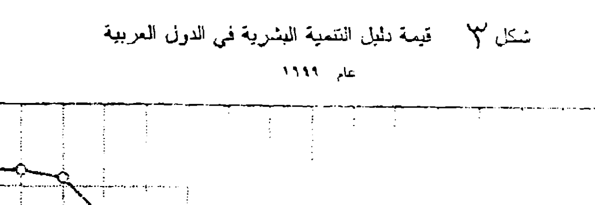
جدول (٣)
مؤشرات التنمية البشرية في الاقطار العربية (١٩٩٩)

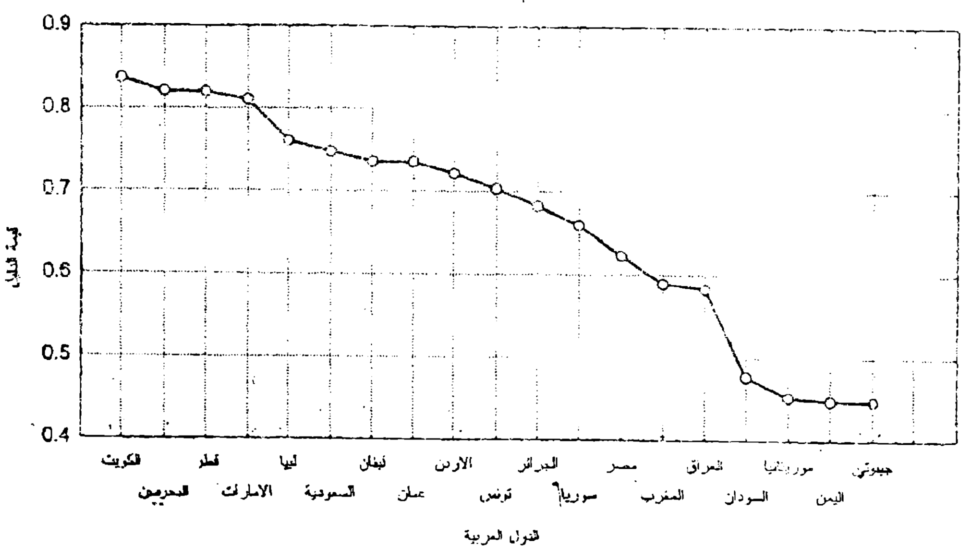
الاقطار	دليل التنمية البشرية	ترتيب الرقم الدليلي	الاهمية النسبية من اعلى قيمة	دليل الفقر البشري
الكويت	٠,٨٣٦	٣٦	١٠٠	-
البحرين	٠,٨٢٠	٤١	٩٨	٩,٥
قطر	٠,٨١٩	٤٢	٩٨	١٣,٧
الامارات	٠,٨١٠	٤٥	٩٧	١٧,٥
ليبيا	٠,٧٦٠	٧٢	٩١	-
السعودية	٠,٧٤٧	٧٥	٨٩	-
لبنان	٠,٧٣٥	٨٢	٨٨	١٠,٨
عمان	٠,٧٣٥	٨٦	٨٧	٢٢,٧
الاردن	٠,٧٢١	٩٢	٨٦	٨٠٨
تونس	٠,٧٠٣	١٠١	٨٤	٢١,٩
الجزائر	٠,٦٨٢	١٠٧	٨٢	٢٤,٨
سوريا	٠,٦٦٠	١١١	٧٩	١٩,٢
مصر	٠,٦٢٣	١١٩	٧٥	٣٢.٣
المغرب	٠,٥٨٩	١٢٤	٧٠	٣٨,٤
العراق	٠,٥٨٣	١٢٦	٧٠	٣٢,٥
السودان	٠,٤٧٧	١٤٣	٥٧	٣٥,٥
موريتانيا	٠,٤٥٢	١٤٧	٥٤	٤٩,٤
اليمن	٠,٤٤٨	١٤٨	٥٣	-
جيبوتي	٠,٤٤٧	١٤٩	٥٢	-

- برنامج الامم المتحدة الانمائي ، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠.

شكل ٣ قيمة دليل التنمية البشرية في الدول العربية

عام ١٩٩٩





شكل ٤ ترتيب الرقم الدليلي و اهمية التسمية

في عام ١٩٩٩

الدول العربية

ويعكس " **دليل الفقر البشري**"[١٥] متضمنات هذا التباين بين الاقطار العربية ، فقد تراوحت قيمة الدليل المذكور بين (٨٠٨-١٧,٥) في الاقطار العربية النفطية ، وارتفع الى اكثر من ضعف الحد الاعلى المذكور في العديد من الاقطار العربية ليبلغ اقصاه (٤٩,٤) في قطر عربي منخفض الدخل مثل موريتانيا ، وهو امر له دلالته الاقتصادية في المدى البعيد وذلك من حيث القدرة على تراكم رأس المال وتزايد الفائض الاقتصادي الذي يعد دالة في الاستثمار على صعيد القطري ، وبالرغم من ان جزءاً من هذا التباين قد جاء من جراء الاختلاف في مستويات ندرة الموارد الاقتصادية ، الا ان الجزء الاخر مبعثه اختلاف متضمنات السياسات الاقتصادية عن النمط الامثل لادارة الدولة والمجتمع Government ، وقد ترتب على تلك الاوضاع تشوهات في تخصيص الموارد الاقتصادية والمؤدية الى التخفيف من الفقر والتباين في مستوى الدخل بين افراد المجتمع الواحد .

وتتنازع بعض الاقتصادات العربية الادوار بين " الدولة" و " السوق" ، فقد انتاب السياسات الكلية ولاسيما " **الاسعار الكلية**

---

[١٥] يفسر دليل الفقرالبشري للبلدان النامية اوجه الحرمان من حيث ثلاثة ابعاد لحياة الانسان وهي طول العمر والمعرفة ومستوى المعيشة اللائق ، اما دليل الفقرالبشري للبلدان الاعضاء في منظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي التي لا يشملها الدليل والذي يطلق عليه **(HP٩-2)** فهو يشمل بالاضافة الى هذه الابعاد الثلاثة الاستبعاد الاجتماعي . (برنامج الامم المتحدة الانمائي ، تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠ ، ص٢٧٩) .

Macro-Price " في عقدي الستينيات والسبعينيات قدر من التشوه ادى الى اختلال في التوازن العام في بعض الاقطار العربية ، مما ترتب عليه أن واجه بعضا منها معدلات مرتفعة من التضخم ، فقد بلغ هذا المعدل نحو (٧٤,٤% ، ٢٤,١% ، ٢١,١%) سنوياً في كل من السودان واليمن والجزائر على الترتيب للفترة (١٩٩٠-١٩٩٨) ، ويظهر تأثير المعدلات العالية للتضخم من خلال تخفيض القوة الشرائية للدخول المنخفضة في حين ان الدخول العالية لن تتأثر قدراتهم الشرائية الا قليلاً ، وهو الامر الذي يبعث على اتساع التباين في القدرات الشرائية سواء في المجتمع القطري الواحد ام بين المجتمعات أم الفئات الدخلية في اقطار عربية مختلفة ، ولاسيما عندما تتباين معدلات التضخم السائدة تبايناً واسعاً في تلك المجتمعات الاقتصادية ، وربما يظهر ذلك جلياً في مجتمعات الاقطار العربية النفطية مثل الامارات العربية مقارنة بتلك ذات الدخول المنخفضة مثل السودان .

واخيــرا يمكن الاستنتاج ان الدوافع الرئيسة للتباين في توزيع الدخل بين المجتمعات الريفية والحضرية يرجع في الاساس الى التفاوت في ملكية المصادر المولدة للدخل ، في حين ان التباين في الدخل بين الاقطار العربية يرجع بصورة رئيسة الى الاختلاف في ندرة الموارد الاقتصادية أو وفرتها ، أو نمط السياسات الاقتصادية الزراعية ، مما يمكن معه القول ان تدنية التفاوت في توزيع الدخل في الحالة الاولى تتطلب الاهتمام بوسائل التنمية البشرية في الريف العربي وتدعيم المزارع الصغيرة بوسائل الانتاج التكميلية واعادة النظر في نمط توزيع ثمار النمو

الاقتصادي ، في حين ان تدنية التفاوت في متوسط الدخل بين الاقطار العربية يقتضي الاتجاه نحو الوسائل الاقتصادية التكاملية على الصعيد الاقليمي أو القومي لايجاد اسواق موحدة تساعد على تحقيق فرصة التكاليف البديلة لاستخدام الموارد من اجل تعظيم حجم الناتج المحلي والعمل على امثلية توزيع ثمار النمو الاقتصادي بين الاقطار العربية المختلفة .

تجليات العمارة الاسلامية
في تخطيط مدينة بغداد القديمة

الدكتور علي القاسمي
مكتب تنسيق التعريب ـ الرباط

الملخـــص :

اختار الخليفة العباسي المنصور قرية بغداد البابلية القديمة لتشييد عاصمته عليها وذلك لموقعها الجغرافي الاستراتيجي • وعلى خلاف المدن التي اختطها المسلمون قبلها ، كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وواسط ، لم تكن بغداد مدينة عسكرية وإنما مدينة « ملكية » يتوسطها قصر الخليفة ، الذي تحيط به دور الامراء والوزراء والقوّاد على شكل دوائر • وكان سورها مدورا كذلك • ولهذا سمّيت بغداد ـ « المدينة المدورة » ، على الرغم من أنها ليست أول مدينة مدورة في العراق ، فسورا الوركاء وواسط كانا مدورين تقريبا • ولا تقوم شهرة مدينة بغداد في التاريخ على روعة عمارتها التي تجلت فيها مقاصد الشريعة وارقى ما وصل اليه المسلمون آنذاك من علوم وفنون فحسب ، وإنما كذلك لانها اكبر حاضرة للفكر والعلم والثقافة في العالم لعدة قرون ، يؤمها العلماء والادباء والفقهاء من كل مكان للدراسة في جامعاتها ومعاهدها والبحث في مكتباتها وخزائنها •

- يا يونس ، أدخلت بغداد ؟

- لا .

- يا يونس ، ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس .

الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/٨٢٠م)

بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد .

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

١ - تقديم

بغداد مدينة ألف ليلة وليلة . بغداد مدينة الرشيد والمأمون . بغداد مدينة الطرافة والظرافة . بغداد مدينة العجائب والغرائب . بغداد مدينة التاريخ والأحداث . بغداد مدينة الآداب والفنون والعلوم . تزدهر بغداد حتى تبلغ قمة العلياء ، وتتدهور حتى تصل قرار سوء الحال . ثم تنهض من بين الانقاض والاوجاع ، لتعاود الاقلاع والارتفاع .

لم تحظ مدينة اسلامية بما حظيت به بغداد العريقة من اهتمام المؤرخين والآثاريين ، وعناية الادباء والفنانين ، وشغف اصحاب التراجم والسير ، وغيرهم من الباحثين الذين تناولوها بالدرس والبحث والتوثيق من جميع جوانبها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وافردوا لاحداثها ولاسهامات اهلها في صنع الحضارة الانسانية حيزا هاما من اعمالهم ومؤلفاتهم . ولم يقتصر الامر على المؤلفين المسلمين وإنما نجد ذلك الاهتمام وتلك العناية لدى المستشرقين والمستعربين كذلك ، بحيث اصبح في مقدورنا ان نكون

صورة كاملة تامة عن تلك المدينة على الرغم من ان معالمها قد طمست وان اطلالها قد اختفت منذ وقت طويل •

ولا تعود أهمية بغداد التاريخية الى عمارتها التي جمعت ارقى ما وصل اليه فن تخطيط المدن آنذاك واخذت بابدع ما عرفته المدن الاسلامية التي اختطت قبلها فحسب ، وإنما كذلك لانها كانت عاصمة الدولة الاسلامية في عصرها الذهبي ، عصر هارون الرشيد والمأمون ، وارقى مراكز الاشعاع الفكري والتقدم الحضاري ، واكبر مدينة في العالم مدة قرنين من الزمان •

ولهذا كله فان من يروم الكتابة عن مدينة بغداد العريقة يجد نفسه امام زخم كبير من المراجع والمصادر التي لا يتسنى له دراستها والالمام بها حتى لو كرس لها سنوات طويلة من عمره كما فعل الخطيب البغدادي الذي كتب مصنفه المشهور تاريخ بغداد في عدة مجلدات[١] •

وفي خضم ذلك البحر المتلاطم من المعطيات ، وفي ثنايا تلك البيادر المتطاولة من المعلومات ، تسربت بعض الاخطاء هنا وهناك ، بسبب التصحيف والتحريف ، او السهو والغلط الناتجين عن قلة البحث والتدقيق ، او بسبب التزوير والتلفيق الناتجين عن التحزب والتعصب • ويلفي الباحث المعاصر الامين نفسه مضطرا الى تناول جانب صغير فقط من جوانب تلك المدينة الخالدة ، مثل اسمها ، او اختيار موقعها ، او تحصيناتها ، او زخرفتها ، او ما الى ذلك • كما فعل المرحوم ابراهيم تيتوس بوكارت الذي تناول مسألة استدارة مدينة بغداد ودلالاتها السوسيولوجية والحضارية[٢] •

ولهذا فان ما يُقدّم في هذه العجالة يقتصر على بعض القضايا التي لفتت نظر الكاتب في اثناء دراسته المصادر القديمة والحديثة عن بغداد •

---

(١) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد (بيروت : دار الكتاب العربي ، ب ت) .

(٢) **Titus Burckhardt, L. Art de I Islam (Paris: Sinbad, 1985) 262-263**

٢ ـ أخطاء شائعة عن مدينة بغداد

ليست الاخطاء الشائعة وقفا على المفردات والتعبيرات اللغوية فحسب ، وإنما قد تشيع اخطاء في جميع فروع المعرفة الاخرى كذلك • وهنالك معلومات تاريخية يتداولها الناس والمؤرخون وهي بعيدة عن الحقيقة تماما • وفي دراستنا المصادر والمراجع المتعلقة بمدينة بغداد عثرنا على عدد من هذه الاخطاء الشائعة نشير اليها باختصار •

٢ـ١ : اخطاء شائعة تتعلق باسم المدينة

تجمع المصادر التاريخية ان الخليفة العباسي الثاني أبا جعفر المنصور ، الذي تولى الخلافة بعد وفاة اخيه ابي العباس السفاح عام ١٣٦هـ/٧٤٩م ، سرعان ما قرر بناء عاصمة له تليق بمكانة الدولة الاسلامية المتصاعدةوطموحاته الشخصية الكبيرة • فأختار ـ بعد تدقيق وتمحيص ـ موقعا على نهر الصراة بين نهري دجلة والفرات كانت تقوم فيه آنذاك قرية تسمى بغداد كان يجتمع فيها تجار الفرس في رأس كل شهر ، فبدأ البناء عام ١٤٥هـ/٧٥٨م ، واستغرق اربع سنوات ، وانتقل اليها المنصور عام ١٤٩هـ/٧٦٢م[٣]•

وتجمع المصادر كذلك على ان اسم القرية الاصلية في ذلك الموقع هو (بغداد) • وينطق كذلك (بغداذ) و (بغدان) ، او تبدل الباء ميما فيصير الاسم (مغداد) او (مغدان) او (مغداذ) • وهذه الاسماء كلها ممنوعة من الصرف ولكنها تقبل التذكير والتأنيث ، فتقول (هذا بغداد) و (هذه بغداد)[٤] • ويشتق منها الفعل (تبغدد) او (تبغدن) بمعنى سكن بغداد او تشبه بأهلها •

---

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٩) .

(٤) الخطيب البغدادي ١/٥٨ـ٥٩ ، وياقوت الحموي ١/٤٥٧ .

وسمّاها بانيها ابو جعفر المنصور (مدينة السلام) ، وهو الاسم الرسمي الذي ظهر في وثائق الدواوين العباسية وعلى النقود والاوزان[٥] • كما اطلقت على المدينة اسماء اخرى مثل (دار السلام) و (مدينة المنصور) و (مدينة الخلفاء) و (المدينة المدورة) و (الزوراء)[٦] • ولكن الاسم القديم (بغداد) هو الذي ظل عالقا في اذهان الناس ويتردد على ألسنتهم ، فاحتفظت المدينة بذلك الاسم حتى يومنا هذا ونادرا ما تستعمل اسماؤها الاخرى •

١ـ١ـ٢ : المعنى الفارسي المفترض لاسم مدينة بغداد

على سنة المؤرخين المسلمين الذين يبحثون في اصل اسماء الأعلام الجغرافية ومعناها ، اخذ الذين أرخوا لمدينة بغداد في البحث عن معنى اسمها • واتجهت انظارهم الى اللغة الفارسية للعثور على بغيتهم ، لا لان معظم الباحثين آنذاك على معرفة باللغة الفارسية فحسب ، بل كذلك لان اللغة الفارسية كانت اللغة الرسمية في العراق ابتداء من سقوط الامبراطورية البابلية عام ٥٣٨ ق•م• الى التحرير الاسلامي عام ٦٣٥م ، باستثناء فترات قصيرة خضعت فيها بابل لاحتلال الاغريق ثم الرومان • وكانت قرية بغداد الاصلية قائمة في اثناء الحكم الساساني الفارسي للعراق •

وهكذا جاء اقدم المؤرخين الذين تطرقوا الى مدينة بغداد مثل المقدسي وابن رستة بتفسيرات افتراضية مستمدة من اللغة الفارسية لاسم بغداد • وقد ترددت تلك التفسيرات في كتب المؤرخين اللاحقين[٧] .

---

(٥) Encyclopedie de I Islam (Leiden:EJ Brill, 1975) 1/921

(٦) ياقوت الحموي ، المرجع السابق .

(٧) Encyclopedie de I Islam, OP. cit.

واكثر هذه التفسيرات شيوعا هو القائل ان (باغ) تعني بستان بالفارسية و (داد) عطية فيكون معنى الاسم (البستان العطية) ، او (باغ) اسم صنم او شيطان و (داد) عطية او هبة فيكون المعنى (عطية الصنم) • وقد قرّب بعض المعاصرين المعنى فقال انها تعني (هبة الله)[٨] •

فلا غرابة في ان البكري (ت ٤٨٧هـ) قد ضمّن اسم بغداد في مصنفه المعروف باسم (معجم ما استعجم) لانه عدّ الاسم اعجميا واردفه بمعناه العربي[٩]•

٣ـ١ـ٢ : بغداد سومرية اكدية :

ولكن جميع تلك التفسيرات والتعليلات القائمة على المعنى الفارسي المفترض لاسم مدينة (بغداد) ستنهار كما ينهار جبل ملح تحت امطار غزيرة متواصلة اذا ما علمنا ان بلدة بغداد كانت موجودة بالاسم ذاته منذ زمن السومريين والآشوريين قبل ان يعرف العراق اية تأثيرات فارسية ، لغوية كانت ام سياسية ، بوقت طويل •

فقد كشفت الحفريات الآثارية في موقع بغداد العريقة عن واجهة كبيرة مبنية بالآجر البابلي وعليها اسم الملك البابلي الشهير نبوخذنصر (٦٠٥ـ٥٦٢ ق•م•) والقابه[١٠]•

ومن ناحية اخرى وُجدت وثائق بابلية تحمل اسم بلدة (بغداد) تعود احداها ، وهي وثيقة قضائية ، الى ايام الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ـ١٧٥٠ ق•م•) صاحب مسلة القوانين البابلية الشهيرة • وهكذا فان

---

(٨) الخطيب البغدادي ١/٥٨ • وياقوت الحموي ١/٤٥٧ •

(٩) عبدالله بن عبدالعزيز البكري ، معجم ما استعجم (بيروت : عالم الكتب ، ١٩٨٣) تحقيق مصطفى السقا ، ١/٢٦٣ •

(١٠) تحقيق في مجلة الفيصل ، ٢٧ (١٩٨١) ٣٥ •

اسم (بغداد) كان قد استعمل قبل الف عام في الاقل من دخول كلمة (باغ) بمعنى الصنم او الاله الى اللغة الفارسية(١١).

وهكذا فان البحث عن المعنى اسم مدينة بغداد ينبغي ان يكـون في مظان الدراسات السومرية والاشورية وفي معاجم هاتين اللغتين ، وعند العودة الى المعجم الذي اصدره الدكتور بهاء الدين الوردي للغة السومرية نجد ان بغداد تعني (قلعة قبيلة الصقر) او (هيكل الصقر)(١٢) ، وهذا ما يؤيـده عالم الآشوريات الفرنسي لابات في معجمه الخاص بالعلامات الاكدية(١٣).

٤-١-٢ : اسماء بغداد اخرى

ومن الاخطاء الشائعة ان تسمية ابو جعفر المنصور مدينته باسم (مدينة السلام) تسمية تتسم بالجدة لاختلاف هذا الاسم المركب عن اسماء المدن الاخرى التي مصّرها المسلمون بعد البعثة النبوية الشريفة سواء اكانت تلك الاسماء قديمة ام مستحدثة مثل (البصرة) و (الكوفة) و (الفسطاط) و (الهاشمية) .

ولكن الحقيقة هي ان اسم (مدينة السلام) اطلق على مدن سابقة لبغداد ، واشهر تلك المدن (اورشليم) القدس التي تعني بلغة اليبوسيين الذين اسسوها (مدينة السلام)(١٤).

وقد اختلف مؤرخو مدينة بغداد حتى في معنى اسمها العربي الواضح ، (مدينة السلام) او (دار السلام) ، فرأى بعضهم ان المقصود بالسلام هـو الله سبحانه وتعالى ، ودليلهم على ذلك قوله تعالى : (هو الله الذي لا إله إلا

---

(١١) Encyclopedie de I Islam, OP. cit.

(١٢) بهاء الدين الوردي ، قاموس اصل اللغات (مراكش : دار وليلي ، ١٩٩٦) ، ١٣٢ .

(١٣) Rene Labat, Manuel d'Epigraphie Akkadienne Paris

(١٤) شوقي شعث ، القدس الشريف (الرباط : الايسيسكو ، ١٩٨٨) ١٧ .

هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون) ــ سورة الحشر ٢٣ ــ . وفي هذا الصدد يروي ياقوت ان رجلا اتى عبدالعزيز بن رواد وهو جالس في جماعة فقال له : من أين انت ؟ فاجاب الرجل : من بغداد . فقال له : لا تقل بغداد فان (باغ) صنم و (داد) اعطى ، ولكن قل مدينة السلام ، فان الله هو السلام والمدن كلها له[١٥].

ويرى بعضهم ان المنصور اسماها مدينة السلام لان نهر دجلة يقال له (وادي السلام)[١٦].

ويرى بعضهم الاخر ان المنصور اسماها (مدينة السلام) تفاؤلا في انها ستكون آمنة مطمئنة . فالسلام شرط اساسي لازدهار المدن ورفاهيتها . ومن هنا جاءت دعوة ابي الانبياء ابراهيم (رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق اهله من الثمرات)[١٧] . وهذا التفسير هو الذي نميل اليه وهو معنى مدينة (اورشليم) التي سبقت بغداد في حمل هذا الاسم .

اما (مدينة المنصور) و (مدينة الخلفاء) و (المدينة المدورة) و (الزوراء) فهي ــ في نظرنا ــ اوصاف لبغداد استخدمها الخاصة والعامة في نعت المدينة فـ (مدينة المنصور) هي تعريف للمدينة باضافتها الى بانيها ، وكذلك (مدينة الخلفاء) تعريف لها باضافتها الى ساكنيها بعد ان تعاقب عدد من الخلفاء العباسيين على الاقامة فيها . و (المدينة المدورة) نعت للمدينة يميزها عن غيرها من المدن ، ظنا من الناعتين بانها المدينة الوحيدة التي بنيت على شكل دائرة .

---

(١٥) ياقوت الحموي ، hglavu السابق ، ١/٤٥٦ .

(١٦) ابن كثير ، البداية والنهاية (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧) ١٠٤/١٠ .

(١٧) القرآن الكريم ، سورة البقرة : ١٢٦ .

و (الزوراء) نعت كذلك ربما اطلق على المدينة لان الابواب الداخلة لاسوارها مزورّة عن الابواب الخارجية اي ليست على سمتها كما يقول ياقوت[١٨] . ويستخدم ترتيب مداخل ابواب السور على هذا الشكل المنحني او المنكسر لاغراض دفاعية . ومن المحتمل ان هذه الطريقة قد استخدمت اول مرة في بغداد[١٩] . وهكذا فـ (الزوراء) نعت لمدينة بغداد كما يستخدم العراقيون اليوم (الحدباء) نعتا لمدينة الموصل و (الفيحاء) نعتا لمدينة الحلة ، فيقولون (الموصل الحدباء) و (الحلة الفيحاء) .

واود ان اختم هذا العرض الموجز عن اسماء المدينة باسم طريف اورده الحميري (ت ٩٠٠هـ) في كتابه (الروض المعطار في خبر الاقطار) حين قال : « وكان بعضهم يسميها (الصيّادة) لانها تصيد القلوب »[٢٠].

٢ـ٢ : طبيعة المدينة وصنفها

والخطأ الشائع الثاني عن مدينة بغداد القديمة يتعلق بطبيعتها ونوعها والغرض من انشائها . فقد ظن فريق ان بغداد مدينة عسكرية واعتقد فريق آخر انها مدينة مدنية . وحقيقة الامر انها لا هذا ولا ذاك .

من المعروف ان اغلب الباحثين في نشأة المدن يقسمون المدن الى نوعين :

أ ــ مدن ذاتية النشأة ، نمت وتطورت تدريجيا من مجمع سكني في موقع توفرت له مقومات الازدهار كالماء والغذاء والهواء الصحي ، والارتباط بطرق التجارة ، ووجود تضاريس طبيعية تيسر الدفاع عنه مثل نهر يحيط به او جبل يوفر الحماية له او ما الى ذلك . وهكذا ينمو ذلك

---

(١٨) ياقوت الحموي ٤٥٦/١ .

(١٩) طاهر مظفر العميد ، « العمارة العسكرية » في حضارة العراق (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٥) ١٩٨/٩ .

(٢٠) الحميري . الروض المعطار في خبر الاقطار ــ تحقيق احسان عباس (بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٦٥) ١١٠ .

المجمع السكني الى قرية فبلدة فمدينة • وقد ينشأ المجمع السكني حول مكان مقدس كما نشأت مكة المكرمة او حول حصن او رباط كما نشأت مدينة الرباط او عند تقاطع الطرق التجارية كما نشأت مدينة الموصل •

ب ـ مدن جديدة انشئت بقرار من الحاكم لتكون مقرا له او عاصمة لملكه او معسكرا حربيا لجنوده •

هكذا يصنف معظم الجغرافيين المدن من حيث نشأتها على الرغم من اعترافهم بصعوبة التمييز بين النوعين في حالات كثيرة(٢١)•

اما من حيث الغرض الذي انشئت من اجله المدن ، وتخطيطها الذي يستجيب لذلك الغرض ، وطبيعة نشاطها او تخصصها ، فان كثيرا من الباحثين يقسمون المدن الى مدن عسكرية ، ومدن تجارية ، ومدن صناعية ، ومدن سياسية ، ومدن دينية • وعلى الرغم من ان المؤرخ البريطاني الشهير آرنولد توينبي قد تبنى هذا التصنيف للمدن في بادىء الامر إلا انه تنصل عنه في كتابه حول المدن المعنون بـ Cities on Move قائلا انه ليس هناك في اي وقت ولا في اي مكان مدن تجارية او صناعية او سياسية او عسكرية او دينية بصورة خالصة ، وإنما تختلف المدن فيما بينها من حيث تخصصها المتزايد بواحدة من هذه النشاطات •(٢٢) وهو اعتراف ضمني بوجود تلك الاصناف من المدن •

١ـ٢ـ٢ : اصناف المدن الاسلامية

واذا نظرنا في ضوء تلك التصنيفات الى المدن الاسلامية لوجدناها على نوعين :

الاول : مدن كانت قائمة قبل بزوغ الاسلام كالمدينة المنورة ودمشق والموصل

---

(٢١) **Niketa Elisseeff, "Physical Lay-out" in The Islamic City, Op. Cit. P. 90**

(٢٢) محمد عبدالستار عثمان ، المدينة الاسلامية (الكويت : عالم المعرفة رقم ١٢٨ ، ١٩٨٨) ١٣٢ •

وغيرها ، وقام المسلمون بادخال التعديلات عليها لتستجيب لمتطلبات الدين الجديد وتلبي احتياجاتهم الدينية والدنيوية •

اني : مدن اختطها المسلمون على وفق مبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، وتعكس بنيتها او هيئتها المادية القيم الروحية الاسلامية بحيث تستجيب عمارتها الى متطلبات المجتمع الفردية والجماعية ، المادية والروحية ، الدنيوية والاخروية ، مع الاستفادة مما صلح من التراث العمراني السابق ، والاخذ في النظر بخصوصيات الموقع المناخية وطبيعة مواد البناء المتوفرة •

٢-٢ : المدن الاسلامية الاولى عسكرية

وكانت المدن الكبيرة التي مصرها المسلمون قبل بغداد هي : البصرة لكوفة ، والفسطاط ، والقيروان ، وواسط • وكلها تقع في العراق ، ستثناء الفسطاط والقيروان • وكلها بلا استثناء مدن عسكرية حربية نشئت بمثابة معسكرات لجيوش الفتح الاسلامي •

فقد كانت البصرة اول مدينة مصرها المسلمون في عهد الخليفة الراشد ثاني عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ عام ١٤هـ/٦٣٥م ، بعد ان شعر ئد الجيش الاسلامي في جنوب العراق بالحاجة الى انشاء مقر دائم لجيشه ، كتب الى الخليفة قائلا : « لا بد للمسلمين من منزل يشتون به اذا شتوا يسكنون فيه اذا انصرفوا من غزوهم »[٢٣] • فاقره الخليفة على رأيه وكتب ه بتوجيهاته فيما يتعلق باختيار الموقع ، واسس تخطيط المدينة المقترحة •

وكانت الكوفة ثاني مدينة مصرها المسلمون وذلك عام ١٧هـ/٦٣٨م في هد الخليفة عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ كذلك ، بعد ان فتح المسلمون يادة سعد بن ابي وقاص حاضرة الساسانيين ، طيسفون (التي اسماها العرب

---

٢٣) البلاذري ، فتوح البلدان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨) ص ٢٤١ •

بالمدائن) وشعر بضرورة انشاء دار هجرة للمهاجرين ، فاقترح ذلك على الخليفة الذي وافق على الاقتراح وزوده بتوجيهاته[٢٤].

وتأسست الفسطاط اولى المدن الاسلامية في افريقيا على يد عمرو بن العاص عام ٢١هـ بمعونة بعض قادة جيشه في زمن الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كذلك ، لتكون معسكرا حربيا لهم[٢٥].

كما انشأ عقبة بن نافع الفهري مدينة القيروان عام ٥٥هـ/٦٧٥م لتكون منطلقا لجيوشه في افريقيا .

وبنى الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان على العراق مدينة على ضفة دجلة الغربية اسماها (واسط) لتوسطها بين البصرة والكوفة عام ٧٥هـ/٦٩٤م وذلك بعد ان يئس من كسب ثقة اهل هاتين المدينتين وتأكد له انه لا يمكن لجند الشام العيش فيهما بأمان .

وخلاصة القول ان جميع المدن التي مصّرها المسلمون قبل بغداد كانت معسكرات حربية تتخذها الجيوش الفاتحة مقرا لها ، منه تنطلق في غزواتها واليه تعود بعد تحقيق مهماتها . بل ان مدينة سامراء التي بنيت ، بعد بغداد ، عام ٢٢٠هـ/٨٣٥م كانت هي الاخرى مدينة عسكرية ، فقد بناها الخليفة العباسي المعتصم بالله لينقل جنده الاتراك اليها بعد ان تشكى اهل بغداد من كثرة شغبهم في المدينة[٢٦] .

٣ـ٢ـ٢ : بغداد ليست مدينة عسكرية ولا مدنية

ولما كانت جميع تلك المدن الاسلامية الجديدة قد مصّرها المسلمون لاغراض عسكرية فقد ظن بعضهم ان المنصور انشأ بغداد لتكون هي الاخرى

---

(٢٤) المرجع السابق .

(٢٥) عبدالرحمن زكي ، « المدينة الاسلامية » في مجلة الفيصل ، المصدر السابق ص ٩٢ .

(٢٦) عيسى سلمان حمد ، « تخطيط المدن » في حضارة العراق (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٥) ، ص ٢٠ـ٢١ .

معسكرا لجيشه • بل ان تحصيناتها الدفاعية القوية من اسوار ضخمة وابراج منتظمة وخنادق عميقة وأنفاق سرية اوحت لبعضهم بان المدينة ذات طبيعة عسكرية •

ومن ناحية اخرى ، فان نمو بغداد وازدهارها بعد فترة وجيزة من بنائها ، وانتقال اهل العلم والفنون والصناع والتجار اليها ، وانتشار المراكز الثقافية فيها ، وانتعاش اقتصادها ونموه المطرد ، وازدياد سكانها بسرعة مذهلة بحيث ارتفع بعد ثلاث سنوات فقط على بنائها الى ما يقرب من نصف مليون نسمة وبلغ سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م المليون نسمة حتى اصبحت اكبر مدن العالم مدة قرنين من الزمن (بين ٧٧٥ـ٩٣٥م)[٢٧] ــ كل ذلك اعطى الانطباع الزائف بان المدينة المدورة كانت مدينة مدنية •

٣ـ٢ـ٢ : المدينة المدورة مدينة ملكية فقط

ولكن نظرة فاحصة الى الامر تبين لنا بما لا يقبل الشك ان المدينة المدورة التي بناها المنصور لم تكن معسكرا حربيا للجنود ولم تكن مدينة مدنية يقطنها الاهالي ، وانما كانت مدينة ملكية خالصة لا غير ، ونستدل على ذلك بما يأتي :

أ ــ إن مساحة المدينة المدورة محدودة لا تصلح لسكنى جيوش دولة اسلامية صاعدة ذات فتوحات متواصلة ، ولا تتسع لاقامة المليون نسمة ، فقد كان لاسوار المدينة المدورة اربعة ابواب فقط يفصل بين كل باب وآخر خمسة آلاف ذراع ، كما يذكر اليعقوبي ، اي ان محيط المدينة عشرون الف ذراع وقطرها ٦٣٥٦ ذراعا فقط[٢٨] •

---

(٢٧) الموسوعة العربية العالمية (الرياض : مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٦) المجلد ٥ ، ص‌ص ١٠ـ١٤ .

(٢٨) شريف يوسف ، المدخل لتاريخ العمارة العربية الاسلامية وتطورها (بغداد : الموسوعة الصغيرة ، رقم ٦٧ ، ١٩٨٠) ، ص ٨٣ .

ب ـ وفي حين أنشئت المدينة المدورة على الضفة الغربية لنهر دجلة ، بنـ
المنصور معسكرا لجيشه على الضفة الشرقية لذلك النهر ، وكان المهد
بن جعفر المنصور وولي عهده فيما بعد هو الذي يرأس الجيش المذكـ
وسمي المعسكر باسمه (اي معسكر المهدي) • وشيدت في زمن المنصـ
ثلاثة جسور على نهر دجلة لربط المدينة المدورة بالرصافة ، وهي المنط
التي بني فيها المعسكر •

ج ـ اما العامة من التجار والصناع والجند فقد خصص لهم المنصور ارباضـ
وقطائع ودروبا خارج اسوار المدينة المدورة في قرية الكرخ ليبنوا فـ
بيوتهم ، واعطاهم التسهيلات لذلـك • كما عين مساحات المسا
والاسواق والحوانيت[٢٩]•

٤ـ٢ـ٢ : مقارنة بين تخطيط بغداد وغيرها من المدن التي سبقتها

إن الفرق لكبير بن مدينة يختطها قائد معسكرا لجنوده ومدينة يختط
خليفة عاصمة لدولته ؛ و « ثوبـا » لعظمته • ويتبلور هذا الفرق في تقسـ
الفضاء ، ومادة البناء ، وهوية السكان القاطنين في المدينة •

واذا قارنا بين انشاء مدينة البصرة مثلا ومدينة بغداد نجد انه علـ
الرغم من ان تخطيطهما متشابه وقريب من تخطيط بقية المدن الاسلامية مـ
حيث مكوناته الاساسية لانه ينطلق من الاسس والمبادىء والقيم الاسـلاه
ذاتها ويستجيب لحاجيات المجتمع الاسلامي الروحية ، وهي واحدة من حيـ
الاساس ، فان منازل مدينة البصرة شيدت على ايدي المجاهدين من القصـ
الذي كانوا ينزعونه عندما يغادرون المدينة لغزوة من الغـزوات ، في حين
مدينة بغداد شيدها امهر المهندسين والصناع والبنائين بالطابوق (اللبـ
المفخور) والجص •

---

(٢٩) احمد صالح العلـي ، بغداد مدينـة السلام (بغـداد : المجمع العلمـ
العراقي ، ١٩٨٥) •

وعلى الرغم من ان المسجد وقصر الامارة او الخلافة يحتلان مركز المدينة في كل من البصرة وبغداد ، فان حجم كل مكون من هذين المكونين المعماريين ودوره يختلف من مدينة لاخرى ، فالمسجد في البصرة هو المعلمة الرئيسة في المدينة ومساحته ضعف مساحة دار الامارة . اما في في بغداد فان قصر المنصور المسمى بقصر الذهب هو مركز المدينة وبجانبه المسجد الذي لا تتجاوز مساحته ربع مساحة القصر . ولا يُفسَّر التفاوت الكبير في المساحة بالتغير الذي طرأ على دور كل من المسجد والقصر وانما بالغاية المنوخاة من كل منهما كذلك . فالمسجد في البصرة او الكوفة مثلا كان نواة المدينة المركزية وقبلها النابض بالحركة،فيه يتعد المسلمون ،ويعلمون أبناءهم،ويناقشون امور ضعف مساحة دار الامارة التي تلتصق به . فالنماذج المعمارية الاسلامية الاولى دنياهم،ويضعون الخطط لغزواتهم وفتوحاتهم،ولهذا فقد كانت مساحة المسجد كانت تعكس تطابق العلاقات الاجتماعية والنظم الاقتصادية مع منظومة المبادىء والمثل والقيم التي جاء بها الاسلام[٣٠] . اما في بغداد فقد اصبح قصر الخليفة المسمى بقصر الذهب (او قصر باب الذهب) وايوانه الكبير هو مركز اتخاذ القرارات السياسية ووضع الخطط الحربية وإصدار اوامر الخليفة الى انحاء الدولة المترامية الاطراف . ولهذا فان سرة مدينة بغداد كان قصر الخليفة الذي اختط اولا ثم شيد المسجد الصغير بجانبه . وفضلا عن ذلك فان المسجد في بغداد لم يُبن ليؤمه جميع الساكنة والمجاهدين والجنود كما كان الحال في البصرة او الكوفة ، وإنما كان لصلاة الخليفة وابنائه وخاصته ممن يثق بهم فقط . فالمنصور لم ينس ان اثنين من الخلفاء الراشدين قتلا غيلة في المسجد الجامع اثناء الصلاة .

---

(٣٠) فتحي عبدالله ، « رمزية العمارة في المنظومة الاسلامية » في مجلة القاهرة العدد ١٨١ (ديسمبر ١٩٩٧) ص ٢٢–٣٢ .

اما من حيث السكان فقد كان اهل البصرة الاولى من المجاهدين الذين توزعوا على سبعة دساكر او خطط (محلات) في المدينة حسب قبائلهم مما يسر استنفارهم للجهاد ، في حين ان سكان مدينة بغداد هم الخليفة في قصره الذي يحتل الرحبة الوسطى ، واولاد الخليفة في قصورهم التي شيدت على شكل دائرة تحيط بالساحة المحيطة بالقصر ، ثم الدواوين وبيت المال في دائرة ثالثة ، ثم قسمت المدينة الى سكك يسكنها حاشية الخليفة ومواليه وموظفوه والقادة (وكلمة « القادة » كما كان يستعملها المؤرخون العرب القدامى لا تعني قادة الجيش وإنما رجال الدولة) ، مثل سكة الشرطة وسكة سجنه المعروف بالمطبق وغيرها . « وعلى كل سكة من طرفيها الابواب الثقيلة ، ولا تتصل سكة منها بسور الرحبة التي فيها دار الخليفة » كما يخبرنا اليعقوبي .[٣١] واحتفر في المدينة نفق تحت الارض يمتد فرسخين يستخدمه الخليفة لنهرب الى خارج المدينة اذا حاصره العدو[٣٢] . في حين كان السوق يتخذ في فضاء مفتوح في وسط المدينة الاسلامية ، كما كان عليه الحال في البصرة ، فان المنصور اخرجه من المدينة المدورة ــ بعد فترة وجيزة من انشائها ــ ووضعه في الارباض خارج الاسوار لاسباب امنية .

وكان الميدان الذي يحيط بقصر الخليفة في بغداد يضاء ليلا بالمصابيح[٣٣] لا لأسباب حضارية وجمالية فقط ، وإنما لاسباب امنية كذلك .

يتبين من كل ما تقدم ان المدينة المدورة لم تكن مدينة عسكرية ولا مدينة مدنية وإنما مدينة ملكية فقط .

---

(٣١) اليعقوبي ، البلدان ، طبع لايدن س ٣٣٦ــ٣٣٧ .

(٣٢) شريف يوسف ، المصدر السابق ، ص٨٢ــ٨٣ .

(٣٣) رمزية الاطرقجي ، الحياة الاجتماعية في بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسي الاول (بغداد ، ١٩٨٢) ص ٢١٧ .

٣ـ٢ : نفقات إنشاء مدينة بغداد

والخطأ الثالث الذي وقـع فيه بعض الباحثين المعاصرين من المستشرقين هو ادعاؤهم ان أبا جعفر المنصور قد اغتصب الارض التي بنى عليها مدينتـه ، وان بناءها تم عن طريق العمل الالزامي . ومن ذلك ما قاله كارل بروكلمـان في كتابه الذائع الصيت (تاريخ الشعوب الاسلامية) :

« وعلى ضفة دجلة اليسرى شيد الخليفه ، عن طريق
حملة واسعة من العمل الالزامـي ، قصـورا لنفسـه
ولحاشيته ، ومساجد ، ودورا للحكومة .. »(٣٤)

إن تهمة الغصب قد وردت في بعض المراجع المتأخرة ، ولكن مؤرخـا قديما مثل البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) يؤكد ان المنصـور « ابتـاع ارض مدينة السلام من قوم من ارباب القرى »(٣٥).

وقد نفى الخطيب البغدادي تلك التهمة واورد في كتابه (تاريخ بغداد) اخبارا مسندة الى قائليها في دفـع تلك التهمة ، منهـا ان رجلا ذكر في حضرة معروف الكرخي ان بغداد غصب ، فقال له معروف : « يا هذا اتق الله ، احفظ لسانك ، ما نعرف شيئا غصب » . وفي خبر آخر مسند الى جبلة انه قـال : « كانت مدينة ابي جعفـر (المنصور) قبل بنائها مزرعـة لستين من البغداديين فعوضهم عنها عوضا ارضاهم »(٣٦).

---

(٣٤) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فـارس ومنير بعلبكي (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٤٨) طبعـة سنة ١٩٨١ ، ص ١٧٨ .

(٣٥) البلاذري ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٣٦) الخطيب البغدادي ، المرجع السابق ، ج١ ، ص٢٠ .

٢ـ٣ـ٢ : نفقات بناء المدينة المدورة

وأما تهمة العمل الالزامي فهي تتناقض مع روايات المؤرخين المتواترة عن الاموال التي انفقها المنصور على بناء المدينة • فقد ذكر اولئك المؤرخون ان المنصور « احضر المهندسين •• ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين وغيرهم فأجرى عليهم الارزاق »[٣٧] • واشتغل في البناء على ما يذكر المسعودي خمسون الف عامل مدة اربع سنوات تقريبا • وقسم المنصور المدينة الى اربعة اقسام اوكل كل قسم الى احد القواد ليشرف على العمل • وعين من يتولى النفقة على العاملين في كل ربع[٣٨]•

ويخبرنا هؤلاء المؤرخون ان الاستاذ من الصناع كان يعمل « يومه بقيراط الى خمس حبات ، والروزكاري (العامل اليومي) يعمل بحبتين الى ثلاث حبات » • وان مجموع ما انفق على البناء أربعة آلاف الف وثمانمائة وثلاثة وثمانون درهما ، كما يقول الخطيب البغدادي ، ولكي يساعدنا هذا المؤرخ النبيه على معرفة قيمة هذا المبلغ في زماننا هذا اردفه بخبر يقول فيه صاحبه : « رأيت في زمن ابي جعفر (المنصور) كبشا بدرهم »[٣٩] • واذا ما علمنا ان ثمن الكبش اليوم الف درهم مغربي ، استطعنا ان نتوصل الى ان نفقات المدينة المدورة في مقاييس اليوم تساوي ما يقرب من خمسمائة مليون دولار امريكي •

---

(٣٧) المرجع السابق ، ١/٦٦ •

(٣٨) الطبري ، تاريخ الامم والملوك (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٨) ، ٤/٢٧٢ ، ٣٢٢ •

(٣٩) الخطيب البغدادي ، المرجع السابق ، ١/٦٩ـ٧٠ •

٣ـ٣ـ٢ : انواع العمل المجاني

يتضح من ذلك كله ان العمل في بناء المدينة المدورة لم يكن عملا الزاميا مجانيا وأنما كان بمقابل • وهنالك نوعان من العمل المجانـــي في العراق منـــذ زمن السومريين :

الاول ، ويسميه العراقيون بـــ (السخرة) وهو عمل الزامي مجانـــي يفرضه الحاكم على الناس •

الثاني ، ويسميه العراقيون بـــ (العونة) وهو عمل تطوعي مجاني يقوم به الناس من تلقاء انفسهم ، مثلما يعاون الفلاحون بعضهم بعضا ايام الـــزرع والحصاد •

وهناك من الفقهاء من حكم بالتزام العامة في المشاركة في بناء تحصينات المدينة المختلفة من أسوار وابراج وخنـــادق واستحكامات وغيرهـــا اذا احتاج ولي الامر الى معونتهم في ذلك ، لان هذه التحصينات من نوع (البنـــــــاء الواجب) الذي يساعد على حفظ النفس والعرض والمال ، وهذا من مقاصـــد الشريعة الاسلامية ، فيتوجب عليهم المشاركة في هذا النوع من البناء الـــذي يوفر الأمن والطمأنينة لهم ويعود بالنفع عليهم[٤٠] •

ولكن اصحاب تهمة العمل الالزامي المجاني لم يبينوا لنا نوعية ذلـــــك العمل ومن قام به ومتى وفي اي جزء من اجزاء المدينة ، وإنما القوا القـــــول على عواهنه •

٤ـ٣ـ٢ : العلاقة الجدلية بين العدل والعمارة

إن من يزاول السلطة قد يتخذ قرارات تقع في المنطقة الرمادية بين الحلال والحرام ، بين العدل والظلم ، بين الحق والباطل ، إما لاختلاف وجهات النظر فيها او لاختلاف الحكم عليها حسب الزاوية التي ينظر منها • وقد عـُــــرف

---

(٤٠) محمد عبدالستار عثمان ، المرجع السابق ، ص ١٢١ •

عن الخليفة المنصور اخذه لمناوئيه بالشدة والعنف وإخماده الثورات بالقسوة والبطش ، فأسر واقتل عمه عبدالله بن علي الذي خرج عليه ، وقتل من ابناء عمومته محمد النفس الزكيّة وابراهيم الامام بعد ثورتهما عليه، وخلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد واناط بها الى ولده المهدي . ولا شك في انه كان يبرر كل ذلك باسم الصالح العام والعمل على حفظ الامن والنظام بوصفه الخليفة الشرعي .

ولكن هل يُقدِم المنصور على اغتصاب ارض ليبني داره عليها ؟ وهل يسخر العمال لبناء تلك الدار من غير ان يدفع لهم اتعابهم قبل ان يجف عرقهم ؟ لا اظن ذلك لسببين ، الاول فقهي والثاني سياسي .

كان ابو جعفر المنصور من المتفقهين في الدين ، فقد ترعرع في واحد من اكبر البيوتات العلمية الاسلامية ، فجده الاكبر هو عبدالله بن العباس الذي كان يلقب بحبر الامة . فأبو جعفر المنصور هو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب . والعباس بن عبدالمطلب الذي ينتسب اليه العباسيون هو عم النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ . وكان ابو جعفر المنصور « عارفا بالفقه ، مقدما في الفلسفة والفلك ، محبا للعلماء » ، كما يقول عنه الزركلي في (الاعلام) . وكان يكثر من اداء فريضة الحج حتى انه بويع له عام ١٣٦هـ في قرب مكة المكرمة بعد ان صدر من الحج ، وتوفي عام ١٥٨هـ وكان في طريقه الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج .

وتذكر كتب التاريخ ان أبا جعفر المنصور التقى الامام مالك ذات مرة في منى في موسم الحج ، وجرى بينهما حوار في الفقه والحديث والعلم ، فلم يلبث المنصور ان طلب من الامام مالك ان يؤلف كتابا في الفقه وزوده بنصائحه قائلا : « يا ابا عبدالله ، ضع هذا العلم ودونه ، ودوّن منه كتابا . وتجنب فيه شدائد عبدالله بن مسعود . واقصد الى اوسط الامور ، وما اجتمع عليه

الأئمة والصحابة ... »[٤١] واستجاب الامام مالك لطلب الخليفة فصنّف كتابه (الموطأ) .

فالرجل اذن متدين وعلى دراية بالفقه . ومن المبادىء الفقهية في العمارة ان لا تكون الارض التي تشيد عليها المدينة او المنزل مغتصبة .

اما من الناحية السياسية فقد كان الرجل يدرك ان العدل اساس الملك ، وان العمارة من اركان الملك ، وانها لا تتم ولا تزدهر إلا باقامة العدل . ولهذا قيل (بالعدل عمرت الارض وقامت الممالك) . وكان يدرك كذلك ان الظلم يؤدي الى خراب العمارة . فاذا وقع الظلم والعدوان على الناس واموالهم فانهم يتقاعسون عن العمل فتكسد الاسواق ويعم الفقر وينتشر الجهل وبالتالي تقل موارد الدولة . وابو جعفر المنصور كان مولعا بالعمارة ، شيد الهاشمية بالقرب من الكوفة حال توليه الخلافة لتكون مقرا له ، ثم بنى بظهر الكوفة مدينة سماها (الرصافة) ، ولكن قرب هاتين المدينتين من الكوفة التي كان يشك في ولاء اهلها وخوفه من إفسادهم جنده عليه جعله يشيد بغداد بعيدا عن الكوفة . كما كان قد وسع المسجد الحرام عام ١٣٩هـ . وفي سنة ١٥٥هـ امر ببناء مدينة الرافقة على منوال بناء بغداد ، وعمل لكل من الكوفة والبصرة سورا وخندقا[٤٢].

فولعه بالعمارة وحرصه عليها يجعلانه يتوخى العدل ويتجنب الظلم ويتحاشى اكل اموال الناس ، خوفا من الاضرار بالعمارة . فهل يُعقل ان يقيم قصرا لنفسه على ارض يغتصبها من جيرانه وبدون دفع اجرة الاجير ؟!

٤ـ٢ : الامام ابو حنيفة وبناء مدينة بغداد

من الاخطاء الشائعة عن بناء بغداد والقائمين به ان الامام ابا حنيفة صاحب المدرسة الفقهية المعروفة قد تولى الاشراف على العمل او العمال او

---

(٤١) مصطفى الشكعة ، الائمة الأربعة ، (القاهرة : دار الكتاب المصري ، ١٩٧٩) ص ٤١١ .

كليهما . ولو كان هذا الخطأ متداولا بين العامة فقط لهان الامر ولقلنا انهم اعتزازا منهم بمدينتهم او بفقيههم جعلوا بغداد تتبرك بمشاركة هذا الفقيه الجليل في بنائها . ولكن الامر يدعو الى الدهشة والتساؤل ويدفعنا الى البحث والتدقيق عندما يردد هذا الخبر مؤرخون معاصرون ويرد في موسوعة هامة مثل موسوعة (حضارة العراق) . فقد ذكر الباحث الفاضل الذي تولى إعداد مادة الفصل المتعلق بـ (تخطيط المدن) ما نصه :

« والمعروف ان ابا جعفر قد استعان بعدد كبير من الصناع والمهرة والمهندسين من كافة اقاليم الدولة العباسية ويقال ان عددهم بلغ مائة الف عامل وكانت تدفع لهم اجور اتعابهم واوكل الاشراف على ذلك كله الى الفقيه المعروف النعمان بن ثابت (ابو حنيفة) . »(٤٣)

ولم يذكر لنا الباحث الفاضل من اين استقى هذه المعلومة المتعلقة بالامام ابي حنيفة ، ولكنه ادرج قائمة بالمصادر في نهاية فصلين كتبهما لهذه الموسوعة .

غير ان رئيس المجمع العلمي العراقي ، استاذنا الجليل الدكتور صالح احمد العلي ، يورد تلك المعلومة ذاتها ، هو الاخر ، ويزيدها تفصيلا في كتابه متعدد المجلدات الموسوم بـ (بغداد مدينة السلام) في الفصل الثاني عشر المعنون بـ (تنظيم العمل في بناء بغداد) فيقول بالحرف الواحد :

« فأما ابو حنيفة ، فهو الفقيه المشهور ، وقد تولى عدّ اللبن [وهنا يضع رقما يحيل على هامش نجد

(٤٢) ابن كثير ، المرجع السابق ، ج١٠ ص ١١٦ .

(٤٣) عيسى سلمان حميد ، المرجع السابق ، ج٩ ، ص ٣٤ .

فيه : الخطيب ١/٧١] ، ويذكر ابـن الفقيه ان ابـا حنيفة كان مسؤولا ايضا عن اخذ الرجال بالعمل »[٤٤]

ثم ينتقل الى ذكر آخرين ممن شاركوا في بناء بغداد او الاشراف عليه ، مـن دون ان يناقش او يعلق على الوظيفة التي اسندت الى الامام ابي حنيفة ، وكأن الامر متفق عليه او حقيقة واقعة لا تقبل النقاش او مسـلمة من المسـلمات البديهية التي لا تحتاج الى تفكير .

وعندما نرجع الى المصدر الذي استند اليه والذي ذكـره في الهامش ، أي الجزء الاول من كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في الصـفحة ٧١ ، نجد ان الباحث اختزل النص الاصلي اختزالا اخلّ بمواصفات الوظيفـة المنوطة هناك بالفقيه ابي حنيفة في بناء بغداد ، اذ انها لم تقتصر على عدّ اللبن فقط بل تشتمل على ضربه كذلك . فالخبر الذي اورده الخطيب البغـدادي هو على الوجه التالي :

« بلغني عن محمد بن خلف ــ وكيـع ــ ان ابا حنيفة النعمان بن ثابـت ، كان يتولى القيام بضـرب لبـن المدينة وعدّه حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق . وكان ابو حنيفة يعدّ اللبن بالقصب وهو اول من فعل ذلك فاستفاد الناس منه »[٤٥].

وهنا نجد ذكرا لوظيفة ثالثة للامام ابي حنيفة هي ضرب اللبن ، اي خلـط التراب بالماء ليصبح لبنا ، وهو ما يفعله بعض العمال المشـتغلين في صـنع مواد البناء .

---

(٤٤) صالح احمد العلي ، المرجع السابق ١/٢٨٨ .

(٤٥) الخطيب البغدادي ، المرجع السابق ، ١/٧١ .

١-٤-٢ : هل كان بمقدور الفقيه ابي حنيفة المشاركة في بناء بغداد ؟

الفقيه ابو حنيفة (٨٠-١٥٠هـ) فقيه جليل القدر من كبار فقهاء الاسلام وهو إمام مدرسة اهل الرأي في الفقه وصاحب مذهب فقهي يُنسب اليه • ولد وعاش وتلقى علومه في مدينة الكوفة ، وقام برحلة او اكثر الى الحجاز لاداء فريضة الحج ولطلب العلم • وكان يحظى باحترام خلفاء الدولتين الاموية والعباسية الذين كانوا يبتغون رضاه ويسعون الى كسب تأييده • ولا يُعقل بتاتا ان يشتغل في بناء مدينة بغداد ويتولى ضرب اللبن وعده بل ولا حتى الاشراف على العمل او العمال ، وذلك للاسباب الاتية :

أ - شرع الخليفة المنصور في تشييد مدينة بغداد عام ١٤٥هـ وانتهى منه عام ١٤٩هـ • وهذا يعني ان الفقيه ابا حنيفة كان في اواخر سني عمره ، وبالضبط من الخامسة والستين الى التاسعة والستين من عمره ، فقد توفي وعمره سبعون عاما • ولا يستطيع شيخ في مثل هذه السن ان يعمل في ضرب اللبن وعدّه ، خاصة اذا ما علمنا ان حجم اللبنة الواحدة يبلغ ذراعا في ذراع ووزنها مائة وسبعة عشر رطلا ، كما يخبرنا الطبري ، وان في كل ساف من اسواف سور المدينة نحو مائة وخمسين الف لبنة ، كما يخبرنا الخطيب البغدادي نفسه[٤٦] وحتى لو اراد الفقيه ابو حنيفة العمل في ضرب اللبن وعدّه او في « اخذ الرجال بالعمل » لقاء اجر يومي ، فان من المؤكد ان الخليفة ابا جعفر المنصور لن يرضى بذلك ؛ لا حبا بالفقيه وإنما حرصا على سير العمل بدقة وسرعة مما يتطلب استخدام الشباب النشطين من العمال المتمرسين لاضعاف الشيوخ غير المتخصصين • فقد عرف عن المنصور حرصه على المال حتى لُقب بن (الدوانيقي) • وروى الطبري الحكاية التالية التي تدل على تلك الدقة وذلك الحرص : « ولى المنصور خالد بن الصلت النفقة

---

(٤٦) المرجع السابق ، ص ٧١-٧٢ ، والطبري ٤٧٩/٤ •

على ربع من ارباع المدينة وهي تبنى ، قال خالد ، فلما فرغت من بناء ذلك الربع رفعت اليه جماعة النفقة عليه فحسبها بيده ، فبقي عليّ خمسة عشر درهما »[٤٧] .

ب ــ اجمع الباحثون الذين تناولوا سيرة الفقيه ابي حنيفة ، قدامى كانوا او محدثين من امثال المكي في كتابه (المناقب) والشيخ محمد ابو زهرة في كتابه (ابو حنيفة) ، ان الفقيه أبا حنيفة كان شيعيا فيه محبه لذرية الامام علي وفاطمة الزهراء ، وانه « ناصر الامام زيد بن علي في خروجه على الخليفة الاموي هشام بن عبدالملك وحث على الجهاد معه ، كما ايد خروج الامام ابراهيم بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى على الخليفة المنصور وحض الناس على نصرته ، وكانت عيناه تدمعان عندما يذكر عنده محمد النفس الزكية بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى الذي قتله العباسيون ... »[٤٨] . وسعى الى الاتصال العلمي بأئمة آل البيت والدرس عليهم والاخذ عنهم، وقد عدّ من شيوخه عبدالله الكامل والامام محمد الباقر وولده الامام جعفر الصادق وروى عنهم .

ولهذه الاسباب ، فضلا عن ترفعه وتعففه وتحوطه رفض ان يكون في يده خاتم الدولة الاموية ، وهو المنصب الذي عرضه عليه عامل الامويين على العراق يزيد بن هبيرة (١٢٧ ــ ١٣٢ هـ) ، كما رفض منصب قاضي الدولة العباسية الذي عرضه عليه الخليفة ابو جعفر المنصور بنفسه[٤٩] ، فكيف يقبل ان يشتغل بالبناء وضرب اللبن وعده او «اخذ الرجال بالعمل» وهو ما يسميه الانجليز بحادي العبيد (slave driver)

---

(٤٧) الطبري ، المرجع السابق .
(٤٨) الامام محمد أبو زهرة ، ابو حنيفة : حياته وعصره وآراؤه وفقهه (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٤٧) ص ١٤٦ .
(٤٩) علي القاسمي ، « الحياة الاجتماعية والفكرية في عراق الامام ابي حنيفة واثرها في آرائه » في دعوة الحق ، العدد ٣٣٩ (١٤١٩هـ / ١٩٩٨) ص ص ٥٢ــ٦٠ .

ج ـ واذا رجعنا الى المؤرخ ابن الفقيه ، الذي استشهد به المؤرخ الدكتور صالح احمد العلي في مسؤولية ابي حنيفة عن « اخذ الرجال بالعمل » نجد انه ينقص نفسه مرتين : الاولى ان مَن يعمل بضرب اللبن وعدّه لا يستطيع ان يراقب العمال الاخرين في وقت واحد . والثانية انه يقول في موضع آخر :« ووكل [المنصور] البناء قواده ، فقسّمها بينهم ارباعا ، فدفع الى الربيع الحاجب باب خراسان ، والى ابي ايوب الخوزي وزيره باب الكوفة ، والى عبدالملك بن حميد باب البصرة ، والى ابن رغبان مولى محمد بن مسلمة الفهري باب الشام فبنوها»[50] ويؤيد هذا التقسيم ما ذكره الطبري من ان المنصور جعل المدينة ارباعا « ووكل بكل ربع قائدا »[51].

ولا شك في ان الخليفة اوكل الاشراف على البناء الى كبار القواد الذين لهم سلطات ادارية واسعة لتيسير الاجراءات ، وقسّم البناء بينهم لاثارة روح المنافسة وضمان الجودة والسرعة . ولم يكن الفقيه ابو حنيفة من قواد الخليفة المنصور ليتولى الاشراف على العمل .

د ـ إن حكاية تكليف الفقيه ابي حنيفة بضرب اللبن او عدّه او « اخذ الرجال بالعمل » او الاشراف على البناء ورد في عدد من المراجع التاريخية القديمة مثل كتب ابن الفقيه والخطيب البغدادي والطبري . ولعل الطبري هو الوحيد بينهم الذي حاول ان يجد توضيحا او تعليلا للموضوع ؛ ولكنه ذكر عدة روايات من غير ان يمحصها او يناقشها ليخلص من ذلك كله الى رأي يرتأيه ، وإنما ادرج تلك الروايات دون تعليق وكأنه يترك الامر للقارىء لاستخلاص النتيجة او انه افترض ان بعضها يكمل بعضا . وهذه الروايات هي :

الرواية الاولى : « وجه المنصور في حشر الصناع والفعلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة ، فاحضروا ، وامر باختيار قوم

---

(٥٠) ابن الفقيه ، ص٤١ .
(٥١) الطبري ، المرجع نفسه .

من ذوي الفضل والعدالة والفقه والامانة والمعرفة بالهندسة ، فكان ممن احضر لذلك الحجاج بن ارطأة وابو حنيفة النعمان بن ثابت »[٥٢].

ويستشف من هذه الرواية ان القوم من ذوي الفضل انما احضروا للمشاركة في ما نسميه نحن اليوم بـ « حفل وضع الحجر الاساس» للمدينة الجديدة ، لانه من الواضح ان بدء البناء رافقه احتفال من هذا النوع فمعظم المصادر تشير الى ان الخليفة « وضع اول لبنة بيده ، وقال بسم الله والحمد لله والارض يورثها مَن يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله »[٥٣] ، او انهم أحضروا للمشاركة في توجيه المهندسين والمعماريين في التصور والتخطيط اللازمين لبناء مدينة جديدة .

والرواية الثانية : وذكر عن سليمان بن مجالد ان المنصور أراد ابا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء ، فامتنع عن ذلك ، فحلف المنصور ان يتولى له ، وحلف ابو حنيفة الا يفعل ، فولاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعدّه ، واخذ الرجال بالعمل . قال وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه ، قال : وكان ابو حنيفة المتوليّ لذلك ، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي الخندق ، وكان استتمامه في سنة تسع واربعين ومائة »[٥٤].

وفي موضع آخر يقول الطبري : « وذُكر عن الهيثم بن عدي ، ان المنصور عرض على ابي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع ، فحلف الا يُقلع عنه حتى يعمل ، فأخبر بذلك ابو حنيفة ، فدعا بقصبة ، فعدّ اللبن على رجل قد لبّنه ، وكان ابو حنيفة اول من عدّ اللبن بالقصب ، فاخرج ابا جعفر [المنصور] من يمينه واعتل فمات ببغداد »[٥٥].

---

(٥٢) الطبري ٤/٤٥٩ .
(٥٣) الطبري ٤/٤٥٨ .
(٥٤) الطبري ٤/٤٥٩-٤٦٠ .
(٥٥) الطبري ٥/٤٦٠ .

ومن هاتين الروايتين نستشف ان الامـر يتعلق بحيلة شرعيـة وان عمل الفقيه ابي حنيفة في البناء كان مجرد اجراء لم يستغرق إلا دقائق معدودات •

هـ ــ وعند الرجوع الى تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الذي اعتمد عليه استاذنا الجليل الدكتور صالح احمد العلي في حكاية مشاركة الفقيه ابـي حنيفة حتى قال : انه لا يرضى ان يتولـى عـدّ لبن مسجد للدوانيقي ــ أي وجدنا هامشا يتضمن تعليقا على الخبر الذي اورده الخطيب • ونص التعليق :

« والمشهور ان ابا حنيفة ضد المنصور • ولعل هذه الحكاية بلغت ابـا حنيفة حتى قال : انه لا يرضى ان يتولى عـدا لبن مسـجد المدوانيقي ــ اي المنصور ــ كذا في تفسير الزمخشري عند تفسير قوله تعالى (لا ينال عهـدي الظالمين) ١٢٤ــ سورة البقرة »[٥٦]•

وعند الرجوع الى تفسير الزمخشـري الذي ورد ذكـره في التعليـق المذكور ، وجدنا ان النص هو :

«وكان [ابو حنيفة] يقول في المنصور واشياعه : لو أرادوا بناء مسجد وارادوني على عدّ آجره لما فعلت »[٥٧]•

وسواء أكانت الحكاية موجودة في زمن الفقيه ابي حنيفة او وجدت بعد ذلك ، فان جميع الدلائل المستنبطة من العقل والتاريخ والسياسة تدحـض قيام الفقيه ابي حنيفة بممارسة اشغال البناء وضرب اللبن وعدّه واخذ الرجال بالعمل • وكنا نتمنى ان يضطلع المؤرخ الجليـل بتمحيص الحكاية ومناقشتها والخروج بـرأي فيها قبل ادراجهـا كحقيقـة تاريخية ثابتة في مصنفـه القيم (بغداد مدينة السلام) •

---

(٥٦) الخطيب البغدادي ٧١/١ •

(٥٧) الزمخشري ، الكشاف (بيروت : دار المعرفة ، بت) ج١ ص ٣٠٩ •

٥ـ٢ : بغداد المدينة المدورة :

والخطأ الشائع الخامس يتعلق باستدارة المدينة ، اذ يظن بعضهم ان بغداد هي اول مدينة مدورة في تاريخ العالم ولذلك حملت نقب (المدينة المدورة) •

غير أن الباحثين في نشأة المدن وتخطيطها يشيرون الى ان هناك ثلاثة اشكال يمكن ان تتخذها التجمعات السكنية او الحضرية في العصور القديمة وهي : المربع والمثلث والدائرة • وهكذا يتخذ احد هذه الاشكال اطارا خارجيا للمدينة • اما محتوى الفضاء المدني او توزيع المساحة داخل الاطار فقد تتباين وتتنوع وهذا ما يهم الباحث اكثر من شكل الاطار المجرد[٥٨]•

ويشير اولئك الباحثون الى ان المربع والمثلث كانا شائعين في المناطق الكائنة غرب نهر دجلة ، في حين ان الخطة الدائرية هي التي كانت مفضلة في البلاد الواقعة شرق دجلة • وكان الاطار الدائري للتجمعات السكنية قد ظهر منذ العصر النيوليتي ، فقد كان التل او الجبل يوحي بالاطار الدائري للمكان[٥٩]•

ولعل اقدم التجمعات السكنية ظهرت في منطقة الهلال الخصيب وكانت بلاد سومر مهد المدنية العريقة ، حيث شيدت المدن واقيمت فيها المؤسسات الادارية والعسكرية والدينية والتربوية وابتكرت فيها الكتابة المسمارية وافتتحت المدارس النظامية واخترعت العجلة وطورت الزراعة[٦٠]•

وتعد مدينة اوروك او الوركاء التي انشئت نحو اربعة آلاف سنة قبل إنشاء مدينة بغداد ، من اشهر المدن السومرية • ولا تعود شهرتها الى روعة عمارتها وحسن تنظيم شوارعها وجمال ابنيتها فحسب ، وإنما الى ملحمة

---

(٥٨) **Nikita Elisseeff, Op. Cit., P. 39**

(٥٩) المرجع السابق .

(٦٠) كريمر ، التاريخ يبدأ من سومر ــ ترجمة فيصل السامر ــ

جلجامش الذائعة الصيت كذلك . فقد كان بطل الملحمة التي سميت باسمه هو ملك الوركاء وباني اسوارها ، كما ان معظم احداث الملحمة ومعاركها جرت في رحاب تلك المدينة . ويقول عالم الاثار العراقي طه باقر عن مدينة الوركاء انها كانت مسورة على هيئة شبه دائرة(٦١).

وقد ذكرنا ان آخر مدينة اسلامية كبيرة بنيت في العراق قبل بغداد هي مدينة واسط ، وقد افاد المنصور من تخطيطها واستخدم عددا من مهندسيها وصناعها وفعلتها في بناء بغداد ، وبنى القبة الخضراء في قصره المعروف بقصر الذهب على غرار القبة الخضراء في قصر الامارة بواسط ، ونقل بعض ابواب اسوار واسط لاستخدامها في تحصين اسوار بغداد . وقد كشفت تحريات مديرية الاثار العراقية التي جرت في واسط مؤخرا على بقايا السورين والخندق وهي على شكل نصف دائرة تحيط بالمدينة وتنفتح على نهر الدجيلة ، والمدينة ذاتها شبه مدورة(٦٢).

يتضح من ذلك كله ان بغداد لم تكن المدينة المدورة الوحيدة في التاريخ كما لم تكن اول مدينة بنيت على شكل دائري .

١ـ٥ـ٢ : اسباب تدوير مدينة بغداد ودلالاته

ويبقى السؤال المطروح هو : لماذا اختار ابو جعفر المنصور الشكل الدائري لمدينته ، وكان بامكانه ان يختار المربع او المثلث اطارا لها ؟

عند الرجوع الى الباحثين الذين تناولوا الموضوع الفينا اجابات متعددة تتدرج من العسكري الى المدني ومن المحسوس الى المجرد ، ونلخصها هنا للقارىء :

---

(٦١) طه باقر ، ملحمة جلجامش (بغداد : وزارة الثقافة ، ١٩٨٠) ص٧٤ .
(٦٢) عيسى سلمان حميد ، المرجع السابق ، ص ٢٦ .

أ ـ يرى بعضهم ان تدوير بغداد جاء لاسباب عسكرية ، وفي هذا يقول احدهم : « وقد جعل المنصور مدينته مدورة تدويرا كاملا ...ولا ريب ان الدفاع عن مدينة ذات اسوار دائرية يكون افضل من الدفاع عن تلك المدن ذات الاسوار المربعة او المستطيلة اذ ان الاركان الاربعة في المدن ذات الاسوار الدائرية تختفي حيث من الممكن ان يختفي خلفها الغزاة المهاجمون للمدينة »[٦٣].

ب ـ اما المؤرخ ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ) فيقدل لنا تعليلا مدنيا لاستدارة بغداد بقوله :

« وجعل المنصور المدينة مدورة لئلا يكون بعض الناس اقرب الى السلطان من بعض »[٦٤].

ج ـ ويرى بعضهم ان اسم المدينة المدورة لم يتأت من سورها المدوّر وإنما من موقعها الذي تحيط به الانهار والبلاد ويستشهد بالجغرافي العربي الشهير المقدسي الذي روى ان اعيان المنطقة وصفوا للمنصور موقع بغداد قائلين :

« وانت يا امير المؤمنين على نهر الصراة تجيئك الميرة من الغرب ، ومن الفرات تجيئك طرائف الشام ومصر ، وتجيئك الميرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة . وتجيئك الميرة من الروم والجزيرة والموصل في دجلة ، وانت بين انهار لا يصل اليها عدوك إلا على جسر او قنطرة ، وانت قريب من البر والبحر والجبل » . ثم يصل المستشهد بهذا القول الى النتيجة : « ولهذا جاءت مدينة بغداد مدورة »[٦٥].

---

(٦٣) طاهر مظفر العميد ، المرجع السابق ، ٩/١٧٩ .
(٦٤) ابن الاثير ، المرجع السابق ، ٥/١٧٧ .
(٦٥) استطلاع في مجلة الفيصل عام ١٩٨١ .

د ـ وهناك تعليل غير مباشر لتدوير مدينة بغداد اورده الخطيب البغدادي في معرض حديثه عن موقع المدينة ، اذ ذكر ان الجغرافيين الاوائل كانوا يقسمون الارض الى سبعة اقاليم رسموها على شكل حلقات مستديرة تكتنفها سبع دوائر ، وكل دائرة منها تمثل اقليما من الاقاليم السبعة وهي : اقليم الهند واقليم الحجاز واقليم مصر واقليم بابل واقليم بلاد الروم والشام واقليم بلاد الترك واقليم بلاد الصين . والدائرة الوسطى هي اقليم بابل ، اوسط الاقاليم ، الذي تحيط به بقية الدوائر التي تمثل الاقاليم الاخرى . ويشتمل اقليم بابل الممثل بالدائرة الوسطى على جزيرة العرب وفيه « العراق الذي هو سرة الدنيا »[٦٦].

وكأني بأبي جعفر المنصور يختار موقع مدينته في قلب اقليم بابل ، الاقليم المركزي ، ويجعلها دائرة في وسط الدائرة الوسطى تعبيرا عن طموحه الذي لا حدود له .

هـ ـ إن اهم تعليل لاستدارة مدينة بغداد ورد في مؤلفات المرحوم ابراهيم تيتوس بوركارت (١٩٠٨ـ١٩٨٤م) ، ويقوم على التفسير المفهومي السوسيولوجي للشكل الدائري في تخطيط المدن .

يقارن بوكارت في كتابه فن الاسلام الذي صدر بعيد وفاته بين مدينتين يُعدان اقدم الامثلة على تنظيم المدن الملكية في الاسلام هما عنجر التي بناها احد الامراء الامويين في لبنان في اوائل القرن الثامن الميلادي ولم تسكن طويلا فخربت وبقيت اطلالها شاخصة ، وبغداد التي شيدت في النصف الثاني من القرن نفسه . وتمثل هاتان المدينتان نوعين مختلفين ، إن لم يكونا متضادين ، من تنظيم المدن . فعنجر مدينة مربعة يحيط بها سور دفاعي له اربعة ابواب في اربع نقاط اساسية ، وينتهي بهذه الابواب الشارعان الرئيسان في المدينة اللذان يتقاطعان في وسطها ، طبقا للرسوم البيانية المعروفة في المدن

(٦٦) الخطيب البغدادي ، ١/٥٩ .

الرومانية ذات المحورين العمودي والافقي • ومن هذين الشارعين تصـــدر جميع تقسيمات المدينة على شكل مربعات بسيطة • ويؤطر الشارعين الرئيسين صف من الاعمدة والاقواس المتأثرة بالطراز الاغريقي الروماني ، ولكن وراء هذه الاعمدة والاقواس تصطف الحوانيت معلنة عن قيام ما يسمى بالشـــارع السوق الذي سيشيع في المدن الاسلامية بعد ذلك •

اما بغداد القديمة فانها تمثل المدينة الكاملة الاستدارة المحاطة بسورين دائريين ، ورتبت فيها الاحياء على شكل حلقة والشوارع على شكل مروحة • وفي وسط تلك الحلقة وفي مركز فضاء اخضر يقوم قصر الخليفة والمســـجد الجامع • وللمدينة اربعة ابواب محصنة ، تفضي الى اربعة طرق رئيسة وتنفتح هذه الابواب على الجنوب الشرقي ، والجنوب الغربي ، والشـــمال الشرقي ، والشمال الغربي •

ويقول المرحوم بوكارت : « إن المدينة المربعة والمدينة المدورة (او المدينة العجلة ، كما يسميها) لا يعكسان شكلين مختلفين من اشكال الحياة فقـــط ، وإنما كذلك ينتميان بصورة ضمنية الى مفهومين متباينين من مفاهيم الكون ، لاننا لا يمكننا ان نعالج موضوع تخطيـــط المدن وتنظيمهـــا في معزل عـــن الكونيات : فالمدينة تمثل دائما الهيئة الكلية ، ويشير شكلها الى الطريقة التي يندمج فيها الانسان في العالم • فالمدينة المربعة تنظـــم طبقا لمحورين اساسيين ، ويعبر ذلك الشكل عن الحياة المستقرة وعن سكون الكون كذلك في الوقت نفسه ، في حين ان المدينة العجلة ، التي تكشف لنا عن المفهوم الحركي للعالم ، هي بمثابة انعكاس لحيـــاة البـــدو الحل المتحولـــين الى الحيـــاة الحضريـــة المستقرة »(٦٧) •

---

(٦٧) **Titus Burckardt, L'Art de l'Islam (Paris, Sinbad, 1985) PP 262-263**

ويوجّه المرحوم بوكارت الانظار الى ان المدن المدورة كان قد عرفها الميدائيون والبارتيون وهم من الشعوب الايرانية التي تحولت من حياة البدو الرحل الى حياة الحضر المقيمين • وكانت تلك المدن الدائرية قد اتخذت مضارب خيامهم عندما كانوا في حالة البداوة انموذجا تحتذيه • فقد كانت الخيام تنظّم على شكل دائرة وفي وسطها تُقام خيمة الرئيس • ولم يتطرق المرحوم بوكارت الى ذكر المدن المدورة التي عرفها السومريون بقرون عديدة قبل تلك الشعوب الايرانية •

٢ـ٥ـ٢ : رمزية الدائرة

يرى الدكتور بهاء الدين الوردي ان قانون الدائرة وحركتها الدائرية هي احدى القوانين الاساسية التي تحكم الكون • ويقول عن قانون الدائرة :

> « الشكل الدائري كوني • كل حركة وكل شكل في الكون دائري او مشتق منه •• والدائرة هي اساس الاشكال الهندسية والموجات • والانسان كله دوائر وكريات ، والحيوان كله دوائر وكريات ، والحيوان كله دوائر وكريات ••• والقمر والشمس والسيّارات كلها دوائر وكريات ••»[٦٨]

ونظرا لمكان الدائرة في الاشكال الهندسية فقد اضفى عليها الفلاسفة واللاهوتيون دلالات رمزية نوجزها فيما يأتي :

قبل كل شيء يمكن اعتبار الدائرة نقطة مكبرة او موسعة • وهكذا فالدائرة تشارك النقطة في كمالها وتجانسها وفي قيمتها الرمزية كذلك •

وترمز النقطة الى المركز ، والاصل ، والمنطق ، والمستقر ، والمبدأ ، والمنتهي ، كما ترمز كميا الى الوحدة الاساسية ، وكيفيا الى القيمة المطلقة

---

(٦٨) بهاء الدين الوردي ، حول رموز القرآن الكريم (مراكش : المطبعة الوطنية ١٩٩٠) ج٢ ص٩ •

والنقطة هي قطرة الماء التي تتكون منها البحار والمحيطات ، وهي الذرة التي يتشكل منها الوجود . والنقطة هي محور الميزان ، ومركز الدائرة غير المتحرك والنقطة تشتمل على الدائرة كما تشتمل الدائرة على النقطة(٦٩).

اما الدائرة فهي إحدى العلامات الاساسية الثلاث : النقطة والدائرة والمربع . وترمز الدائرة الى العجلة في حركتها ، والى النطاق في إحاطته ، والى السماء في دورانها الدائب اللامتناهي . والحركة الدائرية كاملة ، ثابتة ، لا بداية لها ولا نهاية ، وهكذا فهي مؤهلة لتصبح رمزا للزمن وما الزمن إلا تعاقب مستمر لا متغير للحظات متماثلة في كينونتها(٧٠) .

الدائرة رمز الكمال ، والكامل فقط هو الذي يستطيع ان يجعل الشيء كاملا . وعثر على رسوم قديمة يظهر فيها رجل يتطلع الى دائرة مرسومة فوق رأسه ، للدلالة على التشوف والتطلع الى الكمال . وقد ترمز الدائرة في الفكر الفلسفي والديني الى المعبود بوصفه اصل الوجود والكامل المطلق . ويحب الصوفي التأمل في نقطة الكمال العليا مرددا لنفسه : « كن كاملا كخالقك الذي في السماء »(٧١).

والجبل الكامل دائري الشكل ، والتل الكامل دائري الشكل . ولهذا كانا المثالين الطبيعيين اللذين اتخذهما الانسان الاول نموذجا لبناء داره . ولا يخفى ان كلمتي (دار) و (دائرة) مشتقتان من جذر واحد . فكانت الدور الاولى مستديرة الشكل ، وما تزال الجماعات « البدائية » في افريقيا تبني اكواخها على شكل دائري . ومعظم المعابد وقباب اضرحة الاولياء

(٦٩) Jean Chevaller et Alain Gheerbrant, Dictionnaire des symboles (Paris, Jupiter, 1969)

(٧٠) Ibid .

(٧١) Harold Bayley, The Host Language of Symbolism (London. Ernest Benn Ltd., 1912) P. 30

والقصور الملكية القديمة وكذلك المدن المقدسة او المدن الملكية تتخذ شكلا دائريا[٧٢] • وبغداد مدينة ملكية ولهذا جاءت مدورة •

٦ـ٢ : تجليات العمارة الاسلامية في تخطيط مدينة بغداد

ومن الاخطاء التي نجدها في كتابات بعض المستشرقين الرأي القائل انه لا يوجد تخطيط اصيل او متميز للمدينة الاسلامية ، وإنما هي مجرد تقليد للمدن الاوربية القديمة ، وليس لها شخصيتها المستقلة ، وليس لها وحدة تركيبية واضحة ، فتخطيطها يتسم بالفوضى مما يجعل بنيتها ضعيفة التماسك لا تقارن ببنية المدن الرومانية القوية • وفضلا عن ذلك فان المدن الاسلامية وقتية لا تتوفر لها عوامل الاستمرار وإنما يرتبط بقاؤها بدوام السلطة التي انشأتها • وقد تصدى لتفنيد ذلك عدد من الباحثين[٧٣] •

وعلى الرغم من اننا لا نميل الى المبالغة في اصالة المدن الاسلامية ولا نزعم انها لم تستفد مطلقا مما سبقها من منجزات في ميادين التخطيط والبناء لان الحضارة الانسانية هي حصيلة التراكم الكمي والكيفي لاسهامات الشعوب المختلفة وخبراتها ، فاننا نعتقد ان الفنون بصورة عامة ، والعمارة بصورة خاصة ، تشكل إحدى مكونات الثقافة ، اي ثقافة كانت ، وتعكس قيمها ومثلها ومبادئها •

واذا ما عرّفنا الثقافة بانها طريقة تفكير واسلوب حياة تشترك فيها جماعة من الجماعات ، فان العمارة التي تلقب احيانا بأم الفنون ، هي اكثر الفنون التصاقا بحياة الناس اليومية ودقائق معيشتهم • وتعكس الهيئة المادية

---

(٧٢) Jean Chevalier, op. cit.

(٧٣) Stephano Bianca and Sami Anqawi, " Common Principles in the Domestic Architecture of Islam " in Islamic Art (Damascus : Dar Al-Fiker, 1980) P. 90.

للمدينة وتوزيع مكوناتها المعمارية في فضائها كيفية اندماج الانسان في محيطه الطبيعي ، وماهية العلاقات القائمة بين افراد تلك الجماعة التي تتساكن في المكان الواحد وتتشارك في الثقافة الواحدة •

ولما كان الاسلام ليس مجرد دين فحسب وإنما دين ودنيا ، كما يُقال ، ينظم علاقة الانسان بربه ، وعلاقته بالاخرين ، وعلاقته بنفسه ، فانه يتغلغل في الحياة اليومية للناس ويوجّه سلوكهم وتصرفاتهم ، وينظم علاقاتهم ومعاملاتهم ، ويؤثر في فنونهم وآدابهم وعلومهم •

١-٦-٢ : الوحدة والتنوع في العمارة الاسلامية

واذا كان الاسلام واحدا في مكان وزمان فاننا نفترض ان يكون تأثيره على العمارة الاسلامية واحدا في جميع البلدان ومختلف العصور • ولكننا نرى اختلافات واضحة في العمارة الاسلامية من مكان لآخر ومن عصر لثان ، فكيف نفسر ذلك ؟

لقد تصدى للاجابة عن هذا السؤال عدد كبير من الباحثين ، وكانت اجاباتهم متقاربة في جوهرها ومصيبة في تحليلاتها واستنتاجاتها • ونقدم هنا خلاصة موجزة — ونأمل الا تكون مخلة — لبحث قام به الدكتور ستفانو بيانكو والمهندس المعماري سامي عنقاوي في ثلاث مدن اسلامية هي المدينه المنورة وحلب وفاس • وطال البحث كلا من العمارة المؤسساتية مثل عمارة المسجد والمدرسة وقصر الامارة وغير ذلك من المؤسسات العامة ، وكذلك العمارة المنزلية المتمثلة في البيوت والدور والمساكن • كما تناول البحث الهيكل الخارجي للمكونات المعمارية وتزيينها على حد سواء •

يرى الباحثان اننا يمكننا ان ننظر الى العمارة الخارجية والتزيين الداخلي بوصفهما تجسيدا صادقا لطريقة الحياة الاسلامية وتعبيرا فنيا كاملا للثقافة الاسلامية ، ولطريقة الحياة الاسلامية (او فن العيش الاسلامي ، كما يسميه الباحثان) فنجد بعدين : بعدا داخليا وبعدا خارجيا •

يتضمن البعد الداخلي لفن العيش الاسلامي سلوك الفرد والعلاقات الاجتماعية في حين يتجلى البعد الخارجي في المحيط المادي الذي يصنعه الانسان بصورة تتجاوب مع النمط المثالي للحياة الاسلامية . وابرز معالم هذا المحيط المادي تخطيط المدينة وبنيان المنزل . وهناك ترابط وثيق بين البعدين الداخلي والخارجي لفن العيش الاسلامي . فالمجتمع الاسلامي يسعى الى ايجاد بيئة تعبر عن القيم والمعتقدات الاسلامية وتتجاوب مع متطلبات طريقة الحياة التي يرتضيها الاسلام للانسان . وكما عملت القيم والمثل الاسلامية على تشكيل محيط مادي متساوق ، فان الانساق المعمارية ساعدت بدورها على تبني انماط السلوك البشري التي تنسجم وتتناغم مع تلك القيم والمثل(٧٤)

ويخلص الباحثان الى ان التفاعل بين المبادىء الروحية المشتركة للمسلمين (اي البعد الداخلي) وبين الظروف المادية المختلفة في بلدانهم هو الذي تتج عنه تلك الاختلافات في العمارة (اي البعد الداخلي) . والمقصود بالظروف المادية هنا هو مكونات البيئة الطبيعية مثل العوامل المناخية ، ونوعية مواد البناء المتوفرة ، والتقاليد العمرانية المحلية . وهكذا فاستخدام هذه الظروف المادية المختلفة في تجسيد المبادىء الاسلامية المشتركة هو الذي ينتج عنه التعدد ضمن الوحدة(٧٥) او تجلى الوحدة في الكثرة ونزوع الكثرة نحو الوحدة .

---

(٧٤) Ibid .

(٧٥) Seyyed Hossein Nasr, Traditional Islam in the Modern World (London : Degan Paul Int., 1987) P. 240

٢ـ٦ـ٢ : الأسس الاسلامية للعمارة الاسلامية

اذا كان مصدر الشريعة الاسلامية الاساس ، وهو القرآن الكريم ، لا يتناول تخطيط المدن ولا تقسيم الفضاء المدني ولا العمارة ولا التزيين الداخلي للمكونات العمرانية ، فهو بالتأكيد يقرر الاسس والمبادىء والقيم التي تنظم حياة المسلمين وعلاقاتهم الروحية والاجتماعية والاقتصادية • ولما كان هدف العمارة تأطير المجتمع المدني والاستجابة الى احتياجاته ، وتيسير حياته والرقي بها ، فانها لابد من ان تخضع ، هي الاخرى ، الى المبادىء والاسس والقيم الاسلامية وتعكسها بصدق وتتجاوب معها(٧٦) •

ويرى السيد حسين نصر ان المبدأ الاسلامي الذي يحكم العمارة الاسلامية هو مبدأ الوحدة • فالاسلام هو دين التوحيد ، ووحدة الخالق هي الاساس في الوجود ، وجميع الموجودات والكائنات تعتمد في وجودها وعلاقاتها على قدرة الواحد القهار ومشيئته •

ويعني مبدأ الوحدة في العمارة الاسلامية اندماج عناصر العمارة والترابط العضوي بين الاهداف المتوخاة من استخدامات الفضاء ، وتواجد المقدس في جميع المكونات والاشكال المعمارية بحيث يتلاشى وهم الفصل بين الديني والدنيوي • كما يتجلى مبدأ الوحدة في التناغم والتناسق والتوازن والترابط بين اجزاء الفضاء المعماري •

فالمدينة الاسلامية ، كما يقول بوركارت(٧٧) ، تبدو الناظر اليها من قمة جبل وحدة واحدة تتلاشى فيها فردية المنازل كما يذوب الفرد في الجماعة ، فتبدو منازلها للناظر متراصة جنبا الى جنب مثل خلايا النحل ، على الرغم من ان لكل منزل خصوصيته التي تتحقق من جراء انفتاحه على ذاته من

---

(٧٦) **Ibid, P. 241**

(٧٧) **Titus Burckhardt, "Fez" in The Islamic City. ed. By R.B. Serjeant (Paris : UNESCO, 1976)**

الداخل بواسطة الباحة الداخلية المفتوحة التي تؤمن له الحصول على الضوء والماء والهواء مباشرة وبصورة مستقلة • وفي الوقت نفسه تتراص المنازل في المدينة الاسلامية ويلتصق بعضها ببعض تعبيرا عن تضامن اهل المدينة ، كما يتصل المنزل بغيره من المنازل عن طريق الشوارع التي تؤدي جميعها الى المنزل الجامع في مركز المدينة فيتم التلاحم الروحي بين ابناء المدينة الواحدة • ولا تنتهي حدود المسجد الجامع عند جدرانه الخارجية بل يمتد بفعل قبلته عبر الفضاء ليلتقي مع جميع مساجد الامة عند البيت الحرام فتتحقق وحدة الامة التي تعبر عن وحدة الخالق •

وفي إنشاء المدينة الاسلامية ، ينبغي ان يكون مبدأ الوحدة حاضرا في الذهن عند التصور والتخطيط والتنفيذ ، لكي يضفي على العمارة معنى ونظاما • وحتى داخل البناء الواحد ينبغي ان لا تكون الاجزاء او الاقسام متنافرة منعزلة بعضها عن بعض وانما ينبغي ان تكون هناك وحدة عضوية تجمعها جميعا في كل متناسق متناغم مترابط • وهكذا تظهر الوحدة في الكثرة وتعبر الكثرة عن الوحدة[٧٨]•

ويتجلى مبدأ الوحدة في العمارة الاسلامية في وحدة الفضاء وقدسيته • فجميع الفضاء مقدس واينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله • وليس هناك بناء مقدس وبناء غير مقدس او بناء ديني وآخر دنيوي • فجميع ما يؤديه المسلم في المسجد مثلا من صلاة وذكر وتعلم وتدبير وغيره يمكن ان يؤديه كذلك في المنزل والسوق والمدرسة وكل مكان في المدينة ، فالحكمة ضالة المؤمن انى وجدها التقطها ومن اوتي الحكمة فقد اوتي شيئا عظيما • وبركة القرآن العظيم وروح الرسول الكريم محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ترفرفان على جميع انحاء المدينة الاسلامية مثل الآذان الذي ينفذ الى جميع مرافق المدينة العمرانية ولا يقتصر صداه على حدود المسجد المادية[٧٩]•

---

(٧٨) **Seyyed Hossein Nasr, op. cit. P. 241**

(٧٩) **Ibid .**

ويتجلى مبدأ الوحدة الاسلامية ، كما يبين لنا بوركارت في الجمع بين المقاصد الدينية والمقاصد الاجتماعية ، وبين العام والخاص ، وبين الجماعة والفرد . ففي الوقت الذي يعني الاسلام الاستسلام لله والخضوع لشريعته التي لا تفرق بين شخص وآخر ، ومن هذا المنظور يذوب الفرد في الجماعة وتتلاشى فردية المنازل عندما يطل الانسان من علٍ على مدينة اسلامية ، فان الاسلام من ناحية ثانية يؤكد الطبيعة الذاتية للفرد والخصوصية المتميزة لكل مؤمن . ويتبدى هذا التوفيق بين الجماعة والفرد في جميع اركان الاسلام . ففي الصلاة مثلا يقوم الاب في المنزل بدور الامام تماما كما يقوم الامام بدوره في المسجد، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . وحتى صلاة الجماعة نفسها في المسجد لا تلغي فردية الانسان وشخصيته . ففي الوقت الذي يؤدي المسلمون الصلاة جماعة قياما وقعودا ركوعا وسجودا فان كل واحد منهم يتلو السور القرآنية مستقلا ويناجي ربه ويدعوه منفردا . ولهذا فإن العمارة الاسلامية تراعي هذه الخصوصية الفردية في الوقت الذي تتوجه فيه لخدمة الجماعة . ومن ناحية اخرى فان خصوصية الفرد يضمنها كذلك فصل الاحياء التجارية عن الاحياء السكنية ؛ ففي حين يجري النشاط الاقتصادي في السوق الذي يقع في وسط المدينة وفي الشوارع الرئيسة المؤدية اليه ، فان المنازل تدير ظهرها للسوق ولتلك الشوارع(٨٠).

ووحدة الفضاء وقدسيته تجعلان التزيين الداخلي والخارجي لا يقتصر على المسجد وإنما يشمل كذلك المنزل والسوق والمدرسة وكل مكان في المدينة . فالفضاء المعماري واحد ، ومبدأ وحدة الفضاء تتمثل كذلك في الطريقة التي تعالج بها العمارة الاسلامية ظاهر البناية وباطنها والفضاء المحيط بها او المناظر الطبيعية حولها ، اذ ان هذه الاقسام تعدّ وحدة واحدة يقوم بتصميمها معماري واحد بدلا من ثلاثة متخصصين كما هو الحال في

---

(٨٠) Titus Burkhardt, op. cit. PP. 166-176

العمارة الغربية الحديثة . وهكذا يتحقق التناغم والتناسق والانسجام والتوافق بين هذه المكونات الثلاثة . إن تناغم الفضاء وتناسقه المتمثل في التواؤم والتوافق بين البناء ومحيطه الخارجي إنما هو إعادة صياغة للانسجام والاندماج القائم بين الانسان والطبيعة ، بين الفرد والعالم[٨١].

ويتجلى مبدأ الوحدة في العمارة الاسلامية كذلك في جمعها بين القيمة الجمالية والقيمة النفعية وحرصها على نقاء الاشكال والانساق الهندسية التي هي ليست مجرد كميات وإنما انعكاس للنموذج الاصلي الذي تصدر منه جميع الاشكال والانساق فالله جميل يحب الجمال . ولهذا تعنى العمارة الاسلامية بتزيين جميع المساحات والسطوح بالخط والمقرنصات والمزخرفات والمشجرات وغيرها لكي تعكس الانماط المعمارية البنيات العميقة للحقيقة المادية وتبرز النظام الرياضي الكامل الكامن وراء المظاهر الخارجية للعالم المنظور[٨٢].

ويتجلى مبدأ الوحدة في العمارة الاسلامية في تعدد وظائف المكونات العمرانية المدنية . ففي المنزل مثلا تقوم الغرفة الواحدة بعدة وظائف ، فهي في الليل غرفة للنوم ، وفي النهار غرفة للجلوس واجتماع الاسرة ، وفي اوقات الوجبات تتحول الى غرفة طعام ؛ وفي ذلك ترشيد للنفقات واقتصاد في المكان. ونجد ذلك المبدأ كذلك في المسجد فليس دوره مقتصرا على توفير المكان لاداء الصلاة فقط وإنما ايضا مكان للتعلم وتبادل الرأي في الامور الدينية والدنيوية .

٢ـ٦ـ٢ : بغداد العريقة تمثل ذروة العمارة الاسلامية

إن مرور ١٤٥ عاما على شروق شمس الهداية الاسلامية كانت كافية لتمكين العلماء والفقهاء من استيعاب الرسالة السماوية وفهم مقاصد الشريعة الاسلامية ، كما كانت كافية لتمكين المهندسين والمعماريين من ضبط تطبيقات

---

(٨١) Seyyed Hossein Nasr, op. cit. P. 244-245

المبادىء الاسلامية في تخطيط المدن وتنظيمها • وقد تجمعت للعمارة الاسلامية خبرة واسعة في هذا المجال من جراء بناء خمس مدن كبرى جديدة قبل مدينة بغداد هي : البصرة والكوفة والقساط والقيروان وواسط • كما تجمعت للخليفة المنصور الخبرة في بناء مدينتين ملكيتين قبل بغداد هما الهاشمية والرصافة ، فضلا عن تصميمه على ان تكون عاصمته الجديدة درة تاجه وثوب عظمته ، فجمع لها المهندسين والصناع والفعلة من جميع امصار الامبراطورية الاسلامية ، وكذلك حرصه على ان تكون مدينته تجسيدا مشرقا لمبادىء الاسلام وقيمه ومثله فاحضر كبار الفقهاء واهل الفضل لابداء المشورة في توجيه التصور والتخطيط • وهكذا صارت بغداد في ابهى حلة واجمل صورة ، حتى قال فيها ابو سعد الهمداني :

فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسيّرت رحلي بينها وركابيا
فلم أرَ فيها مثل بغداد منزلا ولم أرَ فيها مثل دجلة واديا
ولا مثل اهليها ارق شمائلا واعذب ألفاظا وأحلى معانيا

المـرأة الجامعية : التكيف متعـدد الابعـاد

الدكتورة منى يونس بحري
كلية التربية ابن رشد
جامعـة بغـداد

الملخـص :

يهدف البحث الى توضيح أبعاد تكيف التدريسيين الجامعيين في مواجهة تحديات الحصار الاقتصادي الجائر والعولمة من خلال استطلاع آراء عينة من التدريسيات تقـدر بـ (١٥٠) • وبين تحليـل البيانات وجـود ثلاثة أبعـاد لهـذا التكيف :

- التدريسي : كازدياد حرصها على تطوير المعرفة التخصصية للطلبة وتأكيدها على هوية المجتمع الثقافية •
- الطلبة : كارشادهم وتشجيع تميزهم وتنمية ابداعهم وروحهم القياديـة وتوعيتهم بأخطار الغزو الفكري الثقافي •
- الصفات الشخصية : كالايمان بالله والوطن وحكمـة القيـادة والتفوق والقدرة على التحدي والتمسك بأخلاقيات المهنة •

ومما أوصى به البحث دراسة أدوارالمرأة في التنمية الشاملة واسهامها •

المقـدمـة :

لمحة حول تكيف المرأة العراقية لادوارها في سياق تأريخي :

تمثل المرأة عنصرا أساسيا في بناء الاسـرة والمجتمـع بحكم دورهـا البايولوجي المتمثل بالانجـاب والامومة ودورها الاجتماعي المتمثل بالقيـام بواجبات الزوجة والابنة والاخت والقريبة ، الى جانب واجباتها وأدوارهـا الاخرى خارج البيت كالقيام بالتعليم • ولقد كان اتجاه سـير أدوار المـرأة متوائما مع اتجاه سير المجتمع ودرجة رقيه وتطوره •

ففي عصور الازدهار كما هو الحال في صدر الاسـلام والعصر العباسي ترسخت مكانة المرأة وبرزت اسهاماتها في الحياة الثقافية والعلميـة ثم خبـا ذلك في عصور الركود والجمود والتخلف النسبي بعد سقوط بغـداد بيـد المغول • ولكن هذا الامر تغير وتحسنت مكانتها تدريجيا وأخذت ادوارهـا تنمو في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مع حركـة النهضة الحديثة في مجتمعنا العربي • ولكن هذا التحسن كان محدودا بحكم الفلسفة التقليدية التي سادت المجتمع والظروف الاقتصادية والثقافية فيه • ولم يطرأ تغير يذكر في أدوارها • الا انه في ضوء مبادىء ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز ١٩٦٨ القومية التقدمية حدث انعطاف جذري في مكانة المـرأة عموما وأدوارهـا ويتضح ذلك في :ــ

- تحرر المرأة يتم من خلال حركة تطـور المجتمـع ومساواتها بالحقـوق الانسانية مع الرجل •
- تكامل جهود دعم مكانة المرأة مع جهود التنمية الشاملة الهـادفة الـى القضاء على التخلف ومظاهره •
- أهمية القرار السياسي في تنظيم أدوار المرأة وتخليصها من العوائق التي تحجم أدوارها وتحول دون اسهامها الفاعل في الانشطة التي يفترض أن تؤديها في نطاقي الاسرة والمجتمع •

- الاخذ بالمنهج العلمي في تنمية أدوار المرأة •
- توفير الخدمات التي تساعد المرأة على أداء أدوارها •
- رفع معدل اسهام المرأة في ميادين العمل واتاحة الفرص أمامها لتتبوأ مواقع قيادية •

واقع المرأة وآفاق تطورها في العراق :

تميز عقد السبعينيات بتطور كبير في جميع النواحي الخاصة بالمرأة عموما وبالمرأة الجامعية على وجه خاص • حيث طبقت الفلسفة السياسية ونظرة الحزب للمرأة وبشكل عملي • وزادت مشاركتها في قوة العمل حيث وصلت هذه النسبة الى ١٩٪ في سنة ١٩٨٠ منه بعد ان كانت نسبة الاناث في قوة العمل سنة ١٩٥٧ ، ٤٪ وهذا الارتفاع في حجم التشغيل عبر عن مدى توسيع مساهمة المرأة في الحياة العامة آنذاك • وكانت لقرارات مجانية التعليم والزاميته والحملة الوطنية الشاملة لمحو الامية تأثيرها الايجابي الكبير في رفع مستوى المرأة التعليمي • فقد زادت نسبة المتعلمات في السكان من ٧ر٤٪ في سنة ١٩٥٦الى ٣ر١٢٪ سنة ١٩٧٧ أما على الصعيد القانوني فقد أحرزت المرأة تطورا كبيرا في ضمان حقوقها كما انها ساهمت بمراجعة الكثير من القوانين التي أكدت مكانة المرأة اللائقة في المجتمع وضمان حقوقها أسوة بالرجل واصدار قوانين جديدة •

وجنى عقد الثمانينيات ثمار الجهود التي بذلت في مجال تحسين أوضاع المرأة بما يمكنها من تكيف أفضل في أداء ادوارها • وتتائج التنمية الشاملة التي تبنتها الدولة ونفذت خلالها المشاريع الاقتصادية العملاقة بعد توفر الامكانات المادية في القطر بعد نجاح تأميم النفط عام ١٩٧٣ • حيث أصبح عمل المرأة مألوفا في جميع الميادين ومنها التعليم الجامعي •

وعلى الرغم من ان هذا العقد حمل في بدايته الحرب العدوانية التي استهدفت الاطاحة بانجازات العراق ، الا ان العراق استطاع المضي في تحقيق برامجه التنموية •

واستمرت المرأة على الرغم من الحرب الايرانية في أداء ادوارها وكان الحافز الوطني عاملا مضافا لرغبتها في العمل بشكل اكبر وان تحل محل الرجل الذي كان يدافع عن شرف الوطن في جبهات القتال • وزاولت هذا العمل في شتى الميادين كالتعليم الجامعي • (٧ ص٣) •

ان استمرار الحرب زاد من أعباء المرأة بشكل كبير كأم وعاملة فتحملت مسؤولية الاسرة كاملة وحلت مكان رب الاسرة في تهيئة شؤون الاسرة فضلا عن أعبائها النفسية والاقتصادية الصعبة •

ان ظلال الحرب انعكست تنائجها على مجمل النشاط الاقتصادي في القطر مما أدى الى انحسار فرص العمل أمامها وتدني مستوى الخدمات الصحية والاجتماعية المقدمة لها بشكل عام •

وبعد انتصار العراق في الحرب مع ايران بدأ يستعيد قواه بالتدريج • ولكن المخططات الاستعمارية في المنطقة عادت من جديد في بداية التسعينيات للتآمر على العراق • وتمثل ذلك بالعدوان الثلاثيني عليه • ورافقه الحصار الغادر الذي أثر بشكل كامل على نواحي الحياة كافة مما أضعف القدرات المادية والاقتصادية وأدى الى انخفاض حجم القوى العاملة النسوية • وبسبب اختفاء عدد من المشاريع الاساسية وارتفاع الاسعار ومعاناة الاسر اقتصاديا اضطرت نسب كبيرة من النساء الى البقاء في المنازل بدلا من العمل او الدراسة فضلا عن تدني مستوى الخدمات الصحية المقدمة لهن وزادت حالات اصابتهن بالامراض السرطانية بسبب الانفجارات وما حملته من مواد اشعاعية • وقد زاد وضع المرأة النفسي سوءا وتعقيدا فقدان عدد كبير من الرجال في الحرب بين شهيد وأسير ومفقود مما ترتب على ذلك مشاكل اجتماعية معقدة كانت المرأة ميدانا ومسرحا لها • (٥ ص ١٢) •

المرأة الاكاديمية وتحديات العولمـة :

تزداد حاجة الجامعية الى التكيف في مجتمع هو جزء من مجتمع عالمـي كبير تنتشر فيه المعرفة باستمرار بحيث أصبح التعامل مـع المعرفة المتدفقـة فيه من عناصر القوة التي تمتلكها بعض الدول لغرض اجتياح دول اخـرى بجميع قطاعاتها التنموية وذلك لتحقيق مصالحها والسيطرة على سوق العمـل تقنيا فيها • ان هذا يؤشر الدور الحاسم الذي يمكن للتدريسية ان تؤديـه في تأهيل الموارد البشرية وتنمية مهاراتها ومعرفتها وجعلها قادرة على استغـلال الموارد المادية والطبيعية المتاحة أفضل استغلال في مواجهة تحـدي الانفجار المعرفي • ان التطورات العالمية باتجاه العولمة الاقتصادية يبرز الاهمية الحيوية لدور التدريسية في زيادة المهارات والقدرات التي تمكن الخريج من المنافسة في اطار هذا الاقتصاد ومن تحقيق تماسك المجتمع كنقطة انطلاق للمشاركـة في صنع الحياة في عصر الثورة التقانية الحديثة • ان تزايد سـرعة التغـير الاجتماعي يعرض القيم والمؤسسات والنظم للتغير والتحـول ويقتضـي أن تكون التدريسية جاهزة للتغير وقادرة على تكييفه والتكيف معها والا دهمها هذا التغير • ويفترض لها تدريب الطلبة على التفكير والتحليـل والتفسـير والتقييم للمعلومات وتنمية وعيهم بفلسفة مجتمعنا العربي الاسلامـي ورؤيته للكون والانسان والحياة ، وتنمية مهاراتهم ومعرفتهم وقدراتهم على توليـد معرفة جديدة • ويفترض لها أيضا توعية الطلبة بالاهـداف المرئيـة حـاليا للابتكارات التكنولوجية والاكتشافات العلمية التي يتطلبها القرن الحـالي ومن أبـرزها :ـ

* طيران فوق سرعة الصوت بكثير •
* صواريخ بسرعة اكثر من ٧٠ الف كيلو متر في الساعة •
* قطارات طائرة بسرعة اكثر من ٥٠٠ كيلو متر في الساعة •
* اتصالات لحظية لأيمكان في العالم عبر الاقمار الصناعية •

* اجيال جديدة من الحواسيب يمكنها التعامل باللغة العادية بسرعة تفوق الخيال مع كونها محمولة لصغر حجمها .
* التوسع فيتطبيقات التقنية الحيوية وهندسة الجينات مع المحافظة على حقوق الانسان .
* تطوير مصادر جديدة للطاقة .

ان عالم المعلومات الذي يكتشف ويولد المعلومات ويطور الابتكارات ويحولها الى سلع وخدمات يعتمد أساسا على جيش من العلماء والمطورين والباحثين والفنيين والعمالة عالية المهارة . ومن بينهم عالمات جامعيات .

ان مما يزيد حاجة التدريسية الى التكييف المستمر لمعلوماتها هو وجود تزايد في تأكيد رفع مستويات التعلم الابتكاري لتوليد معلومات ومعارف جديدة مما يتطلب تغيير مستمر في مناهج التعليم التي تنفذها والمناخ العام لهذا التعليم خاصة وان ٩٠٪ من تقنيات القرن الحالي لم تكتشف بعد وهي أضعاف ما تم اكتشافه في القرن الماضي .

ان العولمة قد تؤدي الى حدوث تغيير في الممارسات الاجتماعية والسياسية وانماط الحياة مع تزايد شفافية العالم فهذه العولمة يمكن أن تؤدي الى :

- اسقاط المفاهيم التي سادت قبل عصر العولمة ونشأة أخرى محلها .
- انهيار مفهوم الزمان حيث تداخلت الأزمنة الثلاثة :
  الماضي والحاضر والمستقبل . وتحول مفهوم الوقت من قيد الى مورد . وانهيار مفهوم الثبات وأصبح التغير هو الثابت الوحيد .
- تعالي مفهوم الجودة بأداء الاعمال الصحيحة بطريقة صحيحة . (٨ص١٤).
- ان مثل هذه الآثار تلقي تبعات كبيرة على التدريسية حيث أصبح دورها يتجاوز التدريس الخطي الثابت الى التدريس الشبكي التخصصي المرن الذي يمكن الخريج من الحصول على تأهيل جديد في تخصصه أو مقارب له .

- ان موجات تقنيات المعلومات والاتصالات تتسابق وتتزاحم بشكل يؤدي الى تقادم المعرفة بصورة سريعة تحدث اختناقات في الابتكارات العلمية ينجم عنها تحديات اقتصادية وثقافية متواصلة لا يعرف القدر الذي يمكن للبشرية ان تتحمله منها وما هو دور الانسان وهدفه فيها ومن يملكها يمكنه معالجة الظواهر المعقدة والتحكم المركزي والتدريب وهندسة الحياة على الارض • ان المولى — عز وجل — وحده هو القادر على ايقافها في أي مكان وزمان • ان التحولات المتسارعة التي يحيطها الغموض وعدم التأكيد هي التي تمثل أبرز سمات المستقبل حيث الشيء الاكيد هو انعدام اليقين الا اليقين بالله — تعالى — وبضرورة نهجه في الحياة وترسيخ هذا اليقين في نفوس الطلبة من مضامين دور التدريسية الجامعية ، ومن مؤشرات تكيفها السليم للمتغيرات المعرفية ومساعدة طلبتها على التكيف لها بنفس الاسلوب • مع ضرورة تنبيه الطلبة الى ما يستخدمه الغرب من (الاختراق الثقافي) الذي يستهدف الارادة التي يتم بها التفسير ، العقل ، والنفس ، والسيطرة على الادراك كوسيلة لاعادة تشكيل الوعي أو تزييفه حيث يتم فرض فكرة معينة من خلال وسائل الجذب التي سهلتها التقنيات الجديدة باستخدام ثقافة الصورة بدلا من ثقافة الكلمة • فالصورة هي المفتاح السحري في نظام العولمة ولا تحتاج الى لغة للنفاذ الى ادراك المتلقي • ان مؤتمرات المرأة العالمية تدارست ادوار المرأة عموما وخرجت بتوصيات منها ما كان بشأن التدريسية الجامعية باعتبارها قيّمة على التراث الفكري والعلمي ومساهمة في المشروعات العلمية والادبية وفي نشر الثقافة وايصالها للطالب والمجتمع ومتصفة بالامانة العلمية مما يوجب على الجهات المعنية بالتعليم الجامعي أن تساعدها في التكيف لمتطلبات أدوارها كأن تتعهد بتوفير الجو الملائم لاداء مهامها السامية وان توفر لها الحياة الكريمة وحرية التفكير المسؤولة التي تنمي

ابداعها • وقد أكد مؤتمر بيجنك ١٩٩٥ في توصياته ضرورة توفير الخطط الشاملة لتحسين القدرات التدريسية الجامعية مما يساعدها على تكيف أفضل في حياتها المهنية • ولم تغفل لجنة متابعة تنفيذ وثيقة المؤتمر العالمي (التربية للجميع / تايلاند) عن الاشارة الى حسن تنفيذ الاستراتيجيات التي تساعد التدريسية الجامعية على تحسين التكيف في حياتها المهنية :ـ

* التنمية الذاتية من خلال القراءات الخاصة ومحاضرات الخبراء في موضوع الاختصاص •
* اكتساب مهارات التدريب عن طريق ورش عمل ودورات تدريب كالتي تدرب على استخدام اجهزة الاتصال •
* تنمية الشخصية الاجتماعية عن طريق العمل في مجموعات متفاعلة كالحلقات الثقافية واللجان العلمية والمؤتمرات • (٥ ص ١٣) •

ان الجامعة هي المؤسسة التربوية الاجتماعية التي تعمل على خدمة المجتمع من خلال اثرائه بالمهارات والطاقات البشريةالمتخصصة بأسلوب موجه مدروس يلبي حاجات التنمية الشاملة • وتركز عملية التعليم فيها على محاور رئيسة : المنهاج ، الطالب ، الاستاذ •

وتقوم الاستاذة اي التدريسية (الجامعية) بمهمة التدريس وما يتصل به من لقاء الطلبة في قاعات الدراسة وتحضير المحاضرات والقيام بمختلف الاجراءات حول تقديم المعرفة المتخصصة (٣ ص ٤٤) • كما تقوم بالبحث العلمي ونشر نتائجه وبخدمة المجتمع لتطوير عملية التنمية • وهذه المهام مطلوبة أيضا من الاستاذ الجامعي الا ان للمرأة بعض الخصوصية في أدوارها وذلك لوجود مهام اضافية فيها (الحمل والانجاب وادارة شؤون المنزل والانفاق عليه أحيانا) • ان المرأة الجامعية المؤهلة تأهيلا عاليا أثبتت جدارة كبيرة في أداء مهامها الجامعية في اطار تحديات الحصار الجائر وتيارات العولمة ومن اجل تحديد ما يمكن ان يعزز مواصلتها لتكيفها متعدد الابعاد

نتيجة تعددية أدوارها في مجتمع دائم التغير ، أجري البحث الحالي لالقاء الضوء على ابعاد هذا التكيف وسبل هذا التعزيز ، لكونها في مقدمة الشرائح النسوية المتعلمة القادرة على التجديد والتطوير وابداع في مجالات تخصصها .

هدف البحث

يهدف البحث الى القاء الضوء على أبعاد تكيف المرأة الجامعية في مواجهة تحديات الحصار الاقتصادي الجائر وتيارات العولمة .

حدود البحث

يتحدد البحث بعينة من التدريسيات في كليات كل من جامعة بغداد والمستنصرية في بغداد في عام ٢٠٠٣ .

تحديد المصطلحات

١ ـ التكيف ADJUSTMENT

يمكن تعريف التكيف بأنه العملية التي من خلالها يعدل الفرد بناءه النفسي أو سلوكه ليستجيب لشروط المحيط الطبيعي والاجتماعي والمهني ويحقق لنفسه الشعور بالتوازن والرضا (١١ ص ٦٥) .

وهذا التعريف هو الذي يتناسب مع هدف البحث الحالي .

عناصر التكيف :

ان التكيف عملية ديناميكية لتفاعل الفرد مع المحيط تستهدف اقرار التوازن بين الفرد من جهة والمحيط من جهة اخرى .وهذا يعني امكانية استنتاج عنصرين اساسيين لعملية التكيف :

ـ المحيط النفسي الداخلي للفرد : ويتضمن الفرد وما ينطوي عليه بناؤه النفسي من دوافع وخبرات وقيم وميول وقدرات وعواطف .

ـ المحيط الخارجي : ويشمل كل ما يحيط بالفرد من بيئة طبيعية واجتماعية ومهنية •

ان هذين العنصرين يتفاعلان مع بعضهما في أثناء عملية التكيف • اذ يتحقق التكيف اذا استطاع الفرد ان يشبع حاجاته ضمن شروط المحيط • وفي الوقت نفسه يقوم بدور ايجابي في تغيير المحيط • وهذا التغيير له تأثير كبير على بناء الفرد النفسي وشعوره بالرضا • (١١ ص ٦٦) •

أشكال التكيف :

ان القدرة على اشباع الحاجات وأداء الواجبات المهنية ضمن شروط المحيط يمكن الفرد من الوصول الى حالة من الاتزان النسبي الى التكيف• أما الاخفاق في هذا الاشباع فانه يؤدي الى الاخلال بتوازن الفرد ويظهر ذلك في الشعور بالاحباط •

ان التكيف مسألة شخصية تعمل فيها خبرة الشخص والموقف الذي يحيط به مع مجموعة أخرى من العوامل كبنية الشخصية وخبرات التعلم والتنشئة الاجتماعية •(١١ ص ٦٧) •

٢ ـ الدور ROLE

هو الوجه الحركي والسلوكي للمنزلة STATUS والفرد في أي مجتمع يشغل منزلات متعددة : أب ـ زوج ـ عضو في جمعية •

وتصنف المنزلات الى : منسوبة : ذكر ، انثى ، طفل ، راشد •

ومكتسبة : عاملة ، طالبة ، جامعية •

وللدور وظيفة وبنية • (٤ص ١١) •

الدراسات السابقة :

يشتمل هذا القسم على عدد من الدراسات التي لها علاقة ضمنية او غير مباشرة بموضوع البحث الحالي وقد استفادت الباحثة منها في تعزيز نتائج بحثهـا •

١ ـ **دراسة الاتحاد العام لنساء العراق (١٩٩٥) :ـ**

تستهدف الدراسة تحليل اوضاع المرأة في قوانين العمل ومساواتها بالرجل من حيث الحقوق والواجبات في قانون رقم (٧١) لسنة ١٩٨٧ بل انها منحت فيها حقوقا تمييزية من حيث الاجازات والتقاعد كان من شأنها توفير ظروف مناسبة لعملها ومساعدتها على التكيف لما لها والتوفيق بين أدوارها المتعددة في ظروف الحمل والولادة وتربية الطفل • (٢ ص٢) •

٢ ـ **دراسة جمعية الاقتصاديين (١٩٩٦) :ـ**

أكدت على أن :ـ

- الفرد هو غاية التنمية : المرأةوالرجل •
- المرأة نصف المجتمع لها حقوق وعليها واجبات •

ان الابعاد الانسانية في النظرة الىالمرأة مستلهمة من مباديء الدين وتراث الامة الحضاري الذي يأبى ان يجعل الانسان أداة مادية لتحقيق اقصى الانتاج والارباح •

ان عقد التسعينيات شهد تراجعا في حصيلة المنجزات الاقتصادية والمادية عموما وتراجع نصيب المرأة منها بشكل حاد •

وفي الوقت نفسه تزايدت أعباء المرأة فقد فقدت المرأة الظروف المادية المهيأة للعمل التي تيسر أداءها لدورها الاقتصاديقبل الحصار اذن موقع العمل ، من خدمات النقل / في الراتب والحافز المادي • كما انها فقدت الفرص الاقتصادية الملائمة من حيث تأهيلها أو مهارتها او طبيعتها التي لا تتناقض مع أدوارها الاخرى (دورها الانجابي والتربوي والاجتماعي) ومع منظومة القيم السائدة • وفي الفرص التي أتاحها العمل في الانشطة الاقتصادية • فضلا عن فقدان فرص التعليم والتدريب في ضوء ارتفاع تكاليفها • (٩ ص ١) •

٣ ـ دراسة الاتحاد العام لنساء العراق لسنة ١٩٩٨ :ـ

تستهدف الدراسة تحديد السمات المميزة لطبيعة عمل قوة العمل النسوية ، ومما بينت الدراسة :ـ

(١) الاستجابة الكبيرة والسريعة لمحفزات سوق العمل من حيث ساعات العمل المعروضة او نوعية المهارات • فقد اتسمت هذه القوة بالحراك السريع تجاه الطلب على العمل فازداد عدد العاملات بشكل كبير وتجاه التغيير في نوع الانشطة الاقتصادية ونوع المهارات كانت استجابتها ملحوظة من خلال تغير هياكل التشغيل القطاعية والمهنية فاتسعت مساهمتها في الصناعات الحديثة والخدمات بشكل يتسق مع نمو هذه القطاعات •

(٢) أداء لادوارها في ظروف اتسمت بالتحديات ففي الحرب العراقية الايرانية التي ادت الى تشوهات هيكلية في الهرم السكاني خلقت اوضاعا اجتماعية ومادية ونفسية غير مشجعة على الزواج وتكوين الاسرة ادامت المرأة التوازنالسكاني • واستمر معدل نمو السكان مرتفعا ولم ينخفض عن ٢ر٨ حتى نهاية الحرب عام ١٩٨٨ • وعن ٢ر٧ في بغداد ١٩٧٧•

كما ان المرأة ادامت التوازن الاسري الذي اختل بغياب أو فقدان رب الاسرة ومارست أدوارا تتجاوز ما هو مجرد لها في اطار تقسيم العمل الاجتماعي وسلم المجتمع من الاسرة نفسها وقيمها التي تضمن اعادة انتاج الفرد والاسرة في اطار التماسك والترابط •

كما أدامت المرأة التوازن في سوق العمل علىمستوى المنشآت أو الوحدات الاقتصادية ، ففي كل مدرسة وجامعة ووحدة ادارية ومعمل ومزرعة حلت قوة العمل النسوية محل الرجال وأدامت مستوى من النتائج السلعي والخدمي بدرجة مناسبة من الجودة كماً ونوعاً •

(٣) المرونة والتكيف في أداء ادوارها الاقتصادية فهي في فترة الحصار الحالية طوعت مهاراتها وساعات عملها وطبيعة نشاطها الاقتصادي بشكل فريد • فقد ابتدعت أنماطا من العمل المنزلي المدر للدخل وانماطا جديدة من الانشطة الاقتصادية خارج المنزل •

ان هذه السمات التي تميز النشاط الاقتصادي للمرأة العراقية عموما يمكن ان تنسحب عمل الجامعية بالشكل الآتي :

- تمثيلها قوة عمل عالية المرونة •
- قدرة على استثمار رأس المال الذي أنفق في تعليمها وتدريبها في اكتساب دخل جديد •
- تحقيق كفاءة عالية في ادامة معيشة الاسرة •
- تحقيق كفاءة عالية في تطوير احتياجات الاسرة لضمان توازن العلاقة بين الدخل والاستهلاك •

ان هذه المرونة وهذا التكيف من قبل الجامعية يبرز أهمية دورها ومساهمته في تعزيز الاقتصاد وضمان الاستقرار والتوازن على المستوى الجزئي الجامعي • (١ ص ٤) •

٤ ـ دراسة قصي (٢٠٠٠) :ـ

تستهدف الدراسة تحديد الوسائل المحققة للرضا الوظيفي للجامعية واعتمدت على الاستبانة أداة لجمع المعلومات من عينة تقدر بـ (١١٠) تدريسية جامعية • وفر أعداد الاستبانة بالخطوات العلمية التي تتبع عادة في اعداده حيث وجد سؤال مفتوح الى عينة استطلاعية تقدر بـ (٢٠) تدريسية من جامعتي صنعاء ويمن في اليمن واستخلصت (٣٠) فقرة من تحليلها وأضيفت اليها فقرات استنادا الى الادبيات ذات العلاقة وثم التحقق من صدق الاداة وثابتها • ومما بينته الدراسة ان الاعباء التدريسية المناسبة وتهيئة الاجواء المساعدة على البحث العلمي والمشاركة في اللجان داخل

الجامعة وخارجها وتوفر الحوافز المادية والاجتماعية المرتبطة بكفاءة الاداء كلها وسائل من شأنها أن تحقق رضا وظيفي اكبر وتكيف مهني سليم عند الجامعية (١٢ ص ٥١) •

٥ ـ دراسة ماهر (٢٠٠١) :ـ

تستهدف الدراسة تحديد أسباب التكيف المهني لمدرسات الثانوية من وجهة نظر عينة تقدر بـ (١٥٠) مدرسة في ثانويات عمان وتبين من خلال الاستبيان ان الحماسة للعمل والافادة من الامكانات الذاتية لتنشيط ادماج المدرسة في نشاطات المدرسة المختلفة ، وتوفير التسهيلات اللازمة للتدريس والنقل وتوفير دور لاطفالها ، كلها أمور من شأنها أن تعزز التكيف المهني السليم لمدرسة ثانوية • (١٣) •

٦ ـ دراسة بحري (٢٠٠٢) :

يستهدف البحث القاء الضوء على بنية الاسرة العراقية :ـ

أبعاد التكيف مع بعض ملامح علاقاتها الاجتماعية في ظروف الحصار الاقتصادي الجائر وذلك من وجهة نظر عينة تقدر بـ (٢١٠) من الاجداد مع وجود ٥٪ من المدرسات في الجامعة بين أفرادها •

ومما استنتجته الباحثة :

* تصاعد نسبة الاسرة الممتدة لشكل من أشكال التكيف لظروف الحصار •
* وجود نسبة ملحوظة من الاسر المستقلة التي تعيلها المرأة •
* ان للقيم العربية الأصيلة والتكافل الاجتماعي وحب الاسرة والايمان بالله تعالى وبالقيم الروحية دورا مهما في تمكين الاسرة العراقية والمرأة من تجاوز الظروف المادية الصعبة •
* غلبة صفة الانسجام في العلاقات بين الزوجية •
* وجودمشاركة ملحوظة للمرأة في اتخاذ القرارات العائلية (٧) •

٧ ـ دراسة بحري (٢٠٠٢) :

يهدف البحث الى تحديد آثار الحصار الجائر على الامن النفسي للمرأة العراقية من خلال الاجابة عن السؤال :

« ما آثار الحصار ممثلة في سلوك المرأة التي من شأنها أن تعزز أمنهـا النفسـي أو تضعفه؟» •

وبين تحليل البيانات التي جمعت من استبيان وجـه الى (١٨٠) امـرأة واتصافها بتمتع المرأة العراقية بدرجة عالية من الامن النفسي لتمسكها :

بالبعد ، التضحية ، المبدئية ، التسامـح ، الصلابة ، المثابرة ، الطموح ، الابتكار ، القدرة على التأقلم •

* اتصاف المرأة العراقية بضمير ديني قوي وبحب الوطن •
* أن كثرة الضغوط في الظروف الاقتصادية الصعبة تجعل بعض النسـاء يعانين من التوتر والبحث عن المنفعة الشخصية والاتكالية والاكتئـاب والقلق وبدرجات ضعيفة•

ومما أوصى به البحث مواصلة حفظ الخدمات الاساسية المقدمة للمرأة في التعليم والصحـة والنقل (٨) •

٨ ـ دراسة بحري (٢٠٠١) :

تستهدف الدراسة القاء الضوء على واقع المناهج الجامعية في العراق في مواجهة الانفجار المعرفي العالمي • وكانت أداة الاستبيان الـذي تم إعداده في ضوء دراسة استطلاعية والرجوع الى بعض الادبيات ذات العلاقة بالموضوع الذي طبق بعد التحقق من صدقه وثباته • وتضمن البحث اطارا نظريـا حول الانفجار المعرفي العالمي • ومما بينته النتائج ان المناهج الجامعية حاليا ترسـخ في مضامينها الاعتزاز بالثقافة العربية الاسلامية وبنظرية العمل البعثية وتأكيد ضرورة انتاج التقنيات المتقدمة في ضرورة ربط النظرية بالتطبيق وعلى أهمية التكامل بين العلوم الانسانية ، وعلى ضرورة تطوير التقنيات التربوية وطرائق التدريس وتنمية الابداع والتخطيط للمستقبل (٧) •

منهجيـة البحـث :

العينة الرئيسة تتكون من (١٥٠) تدريسية وبواقع (٧٥) لكـل مـن جامعـة بغـداد ، والمستنصريـة ، ويبـين الجـدول (١) توزيعهـن على كليات الجامعتـين •

الجـدول رقـم (١)

توزيع كل من العينة الرئيسة والاستطلاعية على الجامعتين المشمولتين بالبحث

الكليـة	المستنصريـة		بغـداد	
	الرئيسية	الاستطلاعية	الرئيسة	الاستطلاعية
الاداب	٢٥	٤	٢٥	٤
العلوم	٢٥	٣	٢٥	٣
الطب	٢٥	٣	٢٥	٣
م	٧٥	١٠	٧٥	١٠

الاداة :

ان البحث مسحي وصفي واختير الاستبيان لتحقيـق هدفه ولجمـع البيانات من العينة المنتشرة • وقد وجه سؤال مفتوح الى عينة استطلاعيـة مكونة من (٢٠) تدريسية :

ما أبعاد تكيف المرأة الجامعية في مواجهة الحصار الاقتصادي الجائـر وتيارات العولمة • وأسفر تحليل البيانات عن وجود (٤١) فقـرة ، وأضيفت اليها مجموعة من الفقرات المستخلصة من الادبيات ذات العلاقة بالموضـوع وتم عرض الاستبيان بصورته النهائية على ثلاثة خبراء فأجمعوا على صلاحيته وصدقه وطبق بصورةأوليةعلى(١٠)تدريسيات من آداب المستنصريةللتحققمن ثباته حيث بلغ معامل الثبات (٩٢ر٠) بموجب معادلة (بيرسون) • ثم طبـق على العينـة الرئيسيـة •

وقد تم استخدام النسبة المئوية وسيلة حسابية في التعامل مع التكرارات التي وردت في البيانات المحللة •

النتـــائج

يبين الجدول رقم (٢) وجود (٤٥) فقرة تتمثل فيها ابعاد تكيف المرأة الجامعية لظروف الحصارات وتيارات العولمة • وان هذه الابعاد تترتب من الاعلى فالادنى في متوسط نسبها على الوجه الآتي :ـــالصفات الشخصيـــة الجامعية (٥ر٨٢٪) ، الطالب (٨٧ر٧٠٪) ، التدريسي (٣٧ر٦٧٪)•

ويؤشر الجدول نفسه متوسط نسبة جيد بوجــه عام لتكيف المــرأة الجامعية يقدر بـ (٧٣٪) •

وفي أدناه عرض لتفاصيل ابعاد التكيف :

الصفات الشخصية الجامعية :

يشتمل هذا البعد على (٢٩) فقرة ، وهو يعكس التكيف بمستوى جيد جدا للتدريسية الجامعية على الرغم من ظروف الحصار وتيارات العولمــة • ففي مقدمة صفاتها الشخصية الجامعية الايمان العميق بالله تعالى والاعتـــزاز بالوطن والقيادة • وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت اليـــه دراســـة بحـــري (٢٠٠٢)عن آثار الحصار الجائر على الامن النفسي للمرأة العراقيـــة فهـــي في ظروف الحصار الصعبـــة تتصف بضمـــير دينـــي قـــوي وبحب عميـــق للوطـــن والقيـــادة •

وهي تحسن رعاية الاسرة (الفقرة ٣ ــ ٩٢٪) ، وتحترم افرادها وتحسن تنشئة الابناء والتدبير وتعمل على تنظيم الانجاب عند الضرورة ، وتمـــارس حرية قبول الشريك والعيش في أسرة ممتدة عند الضرورة ، وتتعايش مـــع الظروف وتحسن ادارة الوقت •

وقد توصلت (بحري ٢٠٠٢) في دراستها عـــن آثار الحصار الاقتصادي على بيئة الاسرة العراقية الى نتائج مقاربة بالنسبة لما يتعلق بقبول العيش في اسرة ممتدة تتكيف المرأة تكيفا مناسبا للظروف الاقتصاديـــة الصعبة •

كما تتصف بالمبدئية (فقرة ٤) بنبذها كسب الرضـــا لتحقيـــق المنفعـــة الذاتية ، ونبذها المساومة على المبادىء مهما كان نوعها •

وتوضح الفقرة (٥) موضوعيتها باصدارها الاحكام من خلال استقـراء الواقع واعتماد التبصر في التصرف وقيامهـا بتشخيـص وعـلاج الظـواهر موضـوعيا •

ان للمرأة الجامعية روحا جماعية عالية • هذا ما توضحه الفقرة (٦) فهي متعاونة مع الجماعة في مجتمعها الجامعي وخارجه قولا وعملا وبانسجام وهي تتصف بالديمقراطية (فقرة ٧) بممارستها النقد والنقد الذاتي ولا تسلطها وقوتها واسترشادها برأي الجماعة •

وهي بحكم عملها الجامعي تتابع وتتقصى المعرفة لتقديرها بأن المعرفـة قوة لايستهان بها • وبكونها ثقيلة في ميزان الله (فقرة ٨) •

كما انها تتمتع بارادة قوية وبالقدرة على الاستمرار في انجاز المهمـات والسعي في سبيل تحقيق الاهداف واللا تراجع في المواقف الصائبة •

وتبين الفقرة (١٠) صمودها بوجه التحـديات وعـدم استسلامهـا ورضوخها للامر الواقع • ان المرأة الجامعية ترفض التخـاذل ولهـا قـدرة فائقة على النضال والكفاح الدؤوب ومجابهة الصعاب •

ومن صفاتها الاخرى الثقة بالنفس (الفقرة ١١) لايمانها بقدراتها الذاتية، وروحها المعنويـة العاليـة وانعدام الشعور بالنقص لديها •

وتبين الفقرة (١٢) قدرتها على « اتخـاذ القرار الصائـب » والاختيار السليم من بين البدائل المطروحة امامها • فهي بعيدة عن التردد •

وتظهر صفحة «الانسانية» (الفقرة ١٣) بنسبة عالية في سلوكها لتقديرها المصلحة الانسانية واطلاعها على التجارب الانسانية واحترامها لكرامة الانسان •

وهي تتمتع بدرجة عالية من «اعتبار الذات» (الفقرة ١٤) لموقعها العلمي ولشعورها بالانجاز العالي فيه • وهذا يتفق ومـا توصلت اليه دراسة قصي بشأن التأثير البناء للموقع المهني في شخصية المرأة وشعورها بالانجاز وهـي امرأة مبدعة (الفقرة ١٥) في مجال تخصصها ومجددة فيه وتنزع نحو تحسين الاوضاع بصيغ مبتكرة •

كما انها «أصيلة» (الفقرة ١٦) تتصرف عن نفسها بلا وكيل ان تصرفاتها تستند الى جذور ثقافية عربية اسلامية ثابتة وواضحة وتدل على التمسك بالخلق العربي الاصيل مثل النخوة والتكافل والشهامة •

وهي تتميز « بالطموح » (الفقرة ١٧) لتطلعها الى المستويات الافضل ثقافيا واجتماعيا وحرصها على النجاح والتفوق •

وترى العينة بأن تكيف الجامعية يتمثل ايضا في « صبرها » (الفقرة ١٨) لقدرتها على التحمل في مواجهة الشدائد • فالصبر نفحة روحية تعتصم بها الجامعية المؤمنة لادراكها بأن الحكمة الالهية تسوق الشدائد لحكمة عالية •

كما يتمثل هذا التكيف في عدالتها وانصافها (فقرة ١٨) وتطبيقها مبدأ الثواب والعقاب في معاملة الطلبة ، وايمانها بأن الحق هو الاقوى والعمل على رفع الظلم عن الآخرين واجب •

ان المرأة الجامعية تتصف بالنزاهة والترفع عن الصغائر لثقافتها العالية وتمسكها بالفضائل والقيم الروحية •

كما ان حماستها للعمل كبيرة لرغبتها فيه واحترامها له مما يدفعها الى زيادة انتاجها فيه كماً ونوعاً • (فقرة ٢٤) •

وهي تتمسك « بالصدق » (فقرة ٢٣) وبالوضوح في المواقف وفي الاقوال والاعمال • وتتصف بالتفاؤل والحشمة والاتزان والالتزام وحب النظام ومراعاة السير حسب قواعده وعدم تجاوز سياقات العمل المنظم والقوانين •

أما الفقرة (٢٩) فهي تؤشر مستوى مقبول من السعادة (٥٩٪) فشعورها بالابتهاج والسرور والفرح والطمأنينة لايمكن وصفه بالقوة لانغماسها في مواجهة التحديات بالتحدي •

ويبين الجدول رقم (٢) بعدا ثانيا لتكيف المرأة الجامعية في ظـروف الحصار ، وهو(الطالب) حيث تقوم بارشاده في ضوء الاطار المرجعي الثقـافي العربي الاسلامي ليتمكن من حل ما يعترضه من مشكلات دراسية بالاعتمـاد على نفسه (فقرة ١) •

كما ان حرصها على تحقيق تماسك المجتمع ووحدته يزداد من خـلال توعيتها بأهمية ذلك لهم وللمجتمع •

وهي تؤكد بناء روحيا وأخلاقيا قويما ، وتعمل على تنميـة شخصيتـه القيادية وقدرته على توجيه جماعة الطلبة مع المعاملة الاخوية الرفاقية •

كما انها تحـرص على توعية الطلبـة بأخطار التلـوث الثقافـي ، وعلى تدريبهم على الاختيار الواعي للمعلومات المتدفقة •

وهي تساعدهم على تنمية مواهبهم وترعى المتميزين منهم •

ان الجدول (٢) فيه بعد ثالث لتكيف المرأة الجامعية في ظروف الحصار وهو (التدريسي) : ويتمثل هذا التكيف في ازدياد حرصها على تنمية معلومات الطلبة التخصصية ، وتأكيدها الهوية الثقافية للمجتمع من خلال استخـدام اللغة العربية الفصحى في التدريس ،وازدياد حرصها على تنمية مهارات الطلبة في استخدام الاسلوب العلمي في التفكير ، ومثابرتها على تنمية مهاراتهم في البحث العلمي ،وتعزيزها التدريس النظري بالتطبيق العملـي ، ومساعدتهـا الطلبة على التعليم الذاتي المستمر •

وهي تحرص عى تعزيز تدريسها بنتائج البحوث والتجـارب العلميـة وتؤكد الاقتدار المعرفي للطلبة بتعلم لغة آجنبية •

في ضـوء ما سبق عرضه من أبعـاد لتكيف المـرأة الجامعية يمكـن استنتـاج الآتـي:

ان المرأة الجامعية في ظروف الحصار الاقتصادي الجائر المفروض على القطر قد نجحت في تعديل بنائها النفسي وسلوكها المهني والاجتماعي وحققت لنفسها الشعور بالتوازن والرضا بمستوى جيد •

جـدول رقـم (٢)

فقرات تكيف المرأة الجامعية على وفق أبعاده ونسبه المئويـة

	الابعـاد	٪
	أولا ـ التدريسي :	
١	ازدياد الحرص على تنمية وتطوير معلومات الطلبة التخصصية	٨٩
٢	تأكيد الهوية الثقافية للمجتمع وخاصة باستخدام اللغة العربيـة في التدريس	٨٦
٣	ازدياد الحرص على تنمية مهارات الطلبة في استخدام الاسلوب العلمي في التفكير .	٧٤
٤	المثابرة على تنمية مهارات الطلبة في البحث العلمي	٦٩
٥	تعزيز التدريس النظري بالتدريب العلمي	٦٥
٦	تمكين الطلبة من التعليم الذاتي المستمر	٥٧
٧	الحرص على تعزيز التدريس بنتائج البحوث والتجارب العلمية	٥١
٨	تأكيد الاقتدار المعرفي للطلبة بتعليم اللغة الاجنبية	٤٨
	متوسط نسب المجال	٦٧ر٣
	ثانيا ـ الطالب	
١	ارشاد الطلبة في ضوء الاطار المرجعي الثقافي العربي الاسلامي	٩١
٢	ازدياد الحرص على تحقيق تماسك المجتمع ووحدته	٨٤
٣	التأكيد على تحقيق بناء روحي وأخلاقي قويم للطالب	٨١
٤	العمل على تنمية الشخصية القيادية الطلابية	٧٤
٥	التوعية المتواصلة للطـالب بأخطار التلـوث الثقـافي من خـلال الشبكـات الاتصاليـة	٧٠
٦	تدريب الطلبة على الاختيار الواعي للمعلومات المتدفقة	٦٢
٧	التأكيد على تنمية مواهب الطلبة وابداعاتهم	٥٤
٨	الحرص على رعاية الطلبة المتميزين علميا	٥١
	متوسط نسب المجال	٦٧ر٣
	ثالثا ـ الصفات الشخصية الجامعية	
١	الايمان بالله	٩٦
٢	الاعتزاز بالوطن والقيادة	٩٠

٣	رعاية الاسرة : (احترام أفرادها ، حسن تنشئة الابناء ، التدبير تنظيم الانجاب ، حرية قبول الشريك ، والعيش في أسرة معتمدة عند الضرورة ، حسن التعايش مع الظروف ، المرونة ، تنظيم الوقت)	٩٢
٤	المبدئية	٨٦
٥	الموضوعية	٨٥
٦	روح الجماعة	٨٥
٧	الديمقراطية	٨٤
٨	المتابعة وتقصي المعرفة	٨٤
٩	الارادة والتصميم	٨٤
١٠	الصمود	٨٤
١١	الثقة بالنفس	٨١
١٢	اتخاذ القرار الصائب	٨٠
١٣	الانسانية	٨٠
١٤	اعتبار الذات	٨٠
١٥	الابداع	٧٩
١٦	الاصالة	٧٩
١٧	الطموح والسعي نحو انجاز أفضل	٨٢
١٨	الصبر	٨٥
١٩	العدالة	٨٤
٢٠	النزاهة	٧٥
٢١	المسؤولية	٨٦
٢٢	الحماس للعمل	٨٤
٢٣	المنافسة المشروعة للتفوق	٧٤
٢٤	الصدق	٦٨
٢٥	التفاؤل	٦٥
٢٦	الحشمة	٨٥
٢٧	السيطرة	٦٠
٢٨	الاتزان	٦٠
٢٩	العمل المكثف (في الانتاج العلمي المتميز وفي خدمة المجتمع)	٥٩
	متوسط نسب المجال	٨٢٫٥
	متوسط نسب المجالات	٧٣

التوصيات :

١ ـ مواصلة حسن اعداد المرأة الجامعية وتدريبها في مجال التدريس الجامعي .

٢ ـ توفير مزيد من التقنيات التربوية التي تساعد الجامعية على التدريس الفعال والبحث العلمي وخدمة المجتمع .

٣ ـ مساندة الجامعية من خلال نظام فعال للحوافز .

٤ ـ توثيق سير الجامعيات المتميزات والعالمات .

المقترحات :

دراسة تكيف المرأة العراقية في مجالات مهنية أخرى .كالمنظمات الجماهيرية والصناعة والاعلام والصحة والفنون .

المصـــادر

١ ـ الاتحاد العام لنساء العراق . أمانةالتنمية الاقتصادية . تقييم الدور الاقتصادي للمرأة في أم المعارك . بغداد ١٩٩٦ .

٢ ـ الاتحاد العام لنساء العراق. أمانة التنمية الاجتماعية والاسكوا . أبعاد الفقر لدى النساء المعيلات لاسرهن . بغداد ١٩٩٨ .

٣ ـ التل . سعيد . قواعد التدريس الجامعي . دار الفكر للنشر والتوزيع . عمان ١٩٩٧ .

٤ ـ الآلوسي . منال عبدالرزاق . دور المرأة في التكوين الاجتماعي والسياسي في العراق . محاضرة في جامعة البكر للدراسات العسكرية . بغداد١٩٩٨ .

٥ ـ العقابي .طالب ابراهيم . المرأة في مشاريع الامم المتحدة . ندوة المرأة في العراق وتحديات القرن الواحد والعشرين ، ١٩٩٤ .

٦ ـ بحري . منى يونس . آثار الحصار الاقتصادي الجائر على الامن النفسي للمرأة العراقية . بغداد ٢٠٠٠ .

٧ ـ بحري . منى يونس . العائلة العراقية . التكيف في ظروف الحصار . بغداد ٢٠٠٠ .

٨ ـ بحري . منى يونس . المناهج الجامعية والانفجار المعرفي العالمي . ندوة جمعية الاكاديميين ت٢٠ ـ ٢٠٠١ .

٩ ـ جمعية الاقتصاديين العراقيين. التنمية البشرية في العراق . بغداد ١٩٩٥ .

١٠ـ جمهورية العراق . استراتيجية النهوض بالمرأة حتى عام ٢٠٠٥ المؤتمر العالمي الرابع للمرأة . ايلول ١٩٩٥ .

١١ـ زهران . حامد . الصحة النفسية . مكتبة النهضة . القاهرة ١٩٨٤.

١٢ـ قصي : صالحة علي ، الرضا الوظيفي لدى مدرسات الجامعات اليمنية . المؤتمر العلمي الاول لكلية التربية ، جامعة صنعاء . صنعاء ١٩٩٩ .

١٣ـ باهر ، هيفاء أمين . التكيف المهني لمدرسات الثانوية في الاردن . مجلة دراسات . مركز البحوث . جامعة اليرموك . أربد الاردن .

اصداء القضية الفلسطينية في الموصل

١٩٣٢ - ١٩٤٨

الدكتور وائل علي احمد النحاس
كلية المعلمين / جامعة الموصل

الملخــــص :

يتناول البحث تطورات القضية الفلسطينية في عقد الثلاثينيات بدءا بازدياد الهجرة الصهيونية وتهويد فلسطين واندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ ومشروع تقسيم فلسطين ١٩٣٧ • حيث كانت الاصداء في الموصل تجاهها متمثلة بعقد الاجتماعات الجماهيرية وجمع التبرعات وارسال البرقيات الاحتجاجية والتظاهر وتسطير المقالات في الصحف الموصلية • وحينما وصلت القضية الفلسطينية في عقد الاربعينيات على مراحلها باقرار مشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٧ وقيام حرب فلسطين ١٩٤٨ بعد الاعلان عن قيام الكيان الصهيوني ، تمثلت الاصداء في الموصل وتميزت بعقد الاجتماعات وقيام الاضراب الطلابي وجمع التبرعات النقدية والعينية وجمع الاسلحة والتطوع القتال في فلسطين • مما يدل على عمق الوعي القومي لاهالي الموصل تجاه فلسطين •

توطئـة :

عرفت الموصل بنزعتها القومية عبر تاريخها الحديث والمعاصر ، ففي عقد العشرينيات شهدت ولادة (حزب الاستقلال العراقي) فكان اول حزب يهتم بالقضايا القومية في العراق بدعوته لتنشيط حركة الوحدة العربية • وحينما برزت قضية فلسطين محكا لأي توجه قومي على الساحة العربية ، كانت القضية المركزية الاولى ضمن الاهتمامات القومية لمدينة الموصل ، اذ احتلت المقام الاول على الصعيد القومي ومنذ وقت مبكر وعلى الصعيدين الرسمي والشعبي بعد ان ادت الصحافة الموصلية دورا مهما في تعريف الرأي العام بالصهيونية واهدافها ومخاطرها على الامة العربية •

حينما انطلقت انتفاضة البراق في ٢٣ آب ١٩٢٩ ردا على استفزازات اليهود في القدس وحدوث المصادمات في القدس ومدن نابلس والخليل وبيسان وحيفا ويافا وصفد[١] • كانت الاصداء في الموصل متمثلة في تشكيل « لجنة منكوبي عرب فلسطين » برئاسة آصف وفائي مهمتها جمع التبرعات المالية من الموصليين ، لاغاثة اخوانهم المتضررين من عرب فلسطين ، فتمكنت فعلا من جمع (٣٥٤٥) دينارا حتى نهاية ايلول ١٩٢٩ وارسلت اللجنة مبلغ (٣٠٠) باون الى محمد امين الحسيني[٢] رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في القدس[٣]•

---

(١) عبدالوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، ط (٨) ، (بيروت ، ١٩٨١) ص ٢٣٦–٢٤٠ •

(٢) محمد امين الحسيني ، مواليد القدس ١٨٩٧ ، تلقى تعليمه في القدس ودرس العلوم الشرعية واللغة العربية والتحق بالجامع الازهر بمصر ، عاد الى فلسطين اثناء الحرب العالمية الاولى ، تخرج ضابطا في الجيش العثماني ، وبعد انتهاء الحرب عاد الى فلسطين حيث قاد ثورة القدس الاولى ١٩٢٠ وتولى منصب الافتاء ١٩٢١ ، وانتخب رئيسا للمجلس

←

الهجرة الصهيونية وتهويد فلسطين :

ارتفع عدد المهاجرين اليهود الى فلسطين من (٩٫٥٠٠) مهاجر سنة ١٩٣٢م الى (٣٣) ألف مهاجر في سنة ١٩٣٣م ، فيما استمرت سياسة انتقال الاراضي من ايدي العرب الى ايدي اليهود ، وطرد مزارعوها العرب دون تدخل السلطات البريطانية المنتدبة على فلسطين لحمايتهم كانتقال اراضي وادي الحوارث[4] فضلا عن استمرار تهويد فلسطين وتجاهل التقارير الدولية ، وخضوع السياسة البريطانية للصهاينة ، فكان الشعور المعادي لبريطانيا اشد حرارة انعكس في اجزاء متفرقة من الوطن العربي[5].

تشكلت في الموصل « لجنة الشباب الموصلي »[6] في تموز سنة ١٩٣٣ ، مهمتها الدفاع عن فلسطين وتأكيد عروبتها ، لذا قررت اللجنة عقد اجتماع في

→ الشرعي الاسلامي الاعلى ١٩٢٢ تراس المجنة العليا بالقدس (١٩٣٦) تمكن من تشكيل (جيش الجهاد المقدس) ١٩٤٦ بقيادة عبدالقادر الحسيني ، مثل فلسطين في مؤتمرات عربية ودولية .. توفي في الرابع من تموز ١٩٧٤ .. التفاصيل انظر : عبدالكريم عمر ، مذكرات الحاج محمد امين الحسيني ، (دمشق ، ١٩٩٩) ص ١٥–٢٣ .

(٣) جريدة الموصل العدد ١٦٣١ (٢٥ ايلول ١٩٢٩) ؛ (٧ تشرين الاول ١٩٢٩).

(٤) وادي الحوارث ، سهل يقع بين حيفا ويافا ، تقدر مساحته بنحو (٤٠) الف دونم ، اشترى اليهود سنة ١٩٢٩ ما مساحته (٣٠٫٨٦) دونما ، وبعد سلسلة من الروهانات استعانوا بحكومة الانتداب في فلسطين وطردوا بالقوة (١٫٢٠٠) عربيا من سكان الوادي بحجة تنفيذ حكم قضائي ، انظر : الموسوعة الفلسطينية ، المجلد(٤) ، (دمشق ، ١٩٨٤) ص٥٦٥ ؛ محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، الجزء (١) ، (بيروت ، ١٩٥٩) ص ٩٨–٩٩ .

(٥) الكيالي ، المصدر السابق ، ص٢٨٠ ؛ اكرم زعيتر ، القضية الفلسطينية ط٣ ، (عمان ، ١٩٨٦) ، ص ٩٧ .

(٦) تشكلت (لجنة الشباب الموصلي) من السادة يونس بحري وعبدالمنعم الفلامي وعبدالجبار الجومرد وعبدالله باشعالم العمري واسماعيل صبري، انظر : يونس بحري ، صوت الشباب في سبيل فلسطين ، والبلاد العربية المضامة ، (الموصل ، ١٩٣٣) ، ص ٧ ؛ انظر الملحق رقم (١) .

الجامع الكبير في الموصل بعد صلاة الجمعة ليوم ٢٨ تموز ١٩٣٣ . افتتح الاجتماع عبدالله باشعالم مذكرا بان الغاية من الاجتماع ، هو استعراض الوضع في فلسطين والبلدان العربية وما يمثل على مسرح سياسة العراق من مهازل مؤلمة ، وتطرق الى مشروع خط حديد حيفا ـ بغداد[٧] ونتائجه الاستعمارية على المنطقة العربية[٨].

والقى عبدالمنعم الغلامي[٩] خطابا قوميا استعرض فيه تاريخ الامة العربية وقارنه باوضاع المغرب العربي في ظل السيطرة الفرنسية وطرابلس وقصفها من قبل الطليان ومصر ومشاكلها في القناة والقروض وسورية وسيطرة الفرنسيين ، وتطرق الى الفجائع المتكررة في فلسطين على ايدي شذاذ الافاق بمساعدة بريطانيا وآخرها في وادي الحوارث وتشريد العرب منه لبناء

---

(٧) بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، طرح (خط حديد بغداد ـ البحر المتوسط) على بساط البحث للمرة الثانية ، فارسلت البعثات العسكرية للمسح وتعرضت لمقاومة البدو ومقتل عدد كبير من افراد المسح ، وفي سنة ١٩٣٠ عهد المسح الى وكلاء التاج البريطاني للمستعمرات ، التي سلمتها الى شركة « روندل بانمر وخريطون » فقدمت الشركة سنة ١٩٣٣ خارطة مسح مفصلة كلفت (٤٠٠) الف باون انكليزي ، واشتغل فيها (٥٠٠) شخص واستخدمت (٢٢) سيارة حمل ، وشاركت القوة الجوية الملكية البريطانية بالمسح ، وكانت الغاية من الخط توسيع التجارة العراقية والايرانية وخدمة بريطانيا للوصول الى الهند .. انظر « معلومات هامة عن خط حديد بغداد ـ حيفا » جريدة البلاغ ، العدد ٤٣٧ (٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٥) .

(٨) بحري ، المصدر السابق ، ص ١٠ـ١٤ ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٢٥٩ (١٠ آب ١٩٣٣) .

(٩) عبدالمنعم الغلامي ، من مواليد الموصل ١٩٠٤ ، خريج دار المعلمين ١٩١٤ ، عمل في سلك التعليم ، وفي حقل الصحافة . كما ساهم في الحركة الوطنية والجمعيات السرية في الموصل ، وله مؤلفات أكثر من (١٠) كتب منها : اسرار الكفاح الوطني في الموصل (١٩٥٨) ، الانساب والاسر (١٩٥٩) ؛ الضحايا الثلاث (١٩٥٥) ؛ مقابلة مع مجيب رؤوف الغلامي ، موظف متقاعد ، بغداد تشرين الاول ١٩٨٨ .

المستعمرات ، وهاجم الغلامي الاستعمار البريطاني المرابط في العقبة وعدن وحضرموت ومسقط والبحرين والكويت ، كما هاجم خط حيفا ـ بغداد ناعتا اياه بالطوق الثقيل على جزيرة العرب وبجسر للمواصلات البريطانية الى الهند ، ودعا باسم الوطن العربي الكبير والنجدة العربية وباسم الشعور والغيرة الاسلامية الى نجدة فلسطين باتحاد الكلمة والثبات على المبدأ ، واختتم الغلامي كلمته بالدعوة الى مقاطعة البضائع الصهيونية ، وبالاستغناء عن استيراد منتوجات الاجانب[١٠].

وتقدم عبدالجبار الجومرد[١١] ، فالقى قصيدة قومية بعنوان « نحن وعرب وادي الحوارث سواء » اعقبه اسماعيل صبري بكلمة هاجم فيها شيخ عرب وادي الحوارث الذي رهن ملك عشيرته لدى الصهاينة بمبلغ (٥٠٠٠) ليرة صرفها على ملذاته وشهواته شأنه شأن الكثير من الزعماء في العراق المغلوب على امره ، واستعرض شقاء وطننا العربي على ايدي المستعمرين في سوريا ومصر والعراق[١٢] ، واختتم يونس بحري الاجتماع بالقاء خطاب اكد في مستهله الوضع في العراق ناقدا الحكومة وبرلمانها ... وتطرق الى نكبة وادي الحوارث في فلسطين وانهى خطابه بالدعوة الى تأليف جبهة قومية لمقاومة التصرفات الضارة بالمصالح العامة[١٣].

---

(١٠) بحري ، المصدر السابق ، ص ١٥ـ٢٣ .

(١١) عبدالجبار الجومرد ، مواليد الموصل ١٩١٠ ، خريج دار المعلمين ١٩٢٩ . وحقوق دمشق ١٩٣٦ ، حصل على شهادة الدكتوراه من فرنسا في القانون ١٩٤٦ ، نائب عن الموصل لعدة دورات ، ومن المناصب التي شغلها مندوب العراق في الامم المتحدة واول وزير خارجية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . له مؤلفات عديدة منها هارون الرشيد بجزئين ، توفي في الموصل ١٩٧٣ . انظر : عبدالجبار الجومرد ، مذكرات عبدالجبار الجومرد مخطوط بخط اليد ؛ جريدة الاتحاد ، العدد ٣٥ (١٥ تشرين الثاني ١٩٨٦) وللتفاصيل انظر : عدنان سامي نذير ، عبدالجبار الجومرد ، نشاطه الثقافي ودوره السياسي ، (بغداد ، ١٩٩١) ص ٧ـ٤٦ .

(١٢) بحري ، المصدر السابق ، ص ٢٧ـ٣٢ ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٢٥٩ (١٠ آب ١٩٣٣) .

(١٣) المصدر نفسه ، ص٣٣ـ١٤ ؛ جريدة العمال، العدد ١٤٧ (٣ آب ١٩٣٣).

وانطلقت تظاهرة طلابية في الموصل في الثامن من تشرين الثاني ١٩٣٣ قادها طلاب الثانوية المركزية ، احتجاجا على حوادث فلسطين[١٤] ، رفعت فيها الاعلام منها علم ابيض كتب عليه « لبيك فلسطين ، فلتسقط الصهيونية » ، وعلم اسود كتب عليه « لبيك فلسطين » وفيما علقت اشارات حمر وسود على صدور الطلبة ، طافت التظاهرة شوارع الموصل وهي تنشد نشيدا حماسيا خاصا بفلسطين ، والقيت الخطب الحماسية في المتظاهرين من قبل عبدالرحمن الجليلي وابراهيم وصفي وعبدالاحد اسكندر كجهجي وجياد الطائي وجمال المفتي ، وتخللت الخطب الهتافات بسقوط الصهيونية والاستعمار وبحياة الاستقلال والوحدة العربية ، وتفرقت التظاهرة بعد جدال مع الشرطة[١٥].

وتشكلت في المدرسة المتوسطة في الموصل لجنة من اربعة طلاب لجمع التبرعات لشراء هدية ، ترسل لاصغر جريح في انتفاضة فلسطين الاخيرة ، وقد ارسلت اللجنة التنفيذية العربية في فلسطين جوابها مشفوعا بشكر اللجنة الطلابية على مشاعرها تجاه فلسطين ، واعلمتها بان اصغر جريح فلسطيني هو (احمد ابو شبابيك) من يافا[١٦].

ونظم حزب الاخاء الوطني[١٧] فرع الموصل ، اجتماعا جماهيريا في شعبة

---

(١٤) كانت قضية فلسطين تعيش مع الطلاب في اعماق نفوسهم وقلوبهم، قادوا المظاهرات سنة ١٩٣٢ وكان لهم كل عام عدة مظاهرات يشارك فيها ابناء الشعب كافة ، وكانت الاعدادية المركزية تقود تلك المظاهرات .. انظر : محمود شيت خطاب « تعليق على مقال طلبة الموصل ودورهم في بث الوعي الوطني والقومي » مجلة الشعب ، (الموصل) ، العدد ٣ (كانون الاول ١٩٧٨) ص ٧٣ .

(١٥) جريدة العمال ، العدد ١٦١ (٩ تشرين الثاني ١٩٣٣) ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٢٨٨ (١٠ تشرين الثاني ١٩٣٣) .

(١٦) جريدة البلاغ ، العدد ٢٩٦ (٩ تشرين الثاني ١٩٣٣) .

(١٧) تم افتتاح شعبة الاخاء الوطني بالموصل في آب ١٩٣٣ ، بحضور سكرتير الحزب الشيخ محمد رضا الشبيبي ، حيث تكونت الهيئة الادارية للفرع

←

الحزب في ١٢ تشرين الثاني ١٩٣٣ القى فيه المحامي ضياء يونس معتمد الحزب فرع الموصل ، خطابا قارن فيه تاريخ الامة العربية المجيد والظروف الحالية التي تمر بها سورية وفلسطين والعراق ، وعد فلسطين اكثر البلاد العربية مصابا واكثرها نكبة وان العرب يتألمون لمصاب فلسطين ، باعتبارها جسدا واحدا . واختتم بالامل ان تكون المصائب خير دافع للامة العربية على الاجتماع والاتحاد[١٨].

والقى جمال المفتي ، عضو الهيئة الادارية للحزب ، خطابا استهله بلعن السياسة الاستعمارية تجاه العرب ، مذكرا العرب بانهم امام حدث خطر في نتائجه القومية ، مستنكرا خطة الاستعمار في جعل فلسطين وطنا قوميا للصهاينة ، واختتم خطابه باعلان التضامن مع الشعب الفلسطيني ، والاحتجاج على المظالم التي يلاقونها الى عصبة الامم[١٩] واختتم الاجتماع بخطاب بشير الصقال[٢٠] افتتحه باستنكار وعد بلفور والاحتجاج على تدفق الهجرة اليهودية وعلى اضطهاد العرب وما لاقوه من الظلم والارهاب ، داعيا الى تخليص فلسطين حيث المسجد الاقصى من نار الهوان[٢١].

←

من : ضياء يونس المحامي وعبدالعزيز حمو القدو وجمال المفتي وبشير الصقال وحسن جلبي وقاسم الديوهجي وحمدي جلميران وعبدالفتاح زكريا ، استمر الحزب بالعمل حتى ٢٩ نيسان ١٩٣٥ حيث توقف نشاطه. انظر : جريدة البلاغ العدد العدد ٢٦٥ (٢٣ آب ١٩٣٣) ؛ عبدالرزاق الحسني ، الاحزاب السياسية العراقية ١٩١٨-١٩٥٨ ، (بيروت ، ١٩٨٠) ص١٣٠ .

(١٨) جريدة البلاغ ، العدد ٢٨٩ (١٤ تشرين الثاني ١٩٣٣) .

(١٩) جريدة البلاغ ، العدد نفسه .

(٢٠) بشير الصقال ، مواليد الموصل ١٩٠٤ ، درس على يد علماء الموصل واجيز من الشيخ عبدالله النعمة ، شارك في تأسيس الجمعيات الدينية في الموصل كالشبان المسلمين والهداية والبر الاسلامية . نشر في الصحافة الموصلية مقالات انتقادية لاذعة ، اختير نائب عن الموصل . عمل خطيبا في العديد من جوامع الموصل ومنها الاغوات ... انظر : احمد محمد المختار ، علماء الموصل ، (الموصل ، ١٩٦٧) ص ٧٤-٧٨ .

(٢١) جريدة العمال ، العدد ١٦٢ (١٦ تشرين الثاني ١٩٣٣) .

وقدم كل من فرعي جمعية الهداية الاسلامية[٢٢] وجمعية الشبان المسلمين[٢٣] في الموصل الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين والى رئيس اللجنة التنفيذية العربية وحزب الاستقلال العربي في فلسطين والى جميع قناصل ومفوضي الدول الاجنبية احتجاجاً على فظائع الصهاينة في فلسطين واعلنوا فيها ان جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، عملية مخالفة لكل شريعة وقانون ، وامر لا يمكن ان يصبر عليه العالم الاسلامي[٢٤].

هاجمت الصحافة الموصلية السياسة البريطانية في فلسطين المساندة للصهاينة وحمّلتها مسؤولية الحوادث والمصادمات ، ونصحتها بالتقليل من سياستها العدائية تجاه العرب ، فقد كتبت جريدة (العمال)[٢٥] سلسلة من المقالات المستمدة من وقائع الحوادث الدامية في فلسطين مع الدعوة المستمرة لمحاربة الصهيونية والتحلل من وعد بلفور المشؤوم[٢٦].

---

(٢٢) جمعية الهداية الاسلامية ، تشكلت في الموصل في ٢٠ آب ١٩٣٢ ، وتكونت الهيئة الادارية من السادة : عبدالله النعمة واحمد الجوادي وسعيد داود سيد احمد ومحمد رؤوف الغلامي وابراهيم الحاج ياسين وصالح الهادي ورشيد الخطيب واحمد الديوهجي واحمد الجراح وبشير الصقال وعبدالله الصوفي .. انظر : جريدة العمال ، العدد ٩١ (٢٧ آب ١٩٣٢).

(٢٣) جمعية الشبان المسلمين ، تأسست في ١٥ تموز ١٩٣٠ وكانت هيئتها الادارية مكونة من : عبدالله النعمة ومحمد رؤوف الغلامي واحمد سامي الدبوني وعبدالعزيز حمو القدو وعبدالعزيز النوري واحمد سعد الدين زيادة ورؤوف النقيب ومحمد الشاعر وتوفيق الدباغ ومحمد النائب وبشير الصقال وعبدالمنعم الغلامي .. انظر : جريدة صدى الاحرار ، العدد ١٤٥ (٨ شباط ١٩٥٢) .

(٢٤) جريدة العمال ، ١٦٢ (١٦ تشرين الثاني ١٩٣٣) ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٢٨٩ (١٤ تشرين الثاني ١٩٣٣) .

(٢٥) العمال « جريدة يومية سياسية عامة » صاحبها ومديرها المسؤول احمد سعد الدين زيادة المحامي ، صدر عددها الاول في ٥ ايلول ١٩٣١ .. انظر: العمال ، العدد الاول (٥ ايلول ١٩٣١) .

(٢٦) احمد سامي الجلبي ، « صفحات مطوية من تاريخ الصحافة الموصلية ، جريدة العمال اول صحيفة عراقية تحمل اسم الطبقة العاملة ، جريدة الثورة ، العدد ٥٨٢٩ (٧ أيار ١٩٨٦) . وللتفاصيل ، انظر : جريدة العمال ، العدد ١٥٩ (٢٦ تشرين ١٩٣٣) ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٢٥٨ (٣١ تشرين الاول ١٩٣٣) .

اصداء الثورة الفلسطينية ١٩٣٦-١٩٣٩ :

انطلقت الشرارة الاولى للثورة الفلسطينية الكبرى في ١٥ نيسان ١٩٣٦ - بقتل ثلاثة من اليهود على طريق نابلس ـ طولكرم فقامت على اثرها سلسلة من المظاهرات والاضطرابات والمصادمات الدموية بين العرب واليهود . وتشكلت لجان قومية انطلاقا من نابلس ثم حيفا ويافا وغزة، قررت اعلان الاضراب العام في فلسطين في العشرين من نيسان ١٩٣٦ ، والاستمرار في الاضراب حتى تتحقق مطالب الحركة الوطنية في فلسطين بايقاف الهجرة اليهودية ومنع انتقال العربية الى اليهود ، وانشاء حكومة وطنية امام مجلس نيابي[٢٧] .

استمرت الثورة الفلسطينية ، ومرت بثلاث مراحل ، المرحلة الاولى من نيسان ١٩٣٦ـ١٩٣٧ ، اذ سادها العمل المسلح ، المرحلة الثانية من تشرين الثاني ١٩٣٦ ـ ايلول ١٩٣٧ ، اذ اتسمت بنضال سياسي ودعائي واغتيال الجواسيس والتصدي لمشروع تقسيم فلسطين ، اما المرحلة الثالثة فقد امتدت من ايلول ١٩٣٧ ـ حتى ايلول ١٩٣٩ ، وكانت فترة ثورة مسلحة واعمال وجهود دبلوماسية خارج فلسطين[٢٨].

تألفت في الموصل لجنة[٢٩] لعقد اجتماع جماهيري في الجامع الكبير عصر السادس من مايس ١٩٣٦ ، احتجاجا على السياسة البريطانية والصهيونية وما نتج عنها من حوادث دامية في فلسطين ، ولاداء صلاة الغائب على أرواح

---

(٢٧) الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ـ١٠٣ .

(٢٨) هيئة الموسوعة الفلسطينية ، الموسوعة الفلسطينية ، المجلد (١) ، (دمشق ، ١٩٨٤) ص ٦٢٣ .

(٢٩) تشكلت لجنة الاجتماع من : سعيد الحاج ثابت وبشير الصقال وسعد الدين زيادة المحامي وفريد الجادر وعبدالله الصوفي وعبدالجبار الجومرد المحامي ومحمد علي الحاج ذنون ورؤوف الشنواني وعبدالمجيد ججاوي ويعقوب قسطو وعبدالاحد مراد وناصر سرسم وبشير مراد وسيروب كندريا وحبيب سرسم .. انظر : جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢٣ (١١ مايس ١٩٣٦) .

الشهداء[٣٠] ، عقد الاجتماع والقيت فيه الخطب الحماسية منها خطابة سعيد الحاج ثابت التي حذر فيها من خطر اليهودية بالقول « ... ان فلسطين الدامية على شفا جرف وستكون اندلسا ثانية اذ لم تستيقظ الأمة العربية من رقادها .. فان الخطر لا يشمل فلسطين فقط ، بل اذا ذهبت فلسطين فسيداهم الخطر الصهيوني سوريا والعراق .. ان فلسطين .. قد ابتلاها الله باستعمار مزدوج : استعمار بريطاني واستعمار صهيوني »[٣١].

والقى بشير الصقال خطبة حماسية تخللتها ابيات من الشعر وآيات قرآنية كريمة ، هاجم فيها وعد بلفور ، ومما جاء في خطابه « .. الا فليعلم (بلفور) والصهيونية العادية .. ومن ورائها الاستعمار الجامح ، بان الامة العربية التي فتحت ثلاثة ارباع الأرض بسف العدل .. لا تصبر على انتزاع اثار الفاتحين لو لم يبق على وجهها أكثر من فرد .. الا ليعلم الاستعمار ان العروبة لا تعترف بوعد جائر ولا عهد ضائر وان الحق هو الحكم بين الجميع ... »[٣٢].

واشار عبدالمجيد ججاوي ، صاحب جريدة البلاغ ، في خطابه العذاب الذي يتجرعه شعب فلسطين من الاستعماريين ، منوها بضرورة وحدة الصف المتجلية في الاجتماع ، وقال « .. ان القومية العربية لهي اقوى وارسخ من ان تنال منها دعاية واش او مكيدة دساس .. »[٣٣] ، واختتم الاجتماع عبدالجبار الجومرد بكلمة استعرض فيها حال الامة العربية مؤكدا ان مصيرها متوقف على اخلاص القادة والزعماء وانتباه الشعب والتعاون بين الاقطار العربية ، وقال : « الا يكف الاستعمار الانكليزي الذي يتظاهر بمودة العرب

---

(٣٠) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢١ (٤ أيار ١٩٣٦) ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٤٨٠ (٨ أيار ١٩٣٦) .

(٣١) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢٢ (١١ أيار ١٩٣٦) .

(٣٢) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

(٣٣) جريدة البلاغ ، العدد ٤٨٢ (٥ أيار ١٩٣٦) .

ان يسد على فلسطين .. النور ويمنعها حريتها، حتى طغى فوق ذلك ووهب ما لا يملك .. بان يجعلها وطنا قوميا لليهود ...»[٣٤].

ارسلت لجنة الاجتماع الى سفير الحكومة البريطانية في العراق برقية احتجاج جاء فيها « ان الحكومة البريطانية تعتبر مسؤولة عن الفضائع التي لاقتها وتلاقيها فلسطين ، باسم الالاف المحتشدة في الجامع الكبير في الموصل ، نحتج ونستنكر استمرار السياسة البريطانية على الاضطهاد الذي وقع على اخواننا العرب في فلسطين ، وعلى تنفيذ وعد بلفور المخالف للمبادىء الانسانية .. طالبين رفع الحيف الواقع على فلسطين والغاء وعد بلفور المشؤوم ...»[٣٥] كما ابرقت لجنة الاجتماع الى الحاج محمد امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا في فلسطين وبتوقيع سعيد الحاج ثابت مما جاء فيها « الجموع المحتشدة في الموصل تؤيد فلسطين في جهادها وقدمت الاحتجاجات الى الحكومة البريطانية على السياسة الاستعمارية الصهيونية الجائرة »[٣٦].

وفي مجال التبرعات وافقت متصرفية لواء الموصل على قيام فرع جمعية الشبان المسلمين في الموصل ، بجمع تبرعات اسوة ببغداد[٣٧] لمساعدة منكوبي فلسطين ، لذا قررت الجمعية تأليف ست لجان مشتركة من المسلمين والنصارى بالشكل الاتي :

(١) اللجنة الاولى : عبدالله النعمة وفريد الجادر وعبدالله رفعت العمري ومتي سرسم .

---

(٣٤) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢٢ (١١ ايار ١٩٣٦) .

(٣٥) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢٨ (٢٨ ايار ١٩٣٦) .

(٣٦) جريدة البلاغ ، العدد ٤٨٠ (٨ آيار ١٩٣٦) .

(٣٧) تشكلت في بغداد (لجنة اعانة منكوبي فلسطين) من : سعيد الحاج ثابت وابراهيم عطار باشي ونعمان الاعظمي ويوسف هرمز وكمال الدين الطائي والحاج فدعم وسامي سعد الدين ، وذلك لجمع الاعانات بطريقة الاكتتاب العام لصالح فلسطين .. انظر : جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢٧ (٢٥ أيار ١٩٣٦) .

(٢) اللجنة الثانية : بهجت النقيب وقاسم الديوهجي والقس سليمان متي ويونان برصوم .

(٣) اللجنة الثالثة : المقدم فهمي سعيد والرئيس (النقيب) محمود الجراح والملازم جمال عطية والملازم محمود طه .

(٤) اللجنة الرابعة : بشير الصقال وهاشم الحاج يونس ومحمد علي الحاج ذنون الخشاب وابراهيم الجلبي .

(٥) اللجنة الخامسة : عبدالفتاح جليمران والقس سليمان الصائغ وعبدالمجيد ججاوي .

(٦) اللجنة السادسة : علي يونس وزكريا رشيد والقس كريكور وبشير مراد[٣٨].

تمكنت لجان التبرعات من جمع نحو (٤٥٠) دينارا من مدينة الموصل واقضيتها في تلعفر وسنجار وزاخو ودهوك ، وتم تحويل مبلغ (١٥٠) دينارا في ١٥ حزيران ١٩٣٦[٣٩] ، ومبلغ (١٠٠) دينار في ٢٢ تموز ١٩٣٦ الى رئيس اللجنة العربية العليا في فلسطين[٤٠] ، وشهدت الموصل فيما بعد تبرعات فريدة من نوعها دلت على مدى ما احتلته قضية فلسطين من مشاعر واحاسيس الموصليين منها اعلان المواطن احمد حداد (بقال في كرك الموصل) بعد تبرعه للمرة الثالثة عن بيع ولديه (طالب ١٠ سنوات) و (غالب ٨ سنوات) ليقدم ثمنهما تبرعا لفلسطين ، نظرا لضيق حالته المالية[٤١] وكذلك تبرع سجناء

---

(٣٨) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢٦ (٢١ ايار ١٩٣٦) .
(٣٩) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٣٥ (٢٢ حزيران ١٩٣٦) ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٤٩١ (١٦ حزيران ١٩٣٦) .
(٤٠) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٩٣ (٦ تموز ١٩٣٦) .
(٤١) عباس عطية جبار ، العراق والقضية الفلسطينية ١٩٣٢-١٩٤١ (بغداد ، ١٩٨٣) ص ٤٣٥ ؛ احمد سامي الجلبي ، " يتبرع بولديه لفلسطين " جريدة الاسراء (الموصل) ، العدد الثاني (١٣ تشرين الاول ٢٠٠١) .

الموصل بمخصصات اللحم لمـدة اربعة ايام لنصـرة فلسطين علما ان اللحم كان يقدم للسجناء ثمانية ايام في الشهر الواحد[٤٢] .

تشكلت في بغداد « لجنة الدفاع عن فلسطين »[٤٣] في اوائل صيف سنة ١٩٣٦ فخصصت اللجنة يوم ١٧ ايلول ١٩٣٦ ، لجمـع التبرعات والاعانـات واطلقت عليه اسم « يوم فلسطين الاكبر في العراق »[٤٤] . لذا قررت لجنـة اعانة منكوبي فلسطين في الموصل اقامة مهرجان قومـي يوم ١٧ ايلول ١٩٣٦ لجمع التبرعات والاعانات لفلسطين . لمناسبة مرور خمسة اشهر على ثـورة فلسطين ١٩٣٦ ، لعدم اجابة السلطة البريطانية في فلسـطين لمطالب العـرب المشروعة في فلسطين على الرغم من محاولات زعماء العرب[٤٥] ، فتألفت لجنـة لعقد الاجتماع الجماهيري في الجامع الكبير ، لذلك دعت جريـدة فتى العراق الموصليين في بيان لها الى نجدة اخوانهم الفلسطينيين والى المبادرة لتسـجيل اسمائهم لدى لجنة الاجتماع ومقرها في ادارة الجريدة ، مذكرة اياهـم ان يوم فلسطين في الموصل ، هو من أقدس الايام[٤٦].

امتنع يوم ١٧ ايلول ١٩٣٦ « يوم فلسطين » الكثير عن تناول الطعـام متبرعين بمصروفهم اليومي لمنكوبي فلسطين ، فيما انتشر طـلاب المدارس في شوارع الموصل يبيعون بطاقات « يوم فلسطين » الى الاهالي ، عقد الاجتماع عصر يوم ١٧ ايلول ١٩٣٦ ، اذ تقدم بشير الصقال الجمع فصلى بالجماهـير

---

(٤٢) تأسست جمعية الدفاع عن فلسطين في بغداد سنة ١٩٣٦ من : طـه الهاشمي وسليمان الفيضي وسعيد الحاج ثابت ونجم الدين الواعظ ومحمد مهدي كبة وعيسى طه المحامي ، غايتها الدفـاع عن فلسطين ماديـا وادبيا والدعوة الى الجهاد وانقاذها من الصهاينة .. انظر : عبدالتواب احمـد سعيد ، « القضية الفلسطينية بين ١٩٣٦-١٩٤٧ » رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى جامعة عين الشمس (القاهرة ، ١٩٨٧) ص ٢٥٨ .

(٤٣) جبار ، العراق والقضية الفلسطينية ، ص ٤٣٣ .

(٤٤) جريدة البلاغ ، العدد ٥١٦ (١١ أيلول ١٩٣٦) .

(٤٥) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٥٩ (١٤ يبلول ١٩٣٦) .

(٤٦) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٦١ (٢١ أيلول ١٩٣٦) .

صلاة الغائب على ارواح شهداء فلسطين ، وبعد قراءة سورة الفاتحة على ارواح الشهداء وقراءة ما تيسر من آي الذكر الحكيم ، انبرى بشير الصقال فارتجل خطابا انتقد فيه بريطانيا لموقفها من العرب ، فخاطبها قائلا « آه يا انكلترا يا صديقة العرب في الحرب ويا هادمة (قدس) المسلمين في السلم ، لقد اججت سياستك في فلسطين نيران العداوة والبغضاء في صدورنا ، والهبت بالنقمة والحقد احشاءنا ، وان اليوم الذي ننتقم فيه من الباغي لآت .. »[٤٧].

وارتقى المنبر محمد علي الحاج يونس فاستهل خطابه باستعراض الوضع في فلسطين ، ودعا الجماهير الى المساعدة والنجدة بالجهاد لنصرة فلسطين التي تعمل جاهدة بريطانيا لتحويلها الى دويلة صهيونية ، فقال « يعمل الانكليز بما اوتيه من حول وقوة وجبروت على تبديل الارض غير الارض والسكان بغير السكان ، مسرفا في اعماله التي دونها اعمال البرابرة ... لكي يقدم فلسطين العربية هدية الى طغام الامم متشردي الافة الصهيونية .. »[٤٨] وتقدم المحامي نوئيل رسام فالقى خطابا ذكّر فيه الجماهير بالواجب تجاه نكبة فلسطين ، اعقبه رشاد عبيد البناء وعبدالجبار الجومرد المحامي وسعيد الشاهين واختتم الاجتماع محمود شيت الحاج خطاب بقصيدة شعرية وقراءة برقيات الاحتجاج الصادرة عن الاجتماع الجماهيري[٤٩].

ارسلت لجنة الاجتماع برقية احتجاج الى السفير البريطاني في بغداد ، ومما جاء فيها « ان مصائب الاستعمار الانكليزي في فلسطين ، قد الهبت قلوب العرب اجمعين وزرعت في صدور المسلمين بذور الحقد والبغضاء لتلك السياسة التي لا تتفق وما تتظاهر به انكترا من صداقة وولاء للامة العربية .. ان باسم الالاف المحتشدة في الجامع الكبير بالموصل ، نحتج بكل قوانا ونستنكر كل الاستنكار استمرار السياسة البريطانية في اضطهاد اخواننا

---

(٤٧) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .
(٤٨) جريدة البلاغ ، العدد ٥١٨ (١٨ أيلول ١٩٣٦) .
(٤٩) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٦١ (٢١ أيلول ١٩٣٦) .

العرب في فلسطين .. طالبين رفع الحيف على فلسطين والغاء وعد بلفور المخالف للمبادىء الانسانية والذي هو اداة قوية لهدم الصداقة المنشودة بين الامتين العربية والانكليزية » . ويذكر ان برقية الاجتماع وقعت من قبل اعضاء لجنة الاجتماع وهم : بشير الصقال وعبدالله الصوفي وهاشم الحاج يونس ونوئيل رسام ومحمد علي الحاج ذنون وعبدالمجيد حجاوي وعزيز الفتاح وملا يوسف الشاكر وابراهيم محمود الجلبي[٥٠] . كما ابرقت اللجنة الى الحاج محمد امين الحسيني رئيس اللجنة العربية في فلسطين ، جاء فيها « الجموع المحتشدة في الموصل ، تؤيدكم في جهادكم المقدس ، ذودوا عن كرامة الوطن »[٥١].

تابعت اللجان المنبثقة عن جمعية الشبان المسلمين نشاطاتها في جمع التبرعات ، فاستطاعت في اثناء اجتماع الجامع الكبير من جمع مبلغ (٤٣٤) دينارا و (٥٤٨) فلسا ومبلغ (٥٠) دينارا و (٣٥٢) فلسا عن قيمة التذاكر التي بيعت في يوم فلسطين ، فكان مجموع ما جمعته الجمعية منذ اندلاع الثورة الفلسطينية لحد شهر تشرين الاول ١٩٣٦ (١٠٩٦) دينارا و (٦٦) فلسا[٥٢] وارسلت فيما بعد اخر ما تبقى لديها من المبلغ وقدره (٧٥) باوند و(٤) شلنات و(٩) بنسات الى الحاج محمد امين الحسيني بواسطة المصرف العثماني بالموصل وجاء اشعار بوصول المبلغ الى امين الصندوق محمد علي الحاج ذنون الخشاب[٥٣].

---

(٥٠) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .
(٥١) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٦٧ (١٣ تشرين الاول ١٩٣٦) .
(٥٢) جريدة فتى العراق ، العدد ٣٢١ (٢٨ نيسان ١٩٣٧) .
(٥٣) فتى العراق ، « جريدة يومية سياسية اجتماعية عامة » صاحبها ورئيس التحرير احمد سعد الدين زيادة المحامي ، مدير الادارة فيها ابراهيم محمود الجلبي ، صدر عددها الاول في ٢٨ شباط ١٩٣٤ ـ وانتقلت ملكيتها في ١٠ آب ١٩٤٠ الى ابراهيم الجلبي . للتفاصيل انظر : وائل علي أحمد النحاس ، « تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦ـ١٩٥٨ » ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى كلية الاداب (جامعة الموصل ، ١٩٨٨) ص ٧٣ـ٧٤ .

موقف الصحافة الموصلية :

خصصت جريدة فتى العراق[٥٤] « عــددا خاصــا بحوادث فلســطين الدامية » بثماني صفحات كرس لادراج الكلمات التي القيت في الاجتمــاع الجماهيري الذي عقد في الجامع الكبير في ٦ مايس ١٩٣٦ ، فضلا عن المقالات السياسية المؤيدة لفلسطين[٥٥] . لذا كرمت جريدة فتى العراق لتبنيها الدائم لقضية فلسطين ، ونشرها تفاصيل جهاد ابنائها ووقائع الاحتفــالات لنصرتها ، وتخصيص صفحاتها لشرح القضية ، فقد ارسل محمد امين الحسيني رئيــس اللجنة العربية في القدس كتاب شكر الى المحامي سعد الدين زيادة صــاحب جريدة فتى العراق جاء فيه : « ان فلســطين تشــكركم جزيل الشــكر على اهتمامكم لقضيتها وعلى تخصيصكم عددا من جريدتكم المجاهدة لرفع صوتها وابلاغ كلامها للعالم العربي ولقد كــان لعملكم هذا اطيب الاثــر في النفوس ، وان فلسطين لتذكر حضرتكم هذا العمل الجليل وتقدره كل التقدير .. »[٥٦].

مشروع تقسيم فلسطين ١٩٣٧ :

اصدرت اجنة بيل **Bell** المكلفة بالتحقيق في اسباب ثورة ١٩٣٦ ، تقريرها في ٧ تموز ١٩٣٧ ، اوصت فيه تقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولــة يهودية ، ومنطقة تقع تحت الانتداب البريطاني الدائم على ان ترتبط الدولتان بمعاهدة صداقة وتحالف مع بريطانيا[٥٧].

---

(٥٤) جريدة فتى العراق ، العدد ٢٢٣ (١١ آيار ١٩٣٦) عدد خاص .

(٥٥) الجلبي ، صفحات مطوية ، الثورة ٥٨٢٩ (٧ آيار ١٩٨٦) .

(٥٦) قسطنطين خمار ، الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية، ط (٢) ، (بيروت، ١٩٦٦) ص ٨٤ــ٨٦ .

(٥٧) تشكلت لجنة الاجتماع من السادة : بشير الصقال وسعد الدين زيــادة المحامي ومحمد علي الحاج ذنون وهاشم الحاج ذنون وابراهيم محمــود الجلبي وطاهر حامد وعبدالرحمن الكركجي .. انظر : جريد فتى العراق العدد ٣٤٥ (٢٠ تموز ١٩٣٧) .

ساهمت الصحافة الموصلية بنقل اصداء مشروع تقسيم فلسطين ١٩٣٧ على صفحاتها ، بتحرير مقالاتها الافتتاحية والمقالات السياسية التي انتقدت المشروع ، وردود الفعل على الصعيد الشعبي ومنها نقل اخبار تشكيل لجنة[٥٨] على اثر اعلان تقسيم فلسطين ، التي اصدرت بيانا اعلنت فيه عن موعد عقد اجتماع جماهيري في ١٦ تموز ١٩٣٧ ، واهابت بالموصليين لحضور الاجتماع مندد بالتقسيم[٥٩] .

افتتح اجتماع الجامع الكبير في ١٦ تموز ١٩٣٧ ، بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، ارتجل بعدها بشير الصقال كلمة ، تحدث فيها عن مشروع تقسيم فلسطين واخطاره مؤكدا عروبة فلسطين على الرغم من مؤامرة التقسيم ومما جاء فيها « الا فلتسقط السماء كسفا ، او فلتنشق الارض براكانا ، فان فلسطين كلها عربية اسلامية ولو ان اهل الارض كلهم كانوا على شاكلة دعاة الصهيونية من الانكليز ، فلسطين عربية اسلامية ما بقي من هذه الامة فرد واحد ... » اعقبه محمد علي الحاج يونس فالقى خطابا اعلن فيه الاستعداد لانقاذ فلسطين وقال « ... اننا بانتظار اقل اشارة للعمل الفعلي للعمل معا على انقاذ بلادنا وانتشالها من هذه المذلة ... وليعلم العالم ان فلسطين للعرب وانها عربية ولو لم يبق فيها الا واحد ، فهو مجاهد في سبيلها ، مناضل لتحريرها ..»[٦٠].

والقى طاهر حامد كلمة خص بها قرار التقسيم ، منتقدا اياه مؤكدا عروبة فلسطين ، فقال « ان قرار التقسيم معناه اغتصاب فلسطين من اهلها الشرعيين وابادتهم ومحقهم من عالم الوجود .. ان العالم الاسلامي لن يرحمنا ابدا ان تذهب فلسطين من ايدي العرب وان تقدم لقمة سائغة للصهاينة تحقيقا لوعد بلفور المشؤوم ... »[٦١].

---

(٥٨) جريدة فتى العراق ، العدد ٣٤٤ (١٦ تموز ١٩٣٧) .
(٥٩) جريدة فتى العراق ، العدد ٣٤٥ (٢٠ تموز ١٩٣٧) .
(٦٠) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .
(٦١) للاطلاع على نصوص الخطب والبرقيات المرسلة . انظر : جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

واختتم بشير الصقال الاجتماع بتلاوة برقيات الاحتجاج الصادرة ، منها البرقية المعنونة الى سفير بريطانيا في بغداد ، جاء فيها « ان الامة العربية والامم الاسلامية والمسيحية ، لترى في قرار لجنة التحقيق الملكية في فلسطين اعتداءا صارخا على كرامتها وحريتها ، وترى انه من واجبها الجهاد لحفظ مقدساتها الدينية والقومية والدفاع عن عروبة فلسطين واسلاميتها ومسيحيتها ، وان تثار لعزتها المثلومة وكرامتها الجريحة ووطنها المظلوم »[٦٢].

وتابعت الصحافة الموصلية تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد القومي ، فقد اصدرت جريدة فتى العراق عددا خاصا عن المؤتمر العربي المنعقد في بلودان[٦٣] ، نشرت فيه قرارات المؤتمر واصداء تطورات قضية فلسطين ، ثم تولت نشر ما يردها من كتب الدعاية والنشر المنبثق عن اللجنة العربية العليا في القدس[٦٤] فضلا عن نشر المقالات السياسية لكبار المثقفين والكتاب العرب ذات الطابع القومي المؤيدة لقضية فلسطين ، نقلا عن الصحف العربية[٦٥] واجمعت الصحافة الموصلية على معارضة مشروع تقسيم فلسطين ١٩٣٧ معارضة شديدة من خلال المقالات الافتتاحية والسياسية الانتقادية اللاذعة ، فضلا عن نشرها برقيات الاستنكار للمشروع[٦٦].

---

(٦٢) عقد مؤتمر بلودان في ايلول ١٩٣٧ ، حضره (٤٥٠) عضوا من جميع الاقطار العربية ، منهم (١١٩) فلسطينيا ، وكانت من اهم مقرراته ، ان فلسطين جزء لا يتجزء من الوطن العربي ورفض ومقاومة تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية فيها ، والغاء الانتداب وتصريح وعد بلفور واستبدالها بوعد مع بريطانيا ، ورفض الهجرة اليهودية فورا .. انظر : خمار ، المصدر السابق ، ص٨٧ ؛ للاطلاع على مقررات مؤتمر بلودان ، انظر : جريدة فتى العراق ، العدد ٣٦٢ (١٧ تموز ١٩٣٧) عدد خاص .

(٦٣) انظر : جريدة فتى العراق ، الاعداد ٣٤٢ (٩ تموز ١٩٣٧) ؛ ٣٤٩ ، ٣٥٠ (٣ ، ٦ آب ١٩٣٧) ؛ جريدة الجزيرة ، العدد ٤٠ (١١ كانون الاول ١٩٣٧)

(٦٤) جريدة فتى العراق ، العدد ٣٣٣ (٨ حزيران ١٩٣٧) ؛ جريدة البلاغ ، العدد ٥٨٧ (٦ حزيران ١٩٣٧) .

(٦٥) جريدة فتى العراق ، العدد ٣٤٤ (١٦ تموز ١٩٣٧) .

(٦٦) تكونت الهيئة التأسيسية لجمعية الدفاع عن فلسطين من (١٨) شخصا ،

←

وتنفيذا لمقررات مؤتمر بلودان ، تشكلت في العراق « جمعية الدفاع عن فلسطين » ، مركزها في بغداد ، واجيزت في تشرين الثاني ١٩٣٧[٦٧] . فيما تم تشكيل فرعها في الموصل في ٣١ اذار ١٩٣٨ ، فكانت الهيئة الادارية للجمعية تتكون من عبدالله النعمة ومصطفى الصابونجي ومحمد نجيب الجادر وعبدالغني النقيب وسعد الدين زيادة المحامي وجمال المفتي وصلاح الدين الخطيب ومتي سرسم وحمدي جلميران ونوئيل رسام[٦٨] . وتم انتخاب مصطفى الصابونجي معتمدا وجمال المفتي سكرتيرا وسعد الدين زيادة المحامي امينا للصندوق[٦٩].

كانت مهام جمعية الدفاع عن فلسطين في الموصل ، تنظيم المظاهرات والاضرابات وعقد اجتماع جماهيري سنوي في اليوم الثاني من تشرين الثاني ، احتجاجا على صدور وعد بلفور ، وجمع المال والسلاح ، وارسال المتطوعين للقتال في فلسطين ومناشدة الحكومة العراقية على تبني القضية الفلسطينية والدفاع عنها على الصعيد العربي والدولي[٧٠].

→

وتم انتخاب الهيئة العليا من : ناجي السويدي وعبدالعزيز القصاب وحمدي الباجهجي ومولود مخلص وطه الهاشمي وكمال الدين الطائي ومحمد مهدي كبة وعلي الدوغرهجي وابراهيم الواعظ وبهجت زينل وسليم حسونة وسعيد الحاج ثابت وداوُد السعدي وعاصم النقيب ونجيب الراوي . انظر : جريدة فتى العراق ، العددان ٣٧٣ (٢٦ تشرين الاول ١٩٣٧) ؛ ٣٨٤ (٣ كانون الاول ١٩٣٧) وللاطلاع على النظام السياسي لجمعية الدفاع عن فلسطين ، انظر : فتى العراق العدد ٣٨٠ (١٩ تشرين الثاني ١٩٣٧) .

(٦٧) جريدة فتى العراق ، العدد ٤١٥ (١ نيسان ١٩٣٨) .

(٦٨) نوري احمد عبدالقادر « الموصل والحركة القومية ١٩٢٠-١٩٤١ » رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة الى كلية الاداب (جامعة الموصل ، ١٩٨٨) ص ٢٧٥ .

(٦٩) جبار ، المصدر السابق ، ص ٥٨٣ .

(٧٠) جريدة الرقيب ، الاعداد ٢ ، ٣ (٢٤ ، ٢٧ نيسان ١٩٣٨) ؛ ١٠ ، ١٢ ، (٢٢ ، ٢٩ أيار ١٩٣٨) ؛ ١٤ ، ١٦ (٥ ، ١٢ حزيران ١٩٣٨) ؛ ٤٨ ، ٥٣ (٣ ، ٤ تشرين الاول ١٩٣٨) ٥٦ (٣ تشرين الثاني ١٩٣٨) .

كان الاهتمام الاول للجمعية ، جمع التبرعات لمساعدة المنكوبين الفلسطينيين من الدوائر والمؤسسات الرسمية ومن الاهالي ، فيما تولت الصحافة الموصلية نشر اسماء الجهات المتبرعة ومقدار تبرعهم ، اذ ساهم في التبرع ضباط الجيش لمنطقة الموصل ومديرية شرطة اللواء ونادي الجزيرة ومعارف منطقة الموصل وفرع جمعية الهلال الاحمر وجمعية حماية الاطفال في الموصل ومن اهالي الموصل واقضية الشيخان وعقرة والشورة وتلعفر وغيرها[71] • فتمكنت الجمعية من تحويل (٧٠٠) دينار على ثلاث دفعات ؛ كما حولت مبلغ (٢١٠) دنانير في حوالتين الى معتمد جمعية الدفاع عن فلسطين في بغداد ، والتي بدورها تقوم بتحويل المبالغ المجمعة لديها لمنكوبي فلسطين[72] •

وشكلت فخرية مرزا مديرة المركزية للبنات لجنة نسائية من الاسر الموصلية لجمع التبرعات لفلسطين ، وذلك بتكليف من لجنة جمع التبرعات لمنكوبي فلسطين ولكن مديرية المعارف رفضت إعطاءها الموافقة • لذا شكلت مع زميلاتها لجنة في المدرسة باسم « لجنة مساعدة ايتام عرب فلسطين ١٩٣٩ » وجمعت ما يزيد عن (١٥٠) دينارا من النشرات والحفلات والاعمال اليدوية[73] • واستمرت حملة التبرعات في الموصل فبلغت حتى حزيران ١٩٣٩ ما مجموعه (٦٧٢٠) دينارا[74] •

قررت جمعية الدفاع عن فلسطين فرع الموصل ، عقد اجتماع جماهيري في الجامع الكبير ، عصر يوم الخميس الثامن من مايس ١٩٣٨ ، والمصادف

---

(٧١) جريدة الرقيب ، الاعداد ١٤ ، ١٦ (٥ ، ١٢ حزيران ١٩٣٨) ؛ ٢٦ (٦ تموز ١٩٣٨) .

(٧٢) انظر : مقال « شخصيات مجاهدة ، اعمال صامته » ، جريدة فتى العراق العدد ٣٤–٥٤٤ (١٨ كانون الاول ١٩٤٠) .

(٧٣) جريدة الرقيب ، العدد ١٧ (٢٨ حزيران ١٩٣٨) .

(٧٤) جريدة الرقيب ، العدد ٧ (١١ أيار ١٩٣٨) .

ذكرى مولد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فاصدرت نداءا شرحت فيه المظالم وهتك الاعراض واباحة المحرمات التي تقترفها الصهيونية وباسناد من بريطانيا في فلسطين ، وحثت الموصليين لحضور الاجتماع[٧٥] .

بدأ الاحتفال باقامة صلاة الغائب على ارواح الشهداء ، وبعد تلاوة آي من الذكر الحكيم ، تقدم عبدالله النعمة وتلا السيرة النبوية ، اعقبه جمال المفتي بكلمة شكر فيها الجمهور لتلبية نداء الواجب القومي والانساني ، باظهار شعوره الفياض تجاه فلسطين ، ثم القى يوسف الحاج الياس المحامي خطابه نيابة عن نادي الجزيرة بالموصل ، اعقبه نوئيل رسام المحامي وصديق شنشل المحامي والطالب عبدالله طاهر ، واختتم الاجتماع الجماهيري بقصيدة الطالب ابراهيم فيصل ، تليت بعدها برقية الاجتماع الى اللجنة الفنية البريطانية والمندوب السامي البريطاني في فلسطين ... ومما جاء فيها « باسم الالاف المحتشدة من ابناء الموصل مسلمين ومسيحيين في الجامع الكبير ، نحتج على ما يجري في فلسطين من مظالم وتعديات تأباها الانسانية ونستنكر فكرة التقسيم وهجرة الصهيونيين ، مستعدين للتضحية في سبيل فلسطين واستقلالها »[٧٦].

خرجت الجماهير من الاجتماع بتظاهرة ، سارت في شارع نينوى ، ثم عادت الى فرع جمعية الدفاع عن فلسطين ، حيث القيت الخطب الحماسية من قبل طلاب الثانوية ، وكان المتظاهرون يهتفون خلال التظاهرة بسقوط الصهيونية والاستعمار ووحدة فلسطين العربية واستقلالها[٧٧].

قررت اللجنة العليا لجمعية الدفاع عن فلسطين في العراق ، جعل يوم ٢٢ ايلول ١٩٣٨ المصادف ٢٧ رجب ١٣٠٥هـ (يوم فلسطين الاكبر في العراق)

---

(٧٥) جريدة الرقيب ، العدد ٨ (١٥ أيار ١٩٣٨) .

(٧٦) جريدة الرقيب ، العدد نفسه .

(٧٧) جريدة الرقيب ، العدد ٩ (١٨ أيار ١٩٣٨) .

تأييدا لقرار مؤتمر بلودان بجعل يوم الاسراء والمعراج (٢٧) رجب من كل سنة هجرية ، يوما خاصا لفلسطين في الاقطار العربية ، تقام فيه صلاة الغائب وتعقد الاجتماعات العامة حيث تتلى في ختامها الاحتجاجات[٧٨] . لذا ارسل جمال المفتي سكرتير جمعية الدفاع عن فلسطين فرع الموصل ، كتبا الى خطباء الجوامع في الموصل راجيا فيها ان تقام صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة على ارواح شهداء فلسطين[٧٩] . وشكلت تسع فرق من طلاب المدارس ، حمل كل منهم اشارة شريط احمر كتب عليه عبارة « جنود فلسطين لسنة ١٣٥٧هـ » وبعد موافقة متصرفية لواء الموصل على طلب جمال المفتي سكرتير فرع جمعية الدفاع عن فلسطين ورفاقه ، وجه الفرع نداءا الى ابناء الموصل يدعوهم فيه لحضور اجتماع جماهيري يعقد في الجامع الكبير عصر يوم الجمعة ٢٨ رجب ١٣٥٧هـ الموافق ٢٣ ايلول ١٩٣٨م[٨٠] .

تقاطرت جماهير الموصل على الجامع الكبير ، وبعد اداء صلاة العصر اقيمت صلاة الغائب على ارواح الشهداء ، وبعد انشاد فرقة من طلاب مدارس الموصل نشيد فلسطين ، افتتح الاجتماع بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، تقدم بعدها جمال المفتي فبدأ الاحتفال باسم الله والوطن ، فالقيت الخطب الحماسية من قبل نوئيل رسام المحامي باسم جمعية الدفاع عن فلسطين فرع الموصل ، وخطاب عبدالحق فاضل باسم نادي الجزيرة بالموصل ، بعدها القى اكرم فاضل الصيدلي قصيدة قومية اعقبه خطاب عبدالله طاهر السردار وحازم المفتي وابراهيم فيصل الانصاري وهشام عبدالله الدباغ ، تناولوا في خطبهم حالة فلسطين والحوادث التي تجري فيها[٨١] .

---

(٧٨) جريدة الرقيب العدد ٤٥ (٢١ ايلول ١٩٣٨) .
(٧٩) جريدة الرقيب ، العدد ٤٦ (٢٦ ايلول ١٩٣٨) .
(٨٠) جريدة الرقيب ، العدد نفسه .
(٨١) جريدة الرقيب ، العدد نفسه .

واختتم الاجتماع جمال المفتي بتلاوة برقية معنونة الى عصبة الامم ووزارة الخارجية البريطانية والمندوب السامي في فلسطين ووزارات الخارجية في الدول الكبرى وصور منها الى ملوك العراق واليمن والسعودية والى محمد امين الحسيني ومما جاء فيها « الآلاف المحتشدة من ابناء الموصل في الجامع الكبير ، تستنكر استمرار التقتيل والتشريد والتعذيب وهتك حرمات الاماكن المقدسة من قبل السلطات البريطانية في فلسطين في سبيل الصهيونية وتهويد البلاد المقدسة خلافا للشرف والمبادىء الانسانية والعهود المقطوعة وتطلب وضع حد لهذه الفضائع المنكرة واعطاء فلسطين العربية المجاهدة ما تطلب من حرية واستقلال[٨٢].

تابعت جمعية الدفاع عن فلسطين فرع الموصل نشاطها ، فحينما اصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الابيض[٨٣] في ١٧ مايس ١٩٣٩ بشأن فلسطين رفضته في بيان لها بلا تحفظ واستنكرت محتوياته ، مما جاء في البيان : « نرفض نصوص الكتاب .. بدون اي تحفظ او استثناء ، حيث ان النقاط التي احتواها لا تختلف في معناها عن المقترحات البريطانية التي رفضها مندوبو العرب في مؤتمر لبنان الاخير ، بل هي اشد تعقيدا ومغالطة وتعتبره هيئتنا مستمداً من الكفرة الصهيونية وموحى به من زعمائها ... وعليه فان الهيئة تستنكر فكرة الكتاب الابيض ومحتوياته ، وترجو الحكومات العربية والاسلامية وزعماء البلاد ، التكاتف لحمل بريطانيا على العدول عن هذه السياسة السلبية التي تنفق واماني الامة العربية بأي وجه من الوجوه »[٨٤] .

---

(٨٢) اصدرت بريطانيا الكتاب الابيض ، معنلة فيها سياستها تجاه الحكم الذاتي ، ومسألة تحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وانتقال الاراضي من العرب الى اليهود ، وقد اعترف الكتاب مبدئيا بحق فلسطين بالاستقلال ولكنه منوطا باسهام اليهود ، وتعهد بريطانيا بالعدول عن تقسيم ١٩٣٧ ، انظر زعيتر ، المصدر السابق ، ص ١٤٢-١٤٧ .

(٨٣) جريدة البلاغ ، العدد ٧٨١ (٢٥ ايار ١٩٣٩) .

(٨٤) عبدالقادر ، المصدر السابق ، ص٢٨٧ .

ويذكر ان الجمعية استمرت في اعمالها الى حين توقفها نهائيا في الثاني من شهر آب ١٩٤١[٨٥].

البرقيات :

نشرت جريدة الرقيب البرقيات الاحتجاجية على قرار تقسيم فلسطين ١٩٣٧ بالتتابع ، تحت عنوان « العراق ينتصر لعروبة فلسطين ويحتج على هتك الحرمات وتقسيم فلسطين العربية » وعلقت الجريدة على تلك البرقيات بالقول : (ما يزال العراق الابي يقدم الادلة تلو الاخرى مبلغ اهتمامه الكبير على فلسطين الجريحة ... فقد ساعد منكوبي فلسطين العربية وبذل المال بسخاء ورفع صوته عاليا مطالبا انصافها واجابة مطالبها الحقة ... بعد ان لمس تفاقم الحالة في فلسطين العربية ... بالفتك بالاحرار وهتك حرمات المنازل والمعابد ... والامعان بالقتل والتشرد والاعتداء ... والاصرار على تنفيذ مشروع التقسيم ... ووصول اللجنة الفنية مباشرة بمهمة التقسيم ... يهب (العراق) ... فيطلق استنكاره واحتجاجه على هذه الاعمال البربرية المنافية للعدل والانصاف والانسانية بواسطة البرقيات الاحتجاجية »[٨٦].

طيرت البرقيات الاحتجاجية الى اللجنة الفنية البريطانية والمندوب السامي البريطاني في فلسطين وجريدة الدفاع وجريدة فلسطين في القدس واتفقت البرقيات في احتجاجها على رفض فكرة تقسيم فلسطين والاحتجاج بشدة على استمرار الهجرة الصهيونية ، وتأييد استقلال فلسطين العربية ... والبرقيات هي لعلماء الموصل وفرع جمعية الشبان المسلمين في الموصل ورئيس طائفة السريان الارثودكس ومطراني السريان الكاثوليك والكلدان وفرع جمعية الدفاع عن فلسطين في الموصل والمجلس البلدي واصحاب الصحف الموصلية : سعد الدين زيادة المحامي (فتى العراق) ويوسف الحاج الياس

---

(٨٥) جريدة الرقيب ، العدد ٥ (٤ ايار ١٩٣٨) .

(٨٦) جريدة الرقيب ، العددان ٥ و٦ (٤ ايار ١٩٣٨) .

المدير المسؤول (الرقيب) ومتي سرسم (البلاغ) ، ومحامي الموصل واطباء الموصل ومصطفى الصابونجي ونجيب الجادر وجمال المفتي وجمعية تقابة البنائيين والاغوات ورؤساء اصحاب المهن (البقالين والصفارين والكلاكين والخشابين والاطراقجية والقصابين وسواق السيارات والصوافين والعلافين والقوطجية والخفافين والعطارين والخياطين والقطانين والحجارين) والتجار والصيادلة وتجار الاغنام[٨٧].

توصيات اللجنة الانكلو ـ امريكية ١٩٤٦ :

تشكلت في العاشر من كانون الاول ١٩٤٥ ، لجنة تحقيق انكليزية ـ امريكية من (١٢) عضوا مناصفة ، وبدأت اعمالها في الرابع من كانون الثاني ١٩٤٦ ، فعقدت عدة جلسات وزارت دول عربية واوربية[٨٨] . واصدرت تقريرها في اواخر نيسان ١٩٤٦ ، متضمنا عشر توصيات منها : السماح بادخال (١٠٠) الف مهاجر الى فلسطين خلال ١٩٤٦ ، والغاء جميع قيود وقوانين تحديد انتقال الاراضي من العرب الى اليهود ، ووضع نظم تقوم على حرية البيع والاجازة . كما اوصت اللجنة ان تبقى فلسطين تحت الوصايا البريطانية لحين زوال النزاع[٨٩].

وتضامنا مع الاقطار وتنفيذا لقرار لجنة الاحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين ، باعلان الاضراب العام في جميع انحاء العراق يوم الجمعة الثامن من ايار ١٩٤٦ ، احتجاجا على تقرير لجنة التحقيق الانكلو ـ الامريكية اصدر ممثلو الاحزاب العراقية في الموصل بيانا دعوا فيه الموصليين الى الاضراب

---

(٨٧) هيئة الموسوعة الفلسطينية ، جـ (٤) ص ٥٥٨ .

(٨٨) محمد عزة دروزة ، حول الحركة العربية الحديثة ، المجلد (٢) ، الجزء (٤) (صيدا ، ١٩٥٠) ص ٤٩ .

(٨٩) جريدة نصير الحق ، العدد ٣٩٦ (٩ ايار ١٩٤٦) .

تضامنا مع ابناء فلسطين وانتصارا للكرامة الوطنية . واختتم البيان بعبارات « عاش الوطن العربي ، عاشت فلسطين حرة ، الموت للاستعمار »[٩٠].

تم اعلان الاضراب من الساعة (٦) صباحا حتى الساعة (٨) مساءا واتخذ مكتب حازم المفتي مقرا لاعضاء حزب الاستقلال[٩١] للاتصال بالاهالي وباعضاء الحزب ومراقبة سير الاضراب ، فيما اتخذت ادارة جريدة فتى العراق لاجتماع اصحاب المهن الحرة لنفس الغرض ، وعلقت جريدة فتى العراق على الاضراب بالقول « لقد كان الاضراب في ام الربيعين هادئا تماما بفضل التدابير التي اتخذتها متصرفية اللواء ومديرية الشرطة وممثلوا الاحزاب قبل يومين من حلول الاضراب بدعوة الاهليين للحرص على النظام فكان الاضراب متفقا والاهداف التي رسمتها الاحزاب من حيث الهدوء والسكينة وعدم القيام باية تظاهرة »[٩٢].

ابرقت من الموصل البرقيات الاحتجاجية ، فتولت الصحف الموصلية نشرها تباعا ، فقد احتج اصحاب المهن الحرة في الموصل على قرار اللجنة الانكليزية ــ امريكية فارسلوا برقياتهم معنونة الى السفارة البريطانية والمفوضيات السوفيتية والامريكية والتركية والايرانية والافغانية والى الصحف العراقية ، اكدوا فيها استعدادهم للجهاد في سبيل فلسطين ، واستنكارهم الشديد للقرار ، ويذكر ان مرسلي البرقيات هم : محمد علي

(٩٠) حزب الاستقلال ، حزب سياسي ترأسه محمد مهدي كبة ، وكان ضمن اللجنة العليا للحزب من الموصل ، حازم الصابونجي وابراهيم وصفي وحازم المفتي ، من برنامج الحزب السعي لتعديل معاهدة ١٩٣٠ وتوطيد الحياة الدستورية ، والتأكيد على عروبة فلسطين ، افتتح الحزب فرعا له في الموصل رسميا في ١٨ آذار ١٩٤٨ ، للتفاصيل انظر : عبدالامير هادي العكام ، تاريخ حزب الاستقلال العراقي ١٩٤٦ــ١٩٥٤ ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ١٦ــ٣١ .

(٩١) جريدة فتى العراق ، العدد ١١١٨ (١١ ايار ١٩٤٦) .

(٩٢) جريدة فتى العراق ، العدد ١١٦٩ (٤ تشرين الثاني ١٩٤٦) .

الحاج ذنون عن الخشابين وايوب حسن الشهواني عن الصفارين وسليمان خروفة عن الصياغ واحمد حداد عن الحدادين[٩٣] .

وساهم علماء الدين في الموصل في الاحتجاج ، فقد ارسل مفتي الموصل حبيب العبيدي[٩٤] برقية الى جمال الحسيني ، ابدى فيها استعداده هو وزملاؤه بان يكونوا في الصف الاول عند اعلان الجهاد المقدس كما ارسل العبيدي برقية احتجاج الى رئاسة المجلس النيابي ووزارة الخارجية والسفارة البريطانية والمفوضيات الاجنبية والصحف البغدادية ... اوضح فيها ان العرب وتقاليدهم من حب الصداقة والصدق والاخلاص والوفاء وكره الخيانة والخداع ، هي من اسباب إخفاقهم في ميادين السياسة ، واشار الى امكانية العرب في سحق الجيش الصهيوني غير الرسمي ومن ورائهم المسلمون ومسيحو الشرق[٩٥] ، وعقب علماء الدين في الموصل من أئمة وخطباء ومدرسين على احتجاج مفتي الموصل ببرقية عدّوا فيها قرار اللجنة مخالفا للحق والحقيقة والذي يجب شرعا على كل مسلم ان يقاومه بكل قواه[٩٦].

وشهدت الموصل اضرابا عاما ، بمناسبة الذكرى السنوية لصدور وعد بلفور المشؤوم ، فقرر الاضراب في الساعة (٦) صباحا من يوم السبت الثاني ١٩٤٦ حيث انطلق ...[٩٧].

---

(٩٣) محمد حبيب العبيدي ، مواليد الموصل ١٨٨٢ ، خريج المدرسة الرشدية العثمانية ، حصل على الاجازة العلمية ، اختير نائبا عن الموصل ١٩٢٧ ، ١٩٣٢ ، مفتي الموصل من ١٩٢٢ حتى وفاته في ١٩ تشرين الاول ١٩٦٣ ، له مؤلفات عديدة منها : الفتوى الشرعية في جهاد الصهيونية وصدى الحقيقة ، انظر : المختار ، علماء الموصل ، ص ٤٩ ؛ احمد الفخري ، ذكرى حبيب ، ديوان السيد احمد حبيب العبيدي ، الموصل ، ١٩٦٦) ص ٢ .

(٩٤) جريدة فتى العراق ، العدد ١١٢٠ (١٣ ايار ١٩٤٦) .

(٩٥) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

(٩٦) جريدة فتى العراق ، العدد ١١٦٩ (٤ تشرين الثاني ١٩٤٦) .

(٩٧) لتفاصيل انظر : خمار ، الموجز في تاريخ ، ص‌ص١٠٧ – ١٠٩ ، ١١١–١١٢

مشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٧ :

احالت بريطانيا قضية فلسطين على الجمعية العامة للامم المتحدة في الثاني من آيار ١٩٤٧ ، فقررت الجمعية بدورها في جلسة استثنائية في ١٥ آيار ١٩٤٧ ، تشكيل لجنة خاصة للامم المتحدة بشأن قضية فلسطين ، مؤلفة من ممثلي (١١) دولة ، فقدمت اللجنة تقريرها الى هيئة الامم المتحدة ، اقرت فيه تقسيم فلسطين الى ثلاثة اقسام : دولة عربية وتتألف من الجليل الغربي ونابلس والخليل وجبال القدس وغور الاردن والسهل الساحلي بين اسدود والحدود المصرية ، ودولة يهودية تتألف من الجليل الشرقي ومرج بن عامر والقسم الاكبر من السهل الساحلي والنقب ، ومنطقة دولية تتألف من القدس وبيت لحم ، فيما بذلت الولايات المتحدة الامريكية جهدها وسخرت امكانياتها للتصويت بجانب مشروع لجنة التحقيق الدولية في اثناء عرضه للتصويت على الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، اذ فاز باغلبية الاصوات[٩٨] .

تمثلت اصداء تقسيم فلسطين ١٩٤٧ في الموصل ، بعد اجتماع جماهيري في الجامع الكبير والتظاهر وابراق البرقيات الاحتجاجية ، وتسطير المقالات الافتتاحية والسياسية في الصحف الموصلية ، فقد تم تشكيل لجنة[٩٩] لاجتماع الجامع الكبير (يوم فلسطين) في الثامن من ايلول ١٩٤٧ وبمساهمة اعضاء الهيئة العليا لحزب الاستقلال فرع الموصل ، الذين اخذوا على عاتقهم المحافظة على النظام وحملوا اشارات على اكتافهم كتب عليها جنود فلسطين[١٠٠] .

---

(٩٨) تألفت لجنة الاجتماع من السادة : عبدالله النعمة وجمال المفتي واحمد الجليلي وسالم نامق وفريد الجادر وعبدالاحد عبدالنور وحمدي جلميران ورؤوف الشهواني ومتي سرسم انظر : جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٥٣ (١١ أيلول ١٩٤٧) .

(٩٩) جريدة فتى العراق ، ١٢٥٣ (١١ أيلول ١٩٤٧) .

(١٠٠) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

افتتح الاجتماع بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، القى بعدها عبدالله النعمة كلمة افتتاحية بليغة عززها آيات قرآنية واحاديث نبوية شريفة ، موضحا ان الغرض من الاجتماع ، هو اظهار شعور الموصليين تجاه فلسطين وابداء استنكارهم لتوصيات اللجنة الدولية ، مؤكدا بان نيل المطالب تأتي من اتحاد كلمة العرب والتوكل على الله ، اعقبه الخوري سليمان الصائغ بخطاب اكد فيه ان الامة العربية باسلامها ومسيحها تستنكر التوصيات ، وان فلسطين حق تراثي للامة العربية ، ففيها يتعانق الهلال والصليب ، وبعد استعراضه لتاريخ فلسطين ، والتذكير بمشاركة اهل الموصل في القتال الى جانب عماد الدين زنكي في فلسطين ، اختتم كلمته بالدعوة الى حقن الدماء بالعدل والاصغاء الى المسلم في جامعه والمسيحي في كنيسته ، يطالبون بحقهم بروح المسالمة(١٠١).

والقى المحامي حازم المفتي معتمد حزب الاستقلال في الموصل ، خطابا اكد فيه ان مشكلة فلسطين مشكلة العرب والانسانية ، فهي القلب النابض في جسم الامة العربية ، فاذا اسكت القلب اسكت صوت العرب في مشارق الارض ومغاربها ، وهي تمثل ابشع صورة لطغيان الاستعمارين الانكليزي والامريكي ، وهي صفحة سوداء في تاريخ الامتين وفي تاريخ الدولتين ، واختتم خطابه بالتحذير من ان فلسطين هي الخط الاول في جبهة دفاع العرب ، فاذا انهارت فلسطين ، انهارت بلاد العرب واحدة بعد الاخرى(١٠٢).

وتقدم الاجتماع المحامي نوئيل رسام بخطاب اكد فيه ان طريق التحرر من الاستعمار تعترضه الصعاب والعوارض ، وعدم سلوكه يعني العبودية والاحتقار ، وان الثقة بالاستعمار بعد اليوم رعونة ليس من بعدها رعونة ، ودعا رسام العرب بالكف عن النواح والاستجداء والتباطؤ ، والكف عن

---

(١٠١) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

(١٠٢) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

الصبر ، لانها مضيعة للوقت المكتسب لهم ، واختتم خطابه بالتأكيد على التضامن مع عرب فلسطين في نضالهم[١٠٣].

واختتم الاجتماع احمد الجليلي بكلمة اكبر فيها شعور الجماهير ونبل عواطفهم ازاء قضية فلسطين ، ثم تلا نص برقية لجنة الاجتماع المرسلة الى هيئة الامم المتحدة والسفارة العراقية في واشنطن والهيئة العربية العليا في القدس وجريدة الاهرام المصرية ورؤساء بعض الدول ورؤساء حكوماتها ووزراء خارجية وسفارات وقنصليات الدول في العراق جاء فيها :

« اجتمع الوف من الشعب الموصلي المتحمس في الجامع الكبير ، مستنكرين قرار لجنة التحقيق الغاشم المخالف لمبادىء الحق والعدل ، التي تنادي بها هيئة الامم المتحدة ، تنفيذ القرار سيؤدي الى ثورة دامية كبرى في الشرق الاوسط والى التمادي في الاستهتار بحقوق الشعب العربي ، نحذر الدول الكبرى من المغبة السيئة التي تهدد الامن والسلام »[١٠٤].

ونيابة عن لجنة الاجتماع شكر احمد الجليلي الجماهير على تلبية دعوة الاجتماع مؤكدا ان اجتماع هذه الالاف دليل على تحمس اهل الموصل للخطورة التي وصلت اليها القضية الفلسطينية ، وانه اذا ما نفذت توصيات لجنة التحقيق ، فسوف تعاد مأساة الاندلس بصورة ابشع واعم ، وان الكارثة اذا وقعت فسوف لا يكون في المستقبل من يستطيع ان يقول انا عربي[١٠٥].

---

(١٠٣) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

(١٠٤) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

(١٠٥) اقترحت الجماعة العربيةإعادة تشكيل الهيئة العربية العليا في القدس من الشخصيات ورؤساء الاحزاب في فلسطين بعد ان حلتها السلطات البريطانية على اثر ثورة ١٩٣٦ في فلسطين ، وكان للهيئة دورا مهما في احداث فلسطين ... انظر : دروزة ، حول الحركة العربية ، مجلد (٢) الجزء (٤) ، ص ٣٩ .

ارسلت الهيئة العربية في القدس[١٠٦] ، برقية شكر جوابية ، تشكر فيها لجنة الاجتماع الجماهيري في الموصل ، باسم عرب فلسطين العواطف الاخوية والتأييد الكامل الذي يبديه العراق دائما لعرب فلسطين وقضيتها التي هي قضية كل عربي مسلم[١٠٧].

وتواصلا وتضامنا مع فلسطين ، انطلقت تظاهرة طلابية من المدرسة الاعدادية يوم السبت من كانون الثاني ١٩٤٨ ، لاظهار مشاعرهم وتضامنهم تجاه فلسطين واستنكارا لقرار التقسيم الجائر ، اذ القيت الخطب الحماسية تخللتها الهتافات بحياة فلسطين ، توجهت التظاهرة الطلابية الى متصرفية لواء الموصل ، حيث القى متصرف اللواء (المحافظ) مصطفى اليعقوبي كلمة استنكر فيها قرار تقسيم فلسطين ، وحث على وجوب التضامن وبث الروح الوطنية ، واشار الى عزم الحكومة العراقية لمعالجة قضية فلسطين[١٠٨].

التبرعات :

تشكلت (لجنة جمع التبرعات لانقاذ فلسطين)[١٠٩] وانتخبت اللجنة من بينها لجنة الاكتتاب بجمع التبرعات من : احمد الجوادي رئيسا ومحمود النائب نائبا للرئيس ومحمود الجلبي سكرتيرا وبشير مراد محاسبا ، فقررت اللجنة تشكيل لجنة فرعية واجبها القيام بالاعمال التمهيدية والدعاية منهم : محمود النائب ومحمود الجليلي وبشير مراد وابراهيم الجلبي . واتخذت

---

(١٠٦) جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٥٤ (١٥ ايلول ١٩٤٧) .
(١٠٧) مجلة الالهام ، العدد ٩ (كانون الثاني ١٩٤٨) .
(١٠٨) تشكلت لجنة جمع التبرعات لانقاذ فلسطين من السادة : احمد الجوادي وعبدالله النعمة والمطران اسطيفان كجو وخير الدين العمري ونجيب الجادر ومصطفى الصابونجي ونعمان الدباغ وصالح حديد وبكر الخياط وعبدالقادر زكريا ومحمود الجلبي وابراهيم الجلبي ومحمد صديق المحامي وبشير مراد ومحمود النائب وعبدالرزاق الحاج يونس انظر : جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٨٣ (٢٩ كانون الاول ١٩٤٧) .
(١٠٩) جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٨٣ (٢٩ كانون الاول ١٩٤٧) .

اللجنة مقرها في دائرة بلدية الموصل[١١٠] . فيما افتتحت جمعية الهلال الاحمر فرع الموصل اكتتاب لجمع التبرعات ، فقد افتتح الاكتتاب رئيس الفرع خير الدين العمري بـ (٥٠٠) دينار[١١١].

دعت لجنة انقاذ فلسطين الى عقد اجتماع في القاعة الاعدادية (الشرقية حاليا) مساء الخميس الموافق ١٢ شباط ١٩٤٨ ، لغاية جمع التبرعات لانقاذ فلسطين[١١٢] وتبرع في الاجتماع محمد نجيب الجادر بـ (١٫٢٠٠) دينار وتبرع محمد توفيق الجادر بـ (٥٠) دينارا[١١٣].

وتألفت لجنة فرعية نسائية لانقاذ فلسطين من عقيلات : خير الدين العمري وعبدالله نشأت ومتي سرسم ومجدي النائب والانسات : كريمة مصطفى الصابونجي ومثيلة الدباغ وخديجة الخالدي ، وتمكنت اللجنة من جمع تبرعات ما قيمته (٩٩٤٫٦٠٠) دينارا وليرة ذهبية[١١٤] . فيما تمكن فرع جمعية حماية الاطفال في الموصل من جمع (٢٫٢١٠٫٨٥) دينارا وليرة ذهبية عثمانية وجهاديان ذهبيان وخاتم ذهبي[١١٥].

وكانت البرقيات الاحتجاجية احدى وسائل التعبير عن السخط والاستنكار لقرار التقسيم ، اذ انهالت البرقيات على هيئة الامم المتحدة ، وامانة الجامعة العربية واللجنة العربية العليا في القدس والسفارة العراقية في واشنطن ورئيس الوزراء ووزير الخارجية ومديرة الدعاية العامة في بغداد والسفارة البريطانية والمفوضيات الاجنبية والسفارات العربية وصحف

(١١٠) جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٨٣ (٢٩ كانون الاول ١٩٤٧) .
(١١١) جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٩٥ (١٠ شباط ١٩٤٨) .
(١١٢) جريدة نصير الحق ، العدد ٥١٥ (٢٦ شباط ١٩٤٨) .
(١١٣) جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٩١ (٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨) .
(١١٤) جريدة فتى العراق ، العددان ١٣٠٤ (١١ آذار ١٩٤٨) ؛ ١٣٠٧ (٢٣ آذار ١٩٤٨) .
(١١٥) للاطلاع تفصيلا على المضمون الكامل للبرقيات ، انظر : جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٥٣ (١١ ايلول ١٩٤٧) .

فقد استنكر علماء الدين في الموصل ببرقيتهم توصيات لجنة التحقيق واكدوا ان الاخذ بها يتناقض مع ما جاءت به الاديان محذرين العالم المتمدن من وقوع معارك دموية وثورات تهدد السلم في الشرق الاوسط ، وذيلت البرقية بتوقيع (٢٥) عالما دينيا[١١٦].

وابرق أعضاء غرفتي الزراعة والتجارة في الموصل ، مستنكرين التوصيات ومؤكدين ان الاخذ بها اهدار لحقوق العرب ، كما اكد الوجهاء والتجار في برقيتهم عروبة فلسطين على الرغم من طروحات اللجان ووقع البرقية (٥٥) شخصا واعلن رؤساء واصحاب المهن والاصناف في برقيتهم وبتوقيع (٥٣) شخصا ان العرب لن يرضوا باي قرار يقضي بتقسيم فلسطين وانهم على استعداد للدفاع عنها بالارواح والاموال[١١٧].

واعلن الاطباء والصيادلة في الموصل في برقيتهم ، ان الاخذ بتوصيات اللجنة هو تأييد للصهيونية ، واهدار لحقوق العرب واخلال بالأمن العام ، وكانت البرقية بتوقيع (٣٢) شخصا ، كما ابرق اعضاء المجالس (البلدي والاداري واللواء) برقيات استنكروا فيها التوصيات ، محذرين الهيئات الدولية من طعن السلام وهدر حقوق العرب ، فيما اذ اخذت التوصيات ، والذي تعني اذكاء واقلاق الامن[١١٨].

حرب فلسطين ١٩٤٨ :

اعلن عرب فلسطين الاضراب العام ، وانتشرت التظاهرات ووقعت المصادمات بين العرب واليهود في حيفا ويافا والقدس ، وتطور الموقف لصالح اليهود منذ اواسط اذار ١٩٤٨ ، حينما قررت بريطانيا وقف الادارة المدنية وتصفيتها ، والانسحاب من كل ابيب والمناطق اليهودية وتسليمها لليهود ، وتزويدهم بالسلاح الثقيل ، فارتكب اليهود في العاشر من نيسان ١٩٤٨ ،

---

(١١٦) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .
(١١٧) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .
(١١٨) ادروزة ، حول الحركة القومية ، مجلد (٢) ص ١٢٦ ، ١٢٩ .

مجزرة دير ياسين ، فتكوا خلالها بنحو (٢٥٠) من اهلها بلا تفريق والتمثيل بهم ، اعقبوها بمجازر اخرى ، كان من نتائجها نزوح وتشريد الفلسطينيين تحت انظار الحكومة البريطانية ومسؤوليتها[(١١٩)].

الاضراب الطلابي :

تجاوبت الجماهير الطلابية مع القضية الفلسطينية وتطوراتها ، من خلال القيام بالتظاهر واعلان الاضراب عن الطعام الى حين تحقيق الاهداف المرجوة منه ، فقد انطلقت تظاهرة طلابية في ٢٥ نيسان ١٩٤٨ ، اشترك فيها طلاب مدارس الموصل ، على الحوادث التي حلت بفلسطين ، وقد تخللت التظاهرة الخطب والهتافات بحياة فلسطين وبسقوط الصهيونية[(١٢٠)].

اعلن طلاب اعدادية الموصل الساعة (١٢) ظهرا من يوم الاثنين ٢٦ نيسان ١٩٤٨ ، عن اعتصامهم في بناية المدرسة (الشرقية حاليا) واضرابهم عن الطعام حتى الموت او تحرك الجيوش العربية لتحرير فلسطين ، تضامنا مع اخوانهم طلاب بغداد الذين سبق أن اعلنوا اضرابهم عن الطعام[(١٢١)]. اذ توزع الطلاب على الصفوف وفي حدائق المدرسة وفي القاعة الكبيرة المخصصة للتمثيل والخطابة ، بعد ان خطب فيهم الطالبان غانم حمودات وعبدالباسط يونس ، تم غلق الباب الرئيسي للمدرسة[(١٢٢)].

---

(١١٩) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٧ (٢٧ نيسان ١٩٤٨) .

(١٢٠) مقابلة مع غانم حمودات ، مدرس الاعدادية الشرقية ، الموصل ٣ ايار ١٩٨٧ .

(١٢١) مقابلة مع عبدالباسط يونس ، اديب وصحفي ، الموصل في ٢٩ نيسان ١٩٨٧ .

(١٢٢) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٧ (٢٧ نيسان ١٩٤٨) .

بعث الطلاب المضربون برقية الى ملوك الحكومات العربية وامرائهـا ورؤسائها وصحف بغداد جاء فيها « نحن طلاب اعدادية الموصل ، اضربنا عن الطعام واعتصمنا في المدرسة ، وسنستمر على الاضراب حتى تتحرر فلسطين او نموت جوعا »[١٢٣] . بعدها شكلوا قيادة للاضراب برئاسة عبدالباسط يونس وعضوية علي متعب العبيدي وعبدالرحيم الصائغ ، وصديق اسماعيل الكتبي وحازم علي السلمان ، تولت اصدار المنشورات والنداءات الى جماهير الموصل والرأي العام[١٢٤] .

اصدر طلاب اعدادية الموصل المضربون النداء الاول ، تضمن مطاليبهم بارسال الجيوش النظامية لتحرير فلسطين وقطع انابيب النفط عن حيفا ومما جاء فيه « نحن طلاب اعدادية الموصل نعلن اضرابنا ، وقد قررنا الاعتصام بالمدرسة ليلا ونهارا ، فقد نفذ الصبر ، ووصلت القلوب الحناجر ، اطفال ابرياء يذبحون كما تذبح الشياه ونساء حاملات تبقر بطونهن دون خجل او حياء ، وتهان قداسة القرآن والانجيل ونحن هنا نهنأ بطيب العيش والهدوء والحكومات العربية صامتة ... وطالما كان موقف الحكومات العربية ولا زال فيها شيء من الغموض ... سنستمر في الاضراب ، فاما الموت واما تحقيق المطاليب الاتية : « ارسال الجيوش النظامية حالا بضمنها السلاح الجوي لتحرير فلسطين ، قطع انابيب النفط عن حيفا ، ايواء المشردين من الشيوخ والأطفال والنساء الفلسطينيين في العراق»[١٢٥].

سمع اولياء امور الطلبة ، بان اولادهم قرروا الاعتصام بالمدرسة وشعروا بذلك ، عندما تأخروا بالعودة الى منازلهم ، لذلك اخذ الاهالي يتقاطرون من كل حدب وصوب للاستفسار عن اولادهم ، فامتلأت الشوارع الجانبية

---

(١٢٣) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٨ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) .
(١٢٤) جريدة النضال ، العدد ١٠ (٣٠ نيسان ١٩٤٨) .
(١٢٥) جريدة الهدى ، العدد ٦٧ (٢٨ نيسان ١٩٤٨) .

والامامية للمدرسة بالاهالي ، وبدأ الطلاب بالهتاف من الداخل بالشعارات الوطنية ، ويرددون الاناشيد الوطنية الحماسية[١٢٦].

زار متصرف لواء الموصل خليل عزمي الطلاب المضربين مساءا ونصحهم بالعدول عن قرارهم ، فاجابه الطلاب بانهم عازمون على الاستمرار في الاضراب عن الطعام حتى تتجه الجيوش العربية وفي مقدمتها الجيش العراقي لانقاذ فلسطين ، وبعد ان يئس المتصرف من اقناعهم ترك المدرسة . قام جمهور كبير من الاهالي بمظاهرة كبرى توجهت الى دار المتصرفية (المحافظة) وبعد الخطب والهتافات الحماسية ، قابل المتصرف بالنيابة عن المتظاهرين ثلاثة منهم ، فوعدهم خيرا وقال لهم بانه سيصدر بيانا بهذا الصدد[١٢٧].

واصدر متصرف لواء الموصل في ٢٧ نيسان ١٩٤٨ ، بيانا اوضح فيه بان المظاهرات والنداءات والصياح والعويل لا تجدي نفعا لقضية فلسطين داعيا الى التطوع في سبيل الدين والمجد والشرف ، مؤكدا اهتمام ملوك العرب بفلسطين ، وان القرارات اتخذت بشأنها وليس من المصلحة العامة افشاؤها ، وذكر الطلاب باجدادهم الذين كانوا يجاهدون في سبيل الله ويأكلون ويشربون وكرر دعوته للطلاب بأنهاء اضرابهم عن الطعام[١٢٨].

اجتمعت الاحزاب السياسية الثلاثة في الموصل (الاستقلال والاحرار والوطني الديمقراطي) يوم الاثنين ٢٦ نيسان ١٩٤٨ ، وكان قرارهم التوجه مجتمعين الى الطلاب المضربين في محاولة لأقناعهم بوقف الاضراب عن الطعام فقط على ان يستمروا بالاعتصام ، فاجتمع معتمدوا الاحزاب بالطلاب في قاعة المدرسة ، فتحدث قاسم المفتي وغربي الحاج احمد عن حزب الاستقلال ويوسف

---

(١٢٦) جريدة نصير الحق ، العدد ٥٤٢ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) .

(١٢٧) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٨ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) ؛ جريدة الهدى ، العدد ٦٧ (٢٨ نيسان ١٩٤٨) .

(١٢٨) جريدة النضال ، العدد ١٠ (٣٠ نيسان ١٩٤٨) ؛ جريدة نصير الحق ، العدد ٥٢٤ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) .

الحاج الياس عن الحزب الوطني الديمقراطي ، واوضحوا للطلاب انهم يقدرون شعورهم ، وباسم الاحزاب مجتمعة يؤيدون مطاليبهم التي سيرفعونها الى الجهات المسؤولة ، راجين تحقيقها ، وطلبوا باسم المصلحة العامة وشفعة على ابائهم وذويهم الكف عن الصيام ، لكن الطلاب اصروا على اضرابهم ومواصلة الصيام حتى الموت ، ورفضوا وعود الاحزاب وباتوا ليلتهم في المدرسة[١٢٩].

في صباح اليوم الثاني للاضراب ٢٧ نيسان ١٩٤٨ ، اعلنت المتوسطات (الشرقية والحدباء والغربية وكلية الموصل والفيصلية الثانوية المسائية) تضامنها مع طلاب اعدادية الموصل المضربة ، وانضمت اليهم بعد ان طافت بتظاهرة كبيرة شوارع الموصل الرئيسة ، والتحق فيما بعد طلاب الثانوية المسائية الساعة (٤) عصرا وانضموا الى الطلاب المضربين بعد توجيه النداء لهم بالحضور[١٣٠].

بعثت المدارس المتوسطة الملتحقة بالاضراب ، بمذكرة الى صحف بغداد والموصل باسم (مذكرة الى الشعب) عتبت عليها التهريج لعشاق المنصب والجاه وترك الخطابات المفتوحة واهمالها فلسطين ، مما جاء فيها « العواطف الجياشة نحو الاخوة في فلسطين هزت الطلاب الى توجيه خطابات مفتوحة الى الصحف التي هي لسان الامة والمعبر عن امانيها ... ومن المؤسف انشغال اغلب صحف العراق ، بالتهريج لهذ او ذاك من عشاق المنصب والجاه العريض تاركة الخطابات مهملة ... فبرهنت انها صنيعة لاناس همتهم مصالحهم الخاصة فجعلوها ابواقا ينفخون بها لاغراضهم ومطامعهم ... »[١٣١]

---

(١٢٩) عباس الزبدي ، « طلبة الموصل ودورهم في بث الوعي القومي ١٩٠٨–١٩٦٣ » ، مجلة الشعب (الموصل) العدد ٢ (١ ايلول ١٩٧٨) ؛ جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٧ (٢٧ نيسان ١٩٤٨) ، جريدة النضال العدد ١٠ (٣٠ نيسان ١٩٤٨) .

(١٣٠) جريدة نصير الحق ، العدد ٥٥٤ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) .

(١٣١) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٧ (٢٧ نيسان ١٩٤٨) ؛ جريدة الهدى العدد ٦٧ (٢٨ نيسان ١٩٤٨) .

كما ارسل طلاب المتوسطة الشرقية برقية عن بقية المتوسطات الى رئيس الوزراء ووزير المعارف والصحف المحلية ومحطة دمشق للاذاعة العربية ، جاء فيها « نحن طلاب المتوسطة الشرقية بالموصل اضربنا عن الطعام والدراسة حتى الموت او تزحف الجيوش العربية لانقاذ فلسطين »(١٣٢).

اصدر الطلاب المضربون في ٧ نيسان ١٩٤٨ ، النداء الثاني ، اعلنوا فيه عن انضمام طلاب المتوسطات لهم في الاعتصام والاضراب عن الطعام ، والتأكيد على المطالبة السابقة لهم ، ومما جاء في النداء « ... اننا سنستمر على الاضراب الى ان تحقق مطالبنا الا وهي انقاذ فلسطين من براثن الصهيونية ، ونود ان نذكر الشعب ان البلاد التي بشر فيها المسيح (عليه السلام) بالسلام واسرى محمد (صلى الله عليه وسلم) في ليلة الاسراء ، لا ينقذها الا المال والسلاح يا ابناء الحدباء ... إن ابنائكم يبكون فلسطين ، وليس لديهم الا مشاركة اخوانهم المهاجرين والمضطهدين في الجوع والنوم في العراء ، وعليكم ان تقدموا المال والسلاح في سبيل انقاذ فلسطين »(١٣٣).

أصدرت فروع الاحزاب ، بيانا وزع على الاهليين تحدث عن الاتصال بطلاب الاعدادية والمتوسطات المضربين عن الطعام والمعتصمين في مدرستهم فكان رأيهم « ان موقف الطلاب موقفا وطنيا مشرفا يتفق مع تقاليدهم الوطنية ، التي كانت ولا تزال تظهر في مختلف ازمات الوطن .. » وناشد البيان «باسم الوطنية والمصلحة العامة ورحمة بذويهم ... ان يكفوا عن الصيام فقط على أن يستمروا بالمطالبة بتحقيق اماني البلاد وخدمة فلسطين ... »(١٣٤).

زار مدير معارف لواء الموصل الطلاب المضربين والقى فيهم كلمة شرح فيها موقف الحكومة من فلسطين ، ونصحهم بالعدول عن الاضراب حرصا

---

(١٣٢) انظر : نص (النداء الثاني عن طلاب اعدادية الموصل) في ملحق رقم (٢) .
(١٣٣) جريدة نصير الحق ، العدد ٥٤٢ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) .
(١٣٤) الزيدي ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ؛ جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٧ (٢٧ نيسان ١٩٤٨) .

على صحتهم ، فرفضوا النصيحة[١٣٥] . وفي الساعة الثامنة مساءا استمع الطلاب بيان لجنة الاضراب العليا في بغداد ، وبالنظر لتأثير الاضراب عن الطعام على الطلاب لمدة (٤٨) ساعة ، تقل اكثر من (١٥) طالبا الى المستشفى الملكي في الموصل[١٣٦] . لذا اصدر الطلاب المضربون النداء الثالث ، اعلنوا فيه رفع الاضراب عن الطعام على ان يستمر الطلاب بالاضراب عن الدراسة والاعتصام بالمدرسة[١٣٧] . واصدروا النداء الرابع في ٢٨ نيسان ١٩٤٨ ، اتهموا فيه الهيئة التدريسية في الموصل بعدم مشاركتهم مشاعرهم تجاه فلسطين مؤكدين الاستمرار بالاضراب والاعتصام بالمدرسة لحين تحقيق مطاليبهم[١٣٨]

اعلنت الحكومة العراقية عن موقفها تجاه فلسطين المتمثل بتوجيه جيش عبر الاردن للتهييء عبر الحدود الفلسطينية ، والدخول فيها حال انسحاب القوات البريطانية منها ، فعد هذا حلا لانهاء الاضراب ، لذا اجتمع طلاب الموصل المضربون في ساحة الاعدادية ، اذ اعلن الطالب عبدالباسط يونس عن انهاء الاضراب والخروج بمظاهرة تطوف شوارع الموصل ، بعد مضي اربعة ايام على الاضراب[١٣٩] . وتأكد هذا بالنداء الخامس والاخير الصادر عن الطلاب المضربين عاهدوا فيه بالجهاد في سبيل الوطن والاستعداد للتضحية بجميع انواعها عند نداء الواجب الوطني المقدس[١٤٠].

انطلقت التظاهرة الساعة (٤) مساءا من يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٨ من بناية اعدادية الموصل ، فشارع الملك فيصل الاول (العدالة) وشارع الملك غازي

---

(١٣٥) جريدة الهدى ، العدد ٦٧ (٢٨ نيسان ١٩٤٨) .
(١٣٦) جريدة النضال ، العدد ١٠ (٣٠ نيسان ١٩٤٨) .
(١٣٧) انظر : نص النداء الرابع « طلاب الموصل يستصرخون اصحاب الضمائر الحية » في ملحق رقم (٣) .
(١٣٨) مقابلة مع عبدالباسط يونس ، الموصل ، ١٠ ايار ١٩٨٧ .
(١٣٩) انظر : نص النداء الخامس « طلاب الموصل ينهون اضرابهم » في الملحق رقم (٤) .
(١٤٠) مقابلة عبدالباسط يونس ، الموصل ١٠ ايار ١٩٨٧ ؛ مقابلة غانم حمودات ، الموصل ٥ ايار ١٩٨٧ .

(الثورة) فشارع نينوى وصولا الى منطقة رأس الجادة حيث تفرقت هناك[141].

تشكل جيش الانقاذ من المتطوعين العرب ، اخذ على عاتقه مع خلايا تنظيمية اخرى مقاومة اليهود قبل زحف الجيوش العربية ، وغادر المندوب السامي البريطاني ميناء حيفا منتصف ليلة ١٥ ايار ١٩٤٨ ، معلنا نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين ، وفورا اعلن اليهود عن قيام دولة (اسرائيل) ، فيما زحفت الجيوش ليلة ١٤/١٥ من ايار ١٩٤٨ لانقاذ فلسطين[142].

اصدر الشباب القومي في ١٥ ايار ١٩٤٨ ، نداءا موجها الى ابناء الحدباء جاء فيه « ... ان المتطوعين العرب سيزحفون لاحتلال البلد العربي المقدس وتطهيره من شراذم اليهود ، وان الشباب القومي .. ليناشدكم ان تشاركوا المجاهدين احساسهم واللاجئين شعورهم وذلك بالكف عن اذاعة الاغاني والاسطوانات .. فاليكم ... ايها الاخوان اصحاب المقاهي والملاهي نوجه هذا النداء راجين الكف عن اذاعة الاغاني ، والانصات الى القرآن الكريم ونشرات الاخبار والاحاديث والاناشيد الوطنية والتواشيح النبوية ، عاشت فلسطين عربية حرة مستقلة ، الموت للصهيونية المجرمة والاستعمار »[143] .

اعلنت الاحكام العرفية في جميع انحاء العراق ، بدءا من ٢١ آيار ١٩٤٨ لذا اصدر اللواء قائد القوات العسكرية العرفية للمنطقة الاولى ومن ضمنها الموصل ، امرا بمنع التجمعات المظاهرات ، بناء على اقتضاء المصلحة العامة ، وذلك تيجة تطورات قضية فلسطين[144].

---

(١٤١) هيئة الموسوعة ، ص ١١٣ ؛ خمار ، الموجز ، ص‌ص ١١٥ ، ١١٧ .

(١٤٢) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٢ (١٨ ايار ١٩٤٨) ؛ جريدة النضال ، العدد ١٥ (١٧ ايار ١٩٤٨) .

(١٤٣) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

(١٤٤) جريدة نصير الحق ، العدد ٥٢٨ (٥ مايس ٥٢٨) .

وصل الى الموصل في ٢١ ايار ١٩٤٨ ، قادما من بغداد وفد يمثل علماء بغداد منهم : امجد الزهاوي وفؤاد الالوسي ومحمد القزلجي وعبدالقادر خطيب الاعظمية ، فاقيم لهم في ٢٢ ايار ١٩٤٨ ، حفل في قاعة الاعدادية ، القى فيه بعض المواعظ والخطب في سبيل مساعدة فلسطين وانقاذها ، حضر الاحتفال خليل عزمي متصرف لواء الموصل وابراهيم الواعظ رئيس محكمة الاستئناف وخير الدين العمري رئيس البلدية[١٤٥].

التبرعـات :

كانت التبرعات احدى الوسائل للتعبير عن عمق الوعي القومي لاهالي الموصل تجاه فلسطين ، التي عبرت عنها بشتى الوسائل وحسب الامكانات ، قد بلغت الاكتتابات في لواء الموصل نحو (٥٠٦ر٥١٠ر١٣) دينارا بما في ذلك اقضية الشيخان ودهوك والعمادية وزاخو وتلعفر وسنجار[١٤٦].

وتقرر اشتراك لجنة جمع التبرعات لانقاذ فلسطين وفروع جمعية الهلال الاحمر وجمعية حماية الاطفال وجمعية انقاذ فلسطين في الموصل ، لجمع الاموال والاقمشة ، والقيام عاجلا بخياطة الملابس وايصالها الى اللاجئين الفلسطينيين ، لذا صدر نداء (من لجنة الاتحاد العام الى اهالي الموصل) ، اهاب فيه الموصليين للتبرع بالمال والقماش ، وايصاله الى دائرة بلدية الموصل المتخذة مقرا[١٤٧] ، واجتمع لفيف من السيدات في بناية جمعية حماية الاطفال في ١٨ ايار ١٩٤٨ ، ووجهت عقيلة رئيس البلدية نداء طلبت فيه مساهمتهم في نجدة

---

(١٤٥) جريدة نصير الحق ، العدد ٥٢٤ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) ؛ للاطلاع على قوائم التبرعات انظر : نصير الحق العدد ١٢٩١ (٢٦ كانون الثاني ١٩٤٨) والاعداد اللاحقة .

(١٤٦) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢١ (١١ ايار ١٩٤٨) ؛ جريدة نصير الحق ، العدد ٥٢٦ (٢٣ ايار ١٩٤٨) .

(١٤٧) جريدة نصير الحق ، العدد ٥٢٨ (٢٥ مايس ١٩٤٨) ؛ جريدة النضال ، العدد ١٦ (٢١ ايار ١٩٤٨) .

عرب فلسطين ، وذلك في التعـاون في خياطـة الملابس لتقديمهـا الى المعوزين والمهاجرين منهم ، ومما يذكر ان جمعية الهلال الاحمر قد قدمت (١٠٠) طـول من القماش لهذه الغاية[١٤٨].

ساهمت مديرية معارف لواء الموصل في انقاذ فلسطين ، فقد تـداول فخر الدين العبيدي مدير معارف لواء الموصل مع خير الدين العمري معتمـد فرع جمعية الهلال الاحمر ، وعقد اجتماعا مع مديريات مدارس المركز في ٢٠ ايار ١٩٤٨ واعطاهم التوجيهات ، منها الاستفادة من معروضات المعـرض السنوي ١٩٤٨ لمعونة منكوبي فلسطين وقيام كل مدرسة بالعمل الذي تنسبه لها الجمعيات الخيريـة من خياطة ، وحث الطالبـات بالتبـرع بما لديهن مـن الالبسة ، وقيام كل مدرسة بتشكيل لجنة من المديـرة ومعلمتين لغرض جمـع اشغال الطالبات ، وجمع ما يتبرعن به من ملابسهن وتسـليمها الى جمعيـة الهلال الاحمر بالموصل[١٤٩].

وتبرع عبدالقادر الحاج شريف وشركاؤه وعبدالرحمن الرزقي بـ (١٥) طولا من القماش[١٥٠] وتبرع محل الحاج هاشم يونس واخوانه بـ (٥٠) طولا من القماش لخياطتها[١٥١] وتبرعت عائلة نجيب الجادر بـ (٥٥) طولا مـن القماش وما قيمته (١٠٠) دينار[١٥٢] ، الى لجنة اسعاف فلسطين المتحدة التي تقدمت بها الى خياطي الموصل على اختلاف اصنافهم لقيامهم بخياطة الملابس ، لغرض تجهيزها لعرب فلسطين[١٥٣] ، فقد وصلت الى الموصل بعد منتصـف حزيران ١٩٤٨ ، عائلات فلسطينية مشردة تم إيواؤهـا في بناية المستشفى

---

(١٤٨) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٤ (٢٥ ايار ١٩٤٨) .
(١٤٩) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .
(١٥٠) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٦ (١ حزيران ١٩٤٨) .
(١٥١) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٩ (١٢ حزيران ١٩٤٨) .
(١٥٢) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٤ (٢٥ ايار ١٩٤٨) .
(١٥٣) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٢ (٢٢ ايار ١٩٤٨) .

القديم ، من قبل جمعية الهلال الاحمر فرع الموصل[١٥٤] . فيما وصل الى الموصل في شهر ايلول ١٩٤٨ ، (٥٠٠) لاجيء فلسطيني ، لذا تم تأليف لجنة للقيام بايوائهم والاهتمام بشؤونهم برئاسة خير الدين العمري رئيس البلدية وعضوية سليم حيفي ومحمد علي سعيد وابراهيم ناجي جمال الدين وحمدي شريف[١٥٥].

كانت الجهود مثمرة ، من خلال تفرغ السيدات والانسات ومديرات ومعلمات المدارس ، بتفصيل وخياطة الاقمشة للاطفال والنساء ، فضلا عن تبرع الخياطين بخياطة الملابس والقمصان الرجالية . لذا وجه متصرف لواء الموصل خليل عزمي كتاب شكر وتقدير الى فرع جمعية حماية الاطفال للجهود المشكورة التي بذلتها المرأة الموصلية في سبيل فلسطين من جمع الاموال وحماية ظهر الرجولة العربية[١٥٦].

وقرر المجلس البلدي بالموصل استيفاء ثمن طوابع فلسطين من دور السينما والمسرح ذات (٢ ، ٣ ، ٤) فلوس نقدا والاكتفاء بوضع ختم البلدية على البطاقات مؤقتا لنفاذ الطوابع ولحين ورودها[١٥٧].

وطلبت لجنة انقاذ فلسطين من المراجع المختصة في بغداد ، تزويدها ما قيمة (٥٠٠٠) دينار من *الطوابع الجديدة الخاصة بفلسطين كدفعة اولى*[١٥٨] .

---

(١٥٤) جريدة نصير الحق ، العدد ٥٤٣ (٢٨ ايلول ١٩٤٨) .

(١٥٥) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٩ (١٢ حزيران ١٩٤٨) ؛ جريدة نصير الحق العدد ٥٢٦ (١٣ ايار ١٩٤٨) .

(١٥٦) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .

(١٥٧) جريدة الاديب ، العدد ٢٣٥ (٢٤ حزيران ١٩٤٨) .

(١٥٨) تأسست جمعية انقاذ فلسطين ومركزها العام في بغداد في كانون الاول ١٩٤٨ ، من اهدافها انقاذ فلسطين من الصهيونية عن طريق جمع المال والتبرعات والتعاون مع المؤسسات داخل وخارج العراق ، وبث الدعوة لنصرة فلسطين والاستعانة بوسائل النشر والاعلان .. انظر : هيئة ، الموسوعة ، ص ٣١ .

وطلبت مديرية المعارف العامة من كافة مديري الالوية ضرورة الصاق طابع فلسطين على الاستمارات التي تمنح عادة الى الطلاب الناجحين والاكمال التي تدرج فيها نتائج الامتحانات العامة ولمختلف الصفوف ، وذلك لمساعدة فلسطين ومساهمة طلاب المدارس[١٥٩].

وجهت لجنة انقاذ فلسطين[١٦٠] في الموصل ، نداءا الى اهالي الموصل لتقديم ما لديهم من اسلحة وعتاد ، سواء على سبيل البيع او الاهداء[١٦١] وكان قد تبرع مصطفى الصابونجي بمبلغ (١٠٠٠) دينار لمشروع شراء الاسلحة والعتاد[١٦٢] ، وتبرع رئيس عشيرة الجحيش احمد الطه برشاشة برنو مع عتادها البالغ (١٠٠) اطلاقة وخمسة مخازن الى مجاهدي فلسطين ، وتبرع الشيخ محمود آغا الزيباري بـ (٥) بنادق[١٦٣] ، واستطاعت لجنة انقاذ فلسطين من شراء كثير من الاسلحة في لواء الموصل بمعونة بعض المجاهدين من اهل الخبرة ، وتم ارسال قسم منها الى مقر قيادة جيش التحرير لايصالها الى جبهات القتال[١٦٤] .

شملت التبرعات العينية مختلف القطاعات في الموصل ، فقد قدم حمدي قاسم البقال صندوقين من اليابسة والحلويات لارسالها بواسطة الهلال الاحمر

---

(١٥٩) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٧ (٢٧ نيسان ١٩٤٨) ، جريدة الهدى العدد ٨٠ (٢٠ حزيران ١٩٤٨) .

(١٦٠) جريدة فتى العراق ، العدد ١٢٩١ (٦ كانون الثاني ١٩٤٨) .

(١٦١) جريدة الاديب ، العدد ٢٣٥ (٢٤ حزيران ١٩٤٨) ، ويذكر ان التبرعات للجيش المحارب في فلسطين شملت تبرعات البنك العربي في بغداد والموصل ، وتنوعت التبرعات العينية فشملت السكر والجوز والزبيب والسكائر ، انظر للتفاصيل مثلا : جريدة الهدى ، العدد ٧٧ (٩ حزيران ١٩٤٨) .

(١٦٢) جريدة النضال ، العدد ٣ (٥ نيسان ١٩٤٨) .

(١٦٣) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٤ (٢٥ ايار ١٩٤٨) .

(١٦٤) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٩ (١٢ حزيران ١٩٤٨) .

الى المجاهدين في فلسطين[١٦٥] ، وتبرع حسن الشكرجي بصندوقين من السكر وما زنته (٢٥٠) كيلوغرام ، وسعيد محمد الحلاوجي بـ (٥) اطنان من السكر وتبرع بقالي الكمرك بـ (٢٠٠) صندوق قيسي و (١٠) اكياس موز و (١٠) اكياس زبيب قيمتها (٢٦٢) دينارا ، وتبرع التحافية واليوزبكية بمكائن حلاقة وشفرات ومناديل وصابون وفانيلات . فيما تبرع ناصر حسن الغضنفري مأمور كمرك ومكوس زاخو ، بداره التي يملكها في قرية الفاضلية[١٦٦].

اقترح مجموعة من طلاب الاعدادية في الموصل ، تكوين صنادق (الاربعة فلوس) وذلك بتخصيص صناديق تجمع فيها التبرعات لفلسطين من الفئات النقدية الصغيرة التي يجود بها الطلاب النجباء ، تتجمع بمرور الايام مبالغ لا بأس بها ، وفعلا تم العمل بالاقتراح ، وتجمعت في صناديق التبرعات مبالغ تم شراء بعض الحاجيات الضرورية ، خصصت الى اللاجئين الفلسطينيين المتواجدين في الموصل[١٦٧] . وتمكنت لجنة تبرعات موظفي المحاكم والدوائر العدلية فرع الموصل برئاسة علي مظفر الحافظ عضو محكمة استئناف الموصل[١٦٨] من جمع (١٥٠ر٣١٥) دينارا تبرعات من حكام الموصل وموظفي المحاكم والدوائر العدلية وموظفي لجان تسوية حقوق الاراضي والمحامين ، خصص المبلغ للترفيه عن افراد الجيش العراقي المحارب في فلسطين[١٦٩] .

---

(١٦٥) جريدة الهدى ، العدد ٩٣ (١٥ ايلول ١٩٤٨) .

(١٦٦) جريدة الهدى ، العدد ١٠٥ (٢٠ تشرين الاول ١٩٤٨) ؛ مقابلة غانم حمودات ، الموصل في ٣ ايار ١٩٨٧ .

(١٦٧) كتاب رئاسة محكمة استئناف الموصل ١٤٣٨ في ٢٤ حزيران ١٩٤٨ ، وثائق مركز دراسات الموصل ، جامعة الموصل .

(١٦٨) كتاب رئيس محكمة استئناف الموصل الى وزارة الدفاع ١٥٧٢ في ١٠ تموز ١٩٤٨ . وثائق مركز دراسات الموصل ، جامعة الموصل .

(١٦٩) تشكلت لجنة تسجيل المتطوعين لانقاذ فلسطين من السادة : الزعيم (العميد) المتقاعد محمد علي سعيد رئيسا وابراهيم الجلبي سكرتيرا والمقدم المتقاعد محمود خاور والرئيس الاول (الرائد) المتقاعد محمود الجراح والرئيس (النقيب) المتقاعد اسماعيل عباوي (اعضاءا) .. انظر : جريدة نصير الحق ، العدد ٥٢٤ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) .

وتمثلت ردود الفعل تجاه تطورات قضية فلسطين ، بالاعلان عن تشكيل الدولة الصهيونية في ١٥ ايار ١٩٤٨ ، بالتطوع للقتال في فلسطين ، اذ شكلت في الموصل لجنة لتسجيل المتطوعين لانقاذ فلسطين(١٧٠) فدعت اللجنة ضباط الاحتياط وضباط الصف والجنود المسرحين من صنوف المدفعية واللاسلكي لتسجيل اسمائهم لضمهم الى حظائر المدفعية وفصائل اللاسلكي التي تقرر تسفيرها الى فلسطين(١٧١).

تطوع بعض الشيوخ والرجال بانفسهم مع اسلحتهم وعتادهم للقتال في فلسطين منهم : ديوالي اغا رئيس عشائر الدوسكي مع (٥٠٠) رجل من اتباعه ، وجعفر مصطفى رئيس عشيرة في قرية بسفكي التابعة لقضاء دهوك مع (١٠٠) رجل مسلح من عشيرته ، والملازم المتقاعد سعيد حسين الانبكي مع (٧٠) رجلا مسلحا من عشائر الجبور في ناحية الشرقاط ، والشيخ نوري البريفكاني مع (١٠٠) رجل مسلح(١٧٢) ، واجتمع رؤساء العشائر الاثورية في الموصل ، مع متصرف لواء الموصل في ١٥ آب ١٩٤٨ ، وتداولوا في مسألة تشكيل جيش نظامي مع الاثوريين القادرين على حمل السلاح للقتال في فلسطين(١٧٣).

وكانت البرقيات احدى وسائل التعبير والاحتجاج ، فقد بعث مفتي الموصل حبيب العبيدي برقية احتجاج اقترح فيها ردا على اعتراف الاوساط الامريكية بالدولة اليهودية ، انه يكون رد الفعل بالاعمال الآتية : اقفال المدارس الامريكية في البلاد العربية وطرد البعثات التبشيرية الانجيلية ، والغاء امتيازات النفط . وجاء في برقية علماء الدين في الموصل ، ان الانتداب بيد مؤتمنة وتأدية الامانات الى اهلها ، من مقتضيات الشرائع السماوية ،

---

(١٧٠) جريدة النضال ، العددان ٩ ، ١٠ (٢٦ ، ١٠ نيسان ١٩٤٨) .
(١٧١) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٩ (٢ حزيران ١٩٤٨) .
(١٧٢) جريدة الهدى ، العدد ٩٠ (٢٥ آب ١٩٤٨) .
(١٧٣) جريدة فتى العراق ، العدد ١٣٢٢ (١٨ حزيران ١٩٤٨) .

فيجب شرعا وقانونا ومنطقا عودة هذه الامانة الى العرب اصحابها الشرعيين ، وايدت البرقية الجهاد المقدس الذي افتي بوجوبه علماء العراق ومصر وسوريا لانقاذ فلسطين ، وان مسؤولية سفك الدماء تقع على كاهل هيئة الامم المتحدة بقرارها الجائر ، والصهيونية بارتكابها افظع اشكال الوحشية في فلسطين[١٧٤]

وارسل عبدالله كرموش من تجار الاخشاب بالموصل من اسطنبول برقيتين لاذعتين ، جاء فيهما : « نوري السعيد رئيس الهاغانا ... نهنئك بفوز الصهاينة على عرب فلسطين بيض الله وجهك » .

« زفاي لومي رئيس العصابة الارهابية ، صالح جبر ... اهنئك على فوز الصهاينة على عرب فلسطين متمنيا لك بياض الوجه في الدنيا والاخرة »[١٧٥].

موقف الصحافة :

شهدت ١٩٤٨ صدور عدد من الصحف الموصلية ، التي عرفت بمواقفها القومية تجاه فلسطين ولعل من ابرزها جريدتي النضال والهدى ، فقد خصصت جريدة النضال الناطقة بلسان حزب الاستقلال فرع الموصل باب « دنيا العرب » لنشر اخبار فلسطين وحوادثها وتفاصيل المعارك بين المجاهدين العرب والصهاينة ونقل تطورات القضية الفلسطينية واصدائها في الاقطار العربية عامة والعراق والموصل خاصة[١٧٦] ، وفاقت جريدة الهدى جميع الصحف الموصلية انذاك في معالجتها ومتابعتها تفصيليا تطور قضية فلسطين ، التي طغت على المادة الصحفية فيها ، كما خصصت بابا مستقلا فيها بعنوان (انباء فلسطين)[١٧٧].

---

(١٧٤) جريدة فتى العراق ، العدد نفسه .
(١٧٥) جريدة الهدى ، العدد ٦٧ (٢٨ نيسان ١٩٤٨) .
(١٧٦) جريدة النضال ، العدد ٣ (٥ نيسان ١٩٤٨) .
(١٧٧) جريدة الهدى ، العدد ٤٧ (٢٦ مايس ١٩٤٨) .

كان للصحافة الموصلية موقفها المتميز تجاه تطورات قضية فلسطين ١٩٤٨ اذ حرصت بمقالاتها الافتتاحية على متابعة زحف الجيوش العربية ، مستنكرة القبول بالهدنة في اثنائها ، فانتقدت بشدة موقف الدول الكبرى المساندة للصهاينة ومجلس الامن ، بل لم تستبعد في ذلك الجامعة العربية فقد كان عجزها تجاه قضية فلسطين ، على الرغم من الامكانيات العربية المنضمة اليها ، سببا رئيسا في توجيه الاتهامات والانتقادات العنيفة لها ، من الصحافة الموصلية بشكل عام(١٧٨) .

الخاتمـــة :

نظرا للهاجس الديني والقومي لمدينة الموصل ، التي عرفت بهما متلازمين فقد سجلت مواقف مشرفة ومضيئة تجاه القضايا القومية عامة وقضية فلسطين خاصة ضمن اهتمامات ابنائها على الصعيد القومي عبروا عنها بشتى الصور وبشكل عفوي ، بعد ادراكهم تمام الادراك لحقيقة الوضع الداخلي والواقع القومي المؤلم حيث الهيمنة الاستعمارية متمثلة ببريطانيا وامريكا وشريكتيهما الصهيونية ، وجهودها المحمومة لتحقيق وعد بلفور المشؤوم في فلسطين العربية .

لذا كانت اصداء احداث تطورات القضية الفلسطينية على الصعيد القومي والدولي في الموصل متميزة ، من حيث النشاطات والفعاليات السياسية والاجتماعية ، على المستوى الرسمي والشعبي ، عبرت عنه الحركة الوطنية متمثلة بفروع الاحزاب السياسية في الموصل وبالحركة الطلابية والجمعيات والمهن والاصناف ، فاتخذت الاصداء وردود الافعال اسلوب عقد الاجتماعات الجماهيرية والمظاهرات وإرسال البرقيات الاحتجاجية واعلان الاعتصام

---

(١٧٨) للتفاصيل انظر : جريدة فتى العراق ، العدد ١٣١٨ (٢٩ نيسان ١٩٤٨) ؛ جريدة الهدى ، العدد ٩٢ (٩ اب ١٩٤٨ ؛ جريدة النضال) العدد ٥٨ (٢٥ تشرين الاول ١٩٤٨) .

والاضراب عن الطعام ، وجمع الاموال النقدية والعينية والسلاح والعتاد والتطوع للقتال الى جانب المجاهدين الفلسطينيين • وبذلك ساد الموقف الشعبي وتميز بوضوح عن الموقف الرسمي تجاه قضية فلسطين ، فكانت اصداؤها وراء تنامي الوعي الوطني والقومي في العراق عامة والموصل خاصة •

أدت الصحافة الموصلية دورا مهما ومتميزا في التعبير عن الشعور القومي للموصليين ، وعكس الرأي العام تجاه فلسطين فقد سجلت ونقلت المواقف الايجابية والعفوية على صدر صفحاتها الاولى ، وتولت تسطير المقالات الافتتاحية والسياسية اللاذعة ، ركزت من خلالها هجومها على السياسة البريطانية والامريكية تجاه العرب وبالتعاون مع الصهيونية العالمية لتحقيق حلمها في فلسطين ، فكان تكريم الصحافة الموصلية من قبل ابناء فلسطين لمواقفها القومية المشرفة متمثلة بجريدة فتى العراق •

ملحق رقم (١)

بيان الى الشعب الكريم

بناء على الاحوال المحزنة التي وصلت اليها الشقيقة الدامية (فلسطين) ونظرا الى الاوضاع المؤلمة التي مُنيت بها (البلاد العربية) فلقد تقرر اقامة اجتماع عام شامل لجميع طبقات الشعب الكريم بعد صلاة الجمعة غدا ١٨ ١٩٣٣ مباشرة في الجامع الكبير .

وقد تمت موافقة الحكومة المحلية على اقامة هذا الاجتماع (رسميا) فنحن نحث الشعب الابي على الاشتراك بهذا العمل المشرف لاظهار شعوره نحو الشقيقة الشهيدة (فلسطين) وبقية البلاد العربية المضامة الاخرى ولكي يرى العالم اجمع باننا نتألم لتألم العضو الواحد .

فهبوا الى العمل وسيرى الله عملكم ..

عن لجنة الاجتماع
السائح العراقي
يونس بحري

الخطباء :

١ ــ عبدالمنعم الغلامي
٢ ــ عبدالجبار الجومرد « قصيدة »
٣ ــ اسماعيل صبري
٤ ــ السائح العراقي يونس بحري

المصدر : السائح يونس بحري / صوت الشباب في سبيل فلسطين والبلاد العربية المضامة (الموصل ١٩٣٣) .

ملحق رقم (٢)

النداء الثاني عن طلاب اعدادية الموصل

مضى أربع وعشرون ساعة على اضرابنا عن الطعام واعتصامنا مع قسم من طلاب المتوسطات • وما ان اصبح الصباح حتى انضم الينا جميع طـلاب المتوسطات لتأييدنا في مطاليبنا والاعتصام معنا بالمدرسة •

ونحن نعيد ونكرر اننا سنستمر على الاضراب الى ان تحقق مطاليبنـا ألا وهي إنقاذ فلسطين من براثين الصهيونية • ونود ان نذكر الشعب ان البلاد التي بشر نبيها المسيح (عليه السلام) بالسلام واسرى اليها محمد (صلى الله عليه وسلم) في ليلة الاسراء لا ينقذها إلا المال والسلاح •

يا أبناء الحدباء :ــ إن أبناءكم يبكون فلسطين وليس لديهم إلا مشاركة اخوانهم المهاجرين والمضطهدين في الجوع والنوم في العراء وعليكم ان تقدموا المال والسلاح في سبيل إنقاذ فلسطين ، فالموت بالعز خير من السكوت علـى الذل والهوان •

لا تسقني كـأس الحياة بذلـة   بل فأسقني بالعز كأس الحنظل

٢٧ــ٤ــ١٩٤٨   طلاب اعدادية الموصل

ملحق رقم (٣)

النداء الرابع
طـــلاب الموصـــل
يســـتصرخـــون
اصحاب الضمائر الحيـــة

لقد مضي على اضرابنا واعتصامنا في بناية المدرسة الاعدادية ثلاثة ايـــام ولم نر تحقيقا ملموسا لمطاليبنا واننا لازلنا معتصمين بالمدرســـة حتى الان • واليوم عصرا اصدرت الهيئة التدريسية في الموصـــل التي تشـــمل المـــدراء والمدرسين بيانا للطلاب تعامهم بانها قد سحبت يدها من ادارة المدارس • وانها غير مسؤولة عن كل ما يحدث للطلاب ، وانسحبت فعلا وتركت الطلاب وحدهم وهذا معناه (ان الهيئة التدريسية لا تشارك الطلاب مشاعرهم تجاه فلسطين)•

لذلك اجتمع الطلاب في بناية المدرسة الاعدادية وقرروا ان يصـــــدروا هذا البيان ويديرون انفسهم بانفسهم ، كما قرروا قرارا اكيدا على مواصـــلة الاضراب والاعتصام بالمدرسة حتى تحقق المطاليب التي نادوا بها •

وإننا نوجه هذا النداء الى جميع افراد الشعب الغيارى ليطلعوا علـــى الموقف المؤسف الذي وقفته الهيئة التدريسية تجاه شـــعور الطلاب النبيل • وليعلم الجميع اننا سنبقى على جهادنا هذا في سبيل اعلاء كلمة الحق (فلسطين) حتى يحق الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا •

٢٩ــ٤ــ١٩٤٨

طلاب الموصل المضربين

● الفيصلية	● الشرقية	● الغربية
● المثنى	● الحدباء	● كلية الموصل
● المسائية	● الاعدادية	

ملحق رقم (٤)

النداء الخامس

طلاب الموصل ينهون اضرابهم

بعد مضي اربعة ايام على اضرابنا واعتصامنا ببناية المدرسة الاعدادية تأكد لدينا ان تحقيقا ملموسا لمطاليبنا قد حصل .

لذلك قررنا بالاجماع انهاء الاضراب والعودة الى الدروس ومواصلة الدوام .

كما اننا نعاهد الله وانفسنا باننا سنبقى مجاهدين في سبيل وطننا العزيز واننا على استعداد للتضحية بجميع انواعها عند نداء الواجب الوطني المقدس وسوف لا يثنينا عن عزمنا سلطة جائر ولا تحكم غادر ، وسيكون انهاء الاضراب بمظاهرة سلمية يشترك فيها جميع الطلاب المضربين تبدأ في الساعة الرابعة مساء .

٣٠–٤–١٩٤٨

طلاب الموصل المضربين
المثنى * الشرقية * الغربية * الحدباء
كلية الموصل * الفيصلية المسائية *
الاعدادية